٦١
ثم دخلت سنة إحدى وستين

ذِكر مقتل الحسين، رضي الله عنه[١]

وسار الحسين بن شَرَاف، فلمّا انتصف النّهار كبّر رجلٌ من أصحابه، فقال له: مِمَّ كبّرتَ؟ قال: رأيتُ النّخْل. فقال رجلان من بني أسد: ما بهذه الأرضِ نخلة قطّ! فقال الحسين: فما هو؟ فقالا: لا نراه إلّا هوادي الخيل. فقال: وأنا أيضاً أراه ذلك. وقال لهما: أما لنا ملجأ نلجأ إليه نجعله في ظهورنا، ونستقبل القوم من وجهٍ واحد؟ فقالا: بلى، هذا ذو حُسُم[٢] إلى جنبك تميل إليه عن يسارك، فإنْ سبقتَ القومَ إليه فهو كما تريد. فمال إليه، فما كان بأسرع من أن طلعت الخيل، وعدلوا إليهم، فسبقهم الحسين إلى الجبل فنزل، وجاء القوم وهم ألف فارس مع الحُرّ بن يزيد التميميّ ثمّ اليربوعيّ، فوقفوا مقابل الحسين وأصحابه في حَرّ[٣] الظَّهيرة، فقال الحسين لأصحابه وفتيانه: اسقوا

---

(١) أنظر عن مقتل الحسين في: تاريخ خليفة ٢٣٤، والأخبار الطوال للدينوري ٢٤٣ ـ ٢٦٢، وتاريخ اليعقوبي ٢٤٣ ـ ٢٤٦، وتاريخ الطبري ٥/ ٤٠٠ ـ ٤٦٧، ومروج الذهب ٣/ ٦٤ ـ ٧٤، والعقد الفريد ٤/ ٣٧٦ ـ ٣٨٧، والاستيعاب ١/ ٣٧٨ ـ ٣٨٢، والمحاسن والمساوىء ٥٧ ـ ٦٣، والفخري ١١٣ ـ ١١٥، والبدء والتاريخ ٦/ ١٠ ـ ١٣، وتهذيب تاريخ دمشق ٤/ ٣٢٩ ـ ٣٤٦، وأسد الغابة ٢/ ٢٠ ـ ٢٢، وتهذيب الكمال ٦/ ٣٩٦ وما بعدها في ترجمته، ونهاية الأرب ٢٠/ ٤٠٥ ـ ٤٦١، والمختصر في أخبار البشر ١/ ١٩٠، ١٩١، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٢٨٠ وما بعدها في ترجمته، ودول الإسلام ١/ ٤٦، وتاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ص ٥ ـ ٢١، والبداية والنهاية ٨/ ١٧٢ ـ ٢٠٣، وتاريخ الخميس ٢/ ٣٣١ ـ ٣٣٤، ومرآة الجنان ١/ ١٣١ ـ ١٣٦، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٢١، ٢٢، وتاريخ الخلفاء ٢٠٧، ومعظم الجزء الخامس من كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي، ومقاتل الطالبيين ٧٨ ـ ١٢٢ وتاريخ بغداد ١/ ١٤١ ـ ١٤٤ رقم ٣، وشرح شافية أبي فراس ١٣٢، والإرشاد في أسماء أئمة الهدى للمفيد ١٧٧، وتهذيب الأسماء واللغات ج ١ ق ١/ ١٦٢، وتاريخ دمشق (مخطوطة التيمورية) ١١/ ٢٥، والأئمة الاثنا عشر ٧١، ٧٢، ومقتل الحسين لأبي مخنف، والملهوف على قتلى الطفوف (طبعة الفرقان).

(٢) يقال: ذو حُسُم، بضمتين، وذو حُسَم، بالضم ثم الفتح، وهو اسم موضع في شِعر النابغة. (معجم البلدان ٢/ ٢٥٨)، وفي الطبعة الأوربية «ذو حشم»، وهو تحريف.

(٣) في الطبعة الأوربية: «في نحر».

القوم ورشّفوا الخيل ترشيفاً. ففعلوا[1].

وكان مجيء القوم من القادسيّة، أرسلهم الحُصَين بن نُمَير التميميّ في هذه الألف يستقبل الحسين، فلم يزل مواقفاً الحسين حتّى حضرت صلاة الظُّهْر، فأمر الحسين مؤذّنه بالأذان، فأذّن، وخرج الحسين إليهم فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:

أيّها الناس إنّها معذرة إلى الله وإليكم، إنّي لم آتِكم حتّى أتتني كُتُبُكم ورُسُلُكم، أنْ أقدِمْ إلينا، فليس لنا إمام، لعلّ الله أن يجعلنا بك على الهدى، فقد جئتُكم، فإنْ تُعطوني ما أطمئنّ إليه من عهودكم أقدم مِصْركم، وإن لم تفعلوا أو كنتم لمقْدمي[2] كارهين انصرفتُ عنكم إلى المكان الذي أقبلتُ منه.

فسكتوا وقالوا للمؤذّن: أقمْ، فأقام، وقال الحسين للحُرّ: أتريد أن تصلّي أنت بأصحابك؟ فقال: بل صلّ أنت ونصلّي بصلاتك. فصلّى بهم الحسين، ثمّ دخل واجتمع إليه أصحابه، وانصرف الحُرّ إلى مكانه، ثمّ صلّى بهم الحسين العصر، ثمّ استقبلهم بوجهه، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال:

أمّا بعد، أيّها الناس فإنّكم إن تتّقوا الله، وتعرفوا الحقّ لأهله يكن أرضى لله، ونحن أهل البيت أَوْلى بولاية هذا الأمر من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم، والسّائرين فيكم بالجَوْر والعدوان، فإنْ أنتم كرهتمونا وجهِلتم حقّنا، وكان رأيكم غير ما أتتني به كُتُبكم ورُسُلكم انصرفتُ عنكم.

فقال الحرّ: إنّا والله ما ندري ما هذه الكُتُب والرسُل الّتي تذكر. فأخرج خرجَين مملوءين صُحُفاً، فنثرها بين أيديهم. فقال الحرّ: فإنّا لسنا من هؤلاء الّذين كتبوا إليك، وقد أُمرنا أنّا إذا نحن لقيناك أن لا نفارقك، حتى نُقْدمك الكوفة على عُبَيد الله بن زياد. فقال الحسين: الموت أدنى إليك من ذلك! ثمّ أمر أصحابه فركبوا لينصرفوا، فمنعهم الحرّ من ذلك. فقال له الحسين: ثكِلَتْك أمّك! ما تريد؟ قال له: أمَا[3] واللّهِ، لو غيرك من العرب يقولها [لي] ما تركت ذكر أُمّه بالثُّكْل كائناً مَنْ كان، ولكنّي والله ما لي إلى ذِكر أمّك من سبيل، إلاّ بأحسن ما يُقدر عليه. فقال له الحسين: ما تريد؟ قال الحرّ: أريد أن أنطلق بك إلى ابن زياد. قال الحسين: إذنْ والله لا أتبعك. قال الحُرّ: إذَنْ والله لا أدَعُك. فترادّا الكلام، فقال له الحرّ: إنّي لم أؤمر بقتالك، وإنّما أُمرت أن لا أفارقك حتّى أُقْدِمك الكوفة، [فإذا أبيتَ]، فخُذْ طريقاً لا تُدْخلك الكوفة، ولا تَرُدّك إلى المدينة، حتّى

(١) تاريخ الطبري ٥/٤٠٠، ٤٠١.

(٢) في الطبعة الأوربية: «بمقدمي».

(٣) في الطبعة الأوربية: «أم».

أكتب إلى ابن زياد، وتكتب أنت إلى يزيد، أو إلى ابن زياد، فلعلّ الله أن يأتي بأمر يرزقني فيه العافية، من أن أُبتَلى بشيءٍ من أمرك. فتياسر عن طريق العُذَيْب والقادسيّة، والحرّ يسايره[1].

ثمّ إنّ الحسين خطبهم فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أيّها الناس إنّ رسول الله ﷺ، قال: مَنْ رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحُرَم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسُنّة رسول الله ﷺ، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر ما عليه بفِعلٍ ولا قولٍ، كان حقّاً على الله أن يُدْخله مُدخَله. ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشّيطان، وتركوا طاعة الرحّمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفَيْء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله، وأنا أحَقّ مَن غيّر، وقد أتتني كُتُبُكم ورُسُلُكم ببيعتكم، وأنّكم لا تُسلموني ولا تَخذلُوني، فإنْ تممتم[2] على بيعتكم تُصيبوا رُشْدكم، وأنا الحسين بن عليّ بن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهلكم، فلكم فيَّ أُسوة، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدي وخلعتم بَيْعتي، فَلَعَمْري ما هي لكم بنكير، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمّي مسلم بن عَقيل، والمغرور من اغترّ بكم، فحظّكم أخطأتم، ونصيبَكم ضيّعتم، ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلى نَفْسِهِ﴾[3] وسيغني الله عنكم، والسلام[4].

فقال له الحُرّ: إنّي أذكّرك اللّهَ في نفسك، فإنّي أشهد لئن قاتلتَ لتُقْتَلنّ. فقال له الحسين: أبالموت تخوّفني؟ وهل يعدو بكم[5] الخَطْب أن تقتلوني؟ وما أدري ما أقول لك! ولَكني أقول كما قال أخو الأوْسيّ لابن عمّه وهو يريد نُصرة رسول الله ﷺ، فقال له: أين تذهب؟ فإنّك مقتول! فقال:

سأمضي وما بالموتِ عارٌ على الفتى	إذا ما نَوَى خيراً[6] وجاهَدَ مسلمَا
وواسَى رجالاً صالحينَ بنَفسِهِ	وخالَفَ مثْبوراً[7] وفارَقَ مُجرِمَا[8]
فإنْ عشتُ لم أندَمْ وإنْ متُّ لم أُلَمْ[9]	كفى بك ذُلّاً أن تعيشَ وتُرْغَمَا[10]

(١) تاريخ الطبري ٥/٤٠١ - ٤٠٣.
(٢) في (ر): «أقمتم».
(٣) سورة الفتح، الآية ١٠.
(٤) الخطبة عند الطبري ٥/٤٠٣، والنويري ٢٠/٤١٩.
(٥) في الطبعة الأوربية: «يعدونكم».
(٦) في (ر): «ثوى حراً»، وفي تاريخ الطبري «نوى حقّاً».
(٧) في (ر): «مستوراً».
(٨) في (ب): «مجرباً»، والبيت عند الطبري:
وآسى الرجال الصالحين بنفسه   وفارق مثبوراً يغُشّ ويُرْغما
(٩) في حاشية تاريخ الطبري «لم أنم».

فلمّا سمع ذلك الحُرّ تنحّى عنه، فكان يسير ناحيةً عنه حتّى انتهَى إلى عُذَيْب الهجانات، كان به هجائن النعمان ترعى هناك، فنُسب إليها، فإذا هو بأربعة نفرٍ قد أقبلوا من الكوفة على رواحلهم، يجنبون[1] فرساً لنافع بن هلال يقال له الكامل، ومعهم دليلهم الطِرمّاح بن عديّ، وانتهوا إلى الحسين، فأقبل إليهم الحُرّ وقال: إنّ هؤلاء النفر من أهل الكوفة، وأنا حابسهم أو رادّهم. فقال الحسين: لأمنعنّهم ممّا أمنع منه نفسي، إنّما هؤلاء أنصاري، وهم بمنزلة من جاء معي، فإنْ تممتَ[2] على ما كان بيني وبينك، وإلاّ ناجزتُك. فكَفّ الحُرّ عنهم، فقال لهم الحسين: أخبروني خبر الناس خلفكم. فقال له مجمّع بن عُبيد[3] الله العائذيّ[4]، وهو أحدهم: أمّا أشراف الناس فقد أُعْظمت رشوتهم، ومُلئت غرائرهم، فهم أَلْبٌ واحدٌ عليك، وأمّا سائر الناس بعدهم، فإنّ قلوبهم تهوي إليك، وسيوفهم غداً مشهورة عليك.

وسألهم عن رسوله قيس بن مُسْهِر، فأخبروه بقتله وما كان منه، فترقرقت عيناه بالدّموع ولم يملك دمعته، ثمّ قرأ: ﴿**فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾[5]؛ اللهمّ اجعل لنا ولهم الجنّة، واجمعْ بيننا وبينهم في مستقرّ رحمتك، ورغائب[6] مذخور ثوابك.

وقال له الطِّرمّاح بن عديّ: والله ما أرى معك كثيرَ أحدٍ، ولو لم يقاتلْك إلاّ هؤلاء الّذين أراهم مُلازميك لكان كفى بهم، ولقد رأيتُ قبل خروجي من الكوفة بيومٍ ظهْرَ الكوفة، وفيه من الناس ما لم ترَ عيناي جَمْعاً في صعيدٍ واحد أكثر منه قطّ ليسيروا إليك، فأنشدك الله إنْ قدرتَ على أن لا تَقدم إليهم شِبْراً فافعلْ، فإنْ أردتَ أن تنزل بلداً يمنعك الله به حتّى ترى رأيك، ويستبين لك ما أنت صانع، فسِرْ حتى أنزلك جبلنا أجأ، فهو واللّهِ جبلٌ امتنعنا به من ملوك غسّان وحِمْير والنُّعمان بن المنذر، ومن الأحمر والأبيض[7]، والله ما إن دخل علينا ذُلّ قطّ، فأسير معك حتّى أُنزلك [القُرَيَّة]، ثمّ تبعث إلى الرجال ممّنْ بأجأ وسَلمى من طَيّء، فواللّهِ لايأتي عليك عشرة أيّام حتّى تأتيك[8] طيّء رجالاً ورُكباناً، ثمّ

(١٠) البيت الأخير لم يذكره الطبري ٥/٤٠٤، والأبيات في: نهاية الأرب ٢٠/٤٢٠.

(١) في (ر): «يحثون».
(٢) في (ر): «أقمت».
(٣) في تاريخ الطبري ٥/٤٠٥ «عبد».
(٤) في (ر): «العامري».
(٥) سورة الأحزاب، الآية ٢٣.
(٦) في طبعة صادر ٤/٥٠ «رحمتك رغائب».
(٧) في تاريخ الطبري ٥/٤٠٦: «الأسود والأحمر».
(٨) في طبعة صادر ٤/٥٠ «يأتيك».

أقِمْ فينا ما بدا لك، فإنْ هاجك هَيْجٌ فأنا زعيمٌ لك بعشرين ألف طائيّ يضربون بين يديك بأسيافهم، فَوَاللّهِ لا يُوصل إليك أبداً وفيهم عين تَطْرف. فقال له: جزاك الله وقومَك خيراً! إنّه قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قولٌ لسنا نقدر معه على الانصراف، ولا ندري علامَ (تتصرّف بنا وبهم)[1] الأمور. فودّعه وسار إلى أهله، ووعده أن يوصل الميرة إلى أهله ويعود إلى نصره، ففعل، ثمّ عاد إلى الحسين، فلمّا بلغ عُذيب الهِجانات لقيه خبر قتْله، فرجع إلى أهله.

ثمّ سار الحسين، حتّى بلغ قصر بني مُقاتل، فرأى فُسْطاطاً مضروباً فقال: لِمَنْ هذا؟ فقيل: لعبيد الله بن الحُرّ الجُعفيّ. فقال: ادعوه لي. فلمّا أتاه الرسول يدعوه قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، والله ما خرجتُ من الكوفة إلّا كراهية أن يدخلها الحسين وأنا بها، والله ما أريد أن أراه ولا يراني. فعاد الرسولُ إلى الحسين فأخبره، فلبس الحسين نعلَيْه، ثمّ جاء فسلّم عليه، ودعاه إلى نصره، فأعاد عليه ابن الحُرّ تلك المقالة، قال: فإنْ لا تنصرْني فاتّقِ الله أن تكون ممّنْ يقاتلنا، فوالله لا يسمع واعيتَنا أحد ثمّ لا ينصرنا إلّا هلك. فقال له: أمّا هذا فلا يكون أبداً إن شاء الله تعالى.

ثمّ قام الحسين فخرج إلى رَحْله، ثمّ سار ليلاً ساعةً، فخفق برأسه خفقةً، ثمّ انتبه وهو يقول: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، والحمد لله ربّ العالمين. فأقبل إليه ابنُه عليّ بن الحسين فقال: يا أبتِ جُعلتُ فِداك! مِمّ حمدتَ واسترجعتَ؟ قال: يا بنيّ إنّي خفقتُ [برأسي] خفقةً، فعنّ لي فارسٌ على فَرَس، فقال: القوم يسيرون والمنايا تسير[2] إليهم؛ فعلمتُ أنّ أنفسنا نُعيت إلينا[3]. فقال: يا أبتِ لا أراك اللّهُ سُوءاً. ألسنا على الحقّ؟ قال: بلى والّذي يرجع إليه العباد. قال: إذنْ لا نبالي أن نموت محقّين. فقال له: جزاك الله من ولد خيراً ما[4] جزى ولداً عن والده.

فلمّا أصبح نزل فصلّى، ثمّ عجّل الركوبَ، فأخذ يتياسر بأصحابه يريد أن يفرّقهم، فأتى الحُرّ فردّه وأصحابه، فجعل إذا ردّهم نحو الكوفة ردّاً شديداً امتنعوا عليه وارتفعوا، فلم يزالوا يتياسرون حتّى انتهوا إلى نِينَوَى، المكان الذي نزل به الحسين، فلمّا نزلوا إذا راكبٌ مقبِلٌ من الكوفة، فوقفوا ينتظرونه، فسلّم على الحُرّ، ولم يسلّم على الحسين وأصحابه، ودفع إلى الحُرّ كتاباً من ابن زياد، فإذا فيه: أمّا بعد فجعجِعْ بالحسين[5] حين

---

(١) في (ب): «تنصرف بيننا وبينهم»، وفي تاريخ الطبري ٥/٤٠٦ «تنصرف».

(٢) في تاريخ الطبري ٥/٤٠٧ «تسري».

(٣) في (ر): «دُعيت لنا».

(٤) الطبري ٥/٤٠٨ «خير ما».

(٥) جعجع بالحسين: أي ألزمه الجعجاع وهو المكان الضيّق الخشن، فازعجه وأخرجه.

يبلغك كتابي، ويَقْدَم عليك رسولي، فلا تُنْزِلْه إلّا بالعراء في غير حصن وعلى غير ماء، وقد أمرت رسولي أن يَلزمك، فلا يفارقك حتّى يأتيني بإنفاذك أمري، والسلام.

فلمّا قرأ الكتاب قال لهم الحُرّ: هذا كتاب الأمير يأمرني أن أُجعجع بكم في المكان الّذي يأتيني فيه كتابه، وقد أمر رسولَه أن لا يفارقني حتى أُنفِذ رأيه وأمره. وأخذهم الحُرّ بالنزول على غير ماءٍ ولا في قرية، فقالوا: دَعْنا ننزل في نِينَوَى، أو الغاضرية[1]، أو شُفَيّة[2]. فقال: لا أستطيع، هذا الرجل قد بُعث عيناً عليّ. فقال زُهير بن القَين للحسين: إنّه لا يكون واللّهِ بعد ما ترون إلّا ما هو أشدّ منه يا ابنَ رسول الله، وإنّ قتال هؤلاء الساعة أهون علينا من قتال مَنْ يأتينا من بعدهم، فلَعَمْري لَيأتِيَنّا من بعدهم ما لا قِبَل لنا به! فقال الحسين: ما كنتُ لأبدأهم بالقتال. فقال له زُهير: سِرْ بنا إلى هذه القرية حتّى ننزلها فإنّها حصينة وهي على شاطىء الفرات، فإنْ منعونا قاتلناهم، فقتالهم أهْون علينا من قتال من يجيء بعدهم. فقال الحسين: ما هي؟ قال: العَقْر. قال: اللهمّ إنّي أعوذ بك من العَقْر! ثمّ نزل، وذلك يوم الخميس الثاني من محرّم سنة إحدى وستّين.

فلمّا كان الغد قدِم عليهم عمر بن سعد بن أبي وقّاص من الكوفة في أربعة آلاف، وكان سبب مسيره إليه أنّ عبيد الله بن زياد كان قد بعثه على أربعة آلاف إلى دَسْتَبَى[3]، وكانت الدَّيْلم قد خرجوا إليها وغلبوا عليها، وكتب له عهده على الرّيّ، فعسكر بالناس في حمّام أعْيَن، فلمّا كان من أمر الحسين ما كان دعا ابنُ زياد عمرَ بن سعد وقال له: سِرْ إلى الحسين، فإذا فرغنا ممّا بيننا وبينه سِرتَ إلى عملك. فاستعفاه. فقال: نعم، على أن تردّ عهدنا. فلمّا قال له ذلك قال: أمهِلْني اليوم حتّى أنظر. فاستشار نُصحاءه، فكلُّهم نهاه، وأتاه حمزة بن المغيرة بن شُعْبَة، وهو ابن أخته، فقال: أنشدك الله يا خالي أن تسير إلى الحسين، فتأثم وتقطع رَحِمَك، فواللّهِ، لأن تخرج من دنياك ومالك وسلطان الأرض، لو كان لك، خيرٌ من أن تلقى اللّهَ بدم الحسين! فقال: أفعل[4]. وبات ليلته مفكّراً في أمره، فسُمع وهو يقول:

---

(١) الغاضرِيّة: تنسب إلى غاضرة من بني أسد. وهي قرية من نواحي الكوفة، قريبة من كربلاء (معجم البلدان ٤/١٨٣).

(٢) في (ر): «أو سعة». و«شُفَيّة» هي غير البئر القديمة التي كانت بمكة.

(٣) دَسْتَبَى: بفتح أوله وسكون ثانيه، وفتح التاء المثنّاة من فوق والباء الموحّدة المقصورة. وهي كورة كبيرة كانت مقسومة بين الريّ وهمدان، فقسم منها يسمّى دستبى الرازي وهو يقارب التسعين قرية، وقسم منها يسمّى دستبى همذان وهو عدّة قرى. (معجم البلدان ٢/٤٥٤).

(٤) تاريخ الطبري ٥/٤٠٩.

أأتــركُ مُـلْكَ الــرَّيِّ والــرَّيُّ رغبــةٌ[1] أم آرجــعُ مــذمــومــاً بقتــل حسيــنِ
وفــي قَتْـله النــارُ الّــتي لــيس دونـهــا حجــابٌ، ومُلْكُ الــرّيّ قُــرّة عَـينِ[2]

ثمّ أتَى ابنَ زياد فقال له: إنّك قد ولّيتني هذا العمل وسمع الناس به، فإنْ رأيتَ أن تُنفِذ لي ذلـك فـافعـلْ، وابعثْ إلى الحسين من أشـراف الكـوفـة مَنْ لستُ[3] أغنى[4] في الحرب منه؛ وسمّى أناساً. فقال له ابن زيـاد: لست أستأمـرك فيمن أريد أن أبعث، فـإنْ سرتَ بجُنْدنا، وإلاّ فابعثْ إلينا بعهدنـا. قال: فـإنّي سائـر. فأقبـل في ذلك الجيش حتّى نزل بالحسين، فلمّا نزل به بعث إليه رسولاً يسأله ما الّـذي جاء بـه، فقال الحسين: كتب إليّ أهل مِصركم هذا أن أقدَم عليهم، فأمّا إذْ كـرهوني فـإنّي أنصرف عنهم. فكتب عمـر إلى ابن زياد يُعرّفه ذلك، فلمّا قرأ ابن زياد الكتابَ قال:

الآنَ إذْ[5] عـلقَـتْ مَـخـالـبُـنـا بــهِ يـرجو النّجـاةَ (ولاتَ حينَ مَناصِ!)[6]

ثمّ كتب إلى عمـر يأمـره أن يعرض على الحسين بيعـة يزيـد، فإنْ فعـل ذلك رأينـا رأيَنا، وأن يمنعه ومَنْ معه الماء. فأرسل عمرُ بن سعد عمـرَو بن الحجّاج على خمسمـائة فارس، فنزلوا على الشريعـة، وحالـوا بين الحسين وبين الماء، وذلـك قبل قتْل الحسين بثلاثة أيّـام، ونادى عبـدُ الله بن أبي الحصين[7] الأزديّ، وعِداده في بَجيلة: يـا حسين أما تنظر إلى الماء؟ لا تذوق منه قطرة حتّى تموت عطشاً! فقال الحسين: اللهمّ اقتله عطشـاً، ولا تغفر له أبداً. قال: فمـرض فيما بعـد، فكان يشـرب (الماء)[8] القُلّة، ثمّ يقيء[9]، ثمّ يعود فيشرب (حتّى يَبْغَرَ، ثمّ يقيء)[10]، ثمّ يشرب فما يُرْوَى، فما زال كذلك حتّى مات.

فلمّـا اشتدّ العـطشُ على الحسين وأصحابـه أمر أخـاه العبّـاس بن عليّ، فسـار في عشرين راجلاً يحملون القِـرب، وثلاثين فـارساً، فـدَنَوا من المـاء، فقاتلوا عليـه، وملؤوا القِرَب وعادوا، ثمّ بعث الحسين إلى عمـر بن سعد عَمْـرو بن قَرَظـة بن كعب الأنصاريّ،

---

(١) في (ر): «منيتي».
(٢) البيتان في: نهاية الأرب ٢٠/٤٢٥.
(٣) في (ب): «شئت».
(٤) في الطبعة الأوربية: «أعني».
(٥) في (ش): «حين».
(٦) ما بين القوسين من (ش). والبيت في: نهاية الأرب ٢٠/٤٢٧.
(٧) في (ش): «الحضر»، و(ب): «حصن»، و(ر): «حصين».
(٨) من (ش).
(٩) في الطبعة الأوربية: «بقي».
(١٠) في الطبعة الأوربية: «حتى يتغر ثم بقي». وبَغَرَ يبْغَرُ: شرب ولم يُرْوَ.

أنْ القَنِي اللّيلة، بين عسكري وعسكرك. فخرج إليه عمر، فاجتمعا وتحادثا طويلاً، ثمّ انصرف كلّ واحدٍ منهما إلى عسكره، وتحدّث الناسُ أنّ الحسين قال لعمر بن سعد: اخرجْ معي إلى يزيد بن معاوية، وندع العسكَرَيْن. فقال عمر: أخشى أن تُهْدَم داري. قال: أبنيها لك خيراً منها. قال: تؤخذ ضياعي. قال: أعطيك خيراً منها من مالي بالحجاز. فكره[1] ذلك عمر.

وتحدّث الناس بذلك ولم يسمعوه، وقيل: بل قال له: اختاروا منّي واحدةً من ثلاث: إمّا أن أرجع إلى المكان الذي أقبلتُ منه، وإمّا أن أضع يدي في يد يزيد بن معاوية، فيرى فيما بيني وبينه رأيه، وإمّا أن تسيروا بي إلى أيّ ثغرٍ من ثغور المسلمين شئتم، فأكون رجلاً من أهله، لي ما لهم وعليّ ما عليهم[2].

وقد رُوي عن عُقبة بن سِمعان أنه قال: صَحِبتُ الحسين من المدينة إلى مكّة، ومن مكّة إلى العراق، ولم أفارقْه حتّى قُتل، وسمعتُ جميع مخاطباته للناس إلى يوم مقتله، فواللّهِ، ما أعطاهم ما يتذاكر[3] الناس أنّه[4] يضع يده في يد يزيد، ولا أن يسيّروه إلى ثغرٍ من ثغور المسلمين، ولكنّه قال: دَعوني أرجع إلى المكان الذي أقبلتُ منه، أو دعوني أذهب في هذه الأرض العريضة، حتّى ننظر إلى ما يصير إليه أمر الناس. فلم يفعلوا[5].

ثمّ التقى الحسين وعمر بن سعد مراراً ثلاثاً أو أربعاً، فكتب عمر بن سعد إلى عُبيد الله بن زياد: أمّا بعد فإنّ الله أطفأ النّائرة، وجمع الكلمة، وقد أعطاني الحسين أن يرجع إلى المكان الذي أقبل منه، أو أن نسيّره إلى أيّ ثغرٍ من الثغور شئنا، أو أن يأتي يزيدَ أمير المؤمنين، فيضع يده في يده، وفي هذا لكم رِضًى، وللأمّة صلاح. فلمّا قرأ ابن زياد الكتاب قال: هذا كتاب رجلٍ ناصحٍ لأميره، مُشفقٍ على قومه، نعم قد قبلتُ.

فقام إليه شَمِر بن ذي الجَوْشن فقال: أتقبل هذا منه، وقد نزل بأرضك وإلى جنبك؟ واللّهِ لئنْ رحل من بلادك، ولم يضع يده في يدك، ليكوننّ أَوْلَى بالقوّة والعزّة، ولتكوننّ أَوْلَى بالضَّعْف والعجز، [فلا تعطه هذه المنزلة فإنّها من الوَهَن]، ولكن لينزل على حكمك هو وأصحابه، فإنْ عاقبتَ كنتَ وليَّ العقوبة[6]، وإنْ عفوتَ كان ذلك لك،

---

(١) الطبري ٥/٤١٣ «فتكرّه».

(٢) الطبري ٥/٤١٣، نهاية الأرب ٢٠/٤٢٩.

(٣) في (ر): «ما يتذاكر به».

(٤) في (ر): «الناس من أنه».

(٥) الطبري ٥/٤١٣، ٤١٤.

(٦) في (ب) و (ر): «كنت أولى بالعقوبة».

واللهِ لقد بلغني أنّ الحسين وعمر يتحدّثان عامّة اللّيل بين العسكرين.

فقال ابن زياد: نِعْمَ ما رأيتَ! اخرجْ بهذا الكتاب إلى عمر، فلْيعرض على الحسين وأصحابه النزولَ على حكمي، فإنْ فعلوا فلْيبعث بهم إليّ سِلْماً، وإنْ أبَوْا فلْيُقاتلهم، وإنْ فعل فاسمع له وأَطِع، وإنْ أبَى فأنت الأمير عليه وعلى الناس، واضرب عُنقه، وابعثْ إليّ برأسه، وكتب معه إلى عمر بن سعد: أمّا بعد فإنّي لم أبعثك إلى الحسين لتكفّ عنه، ولا لتُمنّيه، ولا لتطاوله، ولا لتقعُد له عندي شافعاً، انظرْ، فإنْ نزل الحسين وأصحابه على الحُكم واستسلموا، فابعث بهم إليّ سِلْماً، وإنْ أبَوا فازحفْ إليهم حتّى تقتلهم وتمثّل بهم، فإنّهم لذلك مستحقّون، فإنْ قُتل الحسين فأوطىء الخيلَ صدرَه وظهره، فإنّه عاقٌ شاقٌ قاطع ظلوم، فإن أنت مضيتَ لأمرنا جزيناك جزاء السّامع المطيع، وإن أنتَ أبيتَ فاعتزِلْ جُنْدَنا، وخلِّ بين شَمِر وبين العسكر، والسلام.

فلمّا أخذ شَمِرٌ الكتابَ كان معه عبد الله بن أبي المحلّ بن حزام عند ابن زياد، وكانت عمّته أمّ البنين بنت حزام عند عليّ، فولدت له العبّاس وعبد الله وجعفراً وعثمان، فقال لابن زياد: إن رأيتَ أن تكتب لبني أختنا أماناً فافعلْ، فكتب لهم أماناً، فبعث به مع مولًى له إليهم، فلمّا رأوا الكتاب قالوا: لا حاجة لنا في أمانكم، أمان الله خيرٌ من أمان ابن سُمَيّة. فلمّا أتَى شَمِر بكتاب ابن زياد إلى عمر قال له: ما لك ويْلك قبّح الله ما جئتَ به! والله إنّي لأظنّك أنت ثنيتَهُ أن يقبل ما كنتُ كتبتُ إليه به، أفسدتَ علينا أمراً كنّا رجَوْنا أن يصلح، واللّهِ لا يستسلم الحسين أبداً، واللّهِ إنّ نفس أبيه لَبين جنبَيه. فقال له شَمِر: ما أنت صانع؟ قال: أتولّى ذلك. ونهض إليه عشيّة الخميس لتسع مضَيْن من المحرّم، وجاء شَمِر، فدعا العبّاس بن عليّ وإخوته، فخرجوا إليه، فقال: أنتم يا بني أختي آمنون. فقالوا له: لعنك الله ولعن أمانك! لئن كنتَ خالنا أتؤمّننا وابن رسول الله لا أمان له؟

ثمّ ركب عمر والناس معه بعد العصر والحسين جالس أمام بيته، مُحْتَبياً بسيفه، إذ خفق برأسه على رُكبته، وسمعت أختُه زينب الضّجّة، فدنت منه فأيقظته، فرفع رأسه فقال: إنّي رأيتُ رسول الله ﷺ، في المنام، فقال: إنّك تروح إلينا. قال: فلطمتْ أختُه وجهَها وقالت: يا ويلتاه! قال: ليس لكِ الويل يا أُخيَّة، اسكتي[1] رحِمَك الله! قال له العبّاس أخوه: يا أخي أتاك القومُ. فنهض فقال: يا أخي أركبُ بنفسي. (فقال له العبّاس: بل أروح أنا. فقال: اركب)[2] أنتَ حتّى تلقاهم فتقول: ما لكم؟ وما بدا لكم؟

---

(١) الطبري ٥/٤١٦ «اسكني».

(٢) ما بين القوسين من (ر).

وتسألهم عمّا جاء بهم. فأتاهم في نحو عشرين فارساً، فيهم زُهَير بن القَين فسألهم، فقالوا: جاء [أمر] الأمير بكذا وكذا. قال: فلا تعجلوا حتّى أرجع إلى أبي عبد الله، فأعرض عليه ما ذكرتم. فوقفوا ورجع العبّاس إليه بالخبر، ووقف أصحابُه يخاطبون القوم ويذكّرونهم الله، فلمّا أخبره العبّاسُ بقولهم قال له الحسين: ارجعْ إليهم، فإنِ استطعتَ أن تؤخّرهم إلى غدوةٍ، لعلّنا نصلّي لربّنا (هذه الليلة، وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أنّي كنتُ أحبّ الصلاة له، وتلاوة كتابه، وكثرة الدّعاء والاستغفار)[1]. وأراد الحسين أيضاً أن يوصّي أهله. فرجع إليهم العبّاسُ وقال لهم: انصرفوا عنّا العشيّة حتّى ننظر في هذا الأمر، فإذا أصبحنا التقينا إن شاء الله، فإمّا رضِيناه وإمّا رددناه.

فقال عمر بن سعد: ما ترى يا شَمِر؟ قال: أنت الأمير. فأقبل على الناس فقال: ما ترون؟ فقال له عَمرو بن الحجّاج الزُّبيديّ: سبحان الله! والله لو كانوا من الدَّيلم، ثمّ سألوكم هذه المسألة، لكان ينبغي أن تجيبوهم. وقال قيس بن الأشعث بن قيس: أجبْهم لَعَمْري ليصبحُنّك بالقتال غُدْوة. فقال: لو أعلم أن يفعلوا ما أخّرتُهم العشيّة. ثمّ رجع عنهم.

فجمع الحسين أصحابه بعد رجوع عمر فقال: أُثني على الله أحسن الثّناء، وأحمده على السّرّاء والضّرّاء، اللهمّ إنّي أحمدك على أن أكرمتَنا بالنّبوّة، وجعلتَ لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدةً، وعلّمتَنا القرآن، وفقّهتَنا في الدّين، فاجعلنا لك من الشاكرين، أمّا بعد، فإنّي لا أعلم أصحاباً أَوْفى[2] ولا خيراً[3] من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله جميعاً عنّي خيراً، ألا وإنّي لأظنّ يومنا من هؤلاء الأعداء غداً، وإنّي قد أذِنتُ لكم جميعاً، فانطلقوا في حِلٍّ، ليس عليكم منّي ذِمام، هذا الليل قد غشِيَكم، فاتّخذوه جَمَلاً، ولْيأخُذْ كلّ رجلٍ منكم بيد رجلٍ من أهل بيتي (فجزاكم الله جميعاً)[4]، ثمّ تفرّقوا في البلاد في سوادكم ومدائنكم حتّى يفرّج الله، فإنّ القوم يطلبونني، ولو أصابوني لَهَوْا عن طلب غيري. فقال له إخوته وأبناؤه وأبناء إخوته وأبناء عبد الله بن جعفر: لِمَ نفعل هذا؟ لنبقى بعدك! لا أرانا الله ذلك أبداً! فقال الحسين: يا بني عَقيل حسْبُكم من القتل بمسلم، اذهبوا فقد أذِنْت لكم. قالوا: وما نقول للناس؟ نقول: تركنا شيخنا وسيّدنا وبني عمومتنا خير الأعمام، ولم نرمِ معهم بسهم، ولم نطعن معهم برُمح، ولم نضْرب بسيفٍ، ولا ندري ما صنعوا؟ لا واللّهِ، لا نفعل، ولكنّا نفديك

(١) ما بين القوسين من (ر).

(٢) الطبري ٤١٨/٥ «أولى».

(٣) في الطبعة الأوربية: «خير».

(٤) من (ش).

بأنفسنا وأموالنا وأهلينا، ونقاتل معك حتّى نرِد موردك، فقبّح الله العيشَ بعدك!

وقام إليه مسلم بن عَوْسجة الأسديّ فقال: أَنَحْنُ نتخلّى عنك، ولم نُعذِر إلى الله في أداء حقّك؟ أمَا[1] والله لا أفارقك حتّى أكسر في صدورهم رُمحي، وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمُه بيدي، واللّهِ لو لم يكن معي سلاحي لقذفتهم بالحجارة دونك حتّى أموت معك. وتكلّم أصحابه بنحو هذا، فجزاهم الله خيراً[2].

وسمِعته أخته زينب تلك العشيّة وهو في خِباء له يقول: وعنده حُوَيّ[3] مولى أبي ذَرّ الغِفاريّ يعالج سيفه:

يا دَهرُ أُفٍّ [لكَ] مِنْ خَليلِ ... كم لكَ بالإشراقِ والأصيلِ
من صاحبٍ أوْ طالبٍ[4] قتيلِ ... والدّهرُ لا يقنَعُ بالبديلِ
وإنّما الأمرُ إلى الجَليلِ ... وكلُّ حيٍّ سالكُ السّبيلِ[5]

فأعادَها مرّتين أو ثلاثاً، فلمّا سمعته لم تملك نفسها أن وثبت تجرّ ثوبها حتّى انتهت إليه ونادت: واثكْلاه! ليت الموت أعدمني الحياة اليوم! ماتت فاطمة أمّي، وعليّ أبي، والحسن أخي، يا خليفة الماضي، وثِمَال الباقي! (فذهب)[6] فنظر إليها وقال: يا أُخَيّة لا يُذهبنّ حِلْمَك الشيطان. قالت: بأبي أنت وأمّي، استقتلتَ! نفسي لنفسك الفدى[7]! فردّد[8] غُصّته، وترقرقت عيناه، ثمّ قال: لو تُرِكَ القطا [ليلاً] لنام[9]. فلطمت وجهها وقالت: وا ويلتاه! أفتغصبك نفسك اغتصاباً، فذلك أقرح[10] لقلبي وأشدّ على نفسي! ثمّ لطمت وجهها، وشقّت جيبها، وخرّت مَغْشِيّاً عليها. فقام إليها الحسين فصبّ الماء على وجهها وقال: اتّقي الله وتعزَّيْ بعزاء الله، واعلمي أنّ أهلَ الأرض يموتون، وأهل السّماء لا يبقون، وأنّ كلّ شيءٍ هالكٌ إلّا وجه الله، أبي خير منّي، وأمّي خير منّي، وأخي خير

---

(١) في الطبعة الأوربية «أم».
(٢) الطبري ٥/٤١٩.
(٣) في (ر): «حولي».
(٤) في (ر): «من طالب بحقه»، وفي تاريخ اليعقوبي: «من طالب وصاحب».
(٥) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٤٤، الطبري ٥/٤٢٠، نهاية الأرب ٢٠/٤٣٦، الفتوح لابن أعثم ٥/١٤٩ باختلاف، مقاتل الطالبيين ١١٣.
(٦) من (ش).
(٧) الطبري ٥/٤٢٠ «استقتلَت نفسي فِداك».
(٨) الطبري «فردّ».
(٩) مجمع الأمثال للميداني ٢/٤٠٦، مقاتل الطالبيين ١١٣.
(١٠) في (ب): «أفزع».

منّي، ولي ولهم ولكلّ مسلم برسول الله أُسْوة. فعزّاها بهذا ونحوه، وقال لها: يا أُخَيّة، إنّي أقسم عليك لا تشُقّي عليّ جيباً، ولا تَخْمِشي عليّ وجهاً، ولا تَدْعي عليّ بالويل والثّبور إنْ أنا هلكتُ.

ثمّ خرج إلى أصحابه فأمرهم أن يقرّبوا بعض بيوتهم من بعض، وأن يُدخلوا الأطناب بعضها في بعض، ويكونوا بين يدي البيوت، فيستقبلون القوم من وجهٍ واحدٍ[1]، والبيوت على أيْمانهم وعن شمائلهم ومن ورائهم.

فلمّا أمسوا قاموا الليلَ كلّه يصلّون ويستغفرون ويتضرّعون ويدعون. فلمّا صلّى عمر بن سعد الغَداة يوم السبت، وقيل الجمعة، يوم عاشوراء، خرج فيمَنْ معه من الناس، وعبّى[2] الحسين أصحابه، وصلّى بهم صلاة الغداة، وكان معه اثنان وثلاثون فارساً، وأربعون راجلاً، فجعل زُهَير بن القَين في ميمنة أصحابه، وحَبيب بن مُطهّر في ميسرتهم، وأعطى رايتَه العبّاسَ أخاه، وجعلوا البيوت في ظهورهم، وأمر بحطبٍ وقصبٍ، فأُلقي في مكانٍ منخفضٍ من ورائهم كأنّه ساقيةٍ، عملوه في ساعةٍ من الليل، لئلاّ يؤتَوا من ورائهم، وأضرم ناراً، فنفعهم ذلك[3].

وجعل عمرُ بن سعد على رُبع أهل المدينة عبدَ الله بن زُهير الأزديّ، وعلى رُبع ربيعة وكِنْدة قيس بن الأشعث بن قيس، وعلى رُبع مَذْحِج وأسد عبدَ الرحمن بن أبي سَبْرة الجُعفيّ، وعلى رُبع تميم وهَمْدان الحُرَّ بن يزيد الرياحيّ، فشهد هؤلاء كلّهم مقتلَ الحسين، إلاّ الحُرّ بن يزيد، فإنّه عدل إلى الحسين، وقُتل معه، وجعل عمر على ميمنته عَمْرو بن الحجّاج الزُّبيديّ، وعلى مَيسرته شَمِر بن ذي الجَوْشن، وعلى الخيل عُرْوة بن قيس الأحمسيّ[4]، وعلى الرّجال شَبَث بن رِبْعيّ اليربوعيّ التميميّ، وأعطى الراية دريداً[5] مولاه.

فلمّا دنوا من الحسين أمر فضُرب له فُسطاط، ثمّ أمر بمسك فمِيثَ في جَفْنة، ثمّ دخل الحسين فاستعمل النّورة، ووقف عبد الرحمن بن عبد ربّه وبُرَيْر بن خُضَيْر[6] الهمدانيّ على باب الفسطاط، وازدحما أيّهما يَطّلي بعده، فجعل بُرير يُهازل عبد الرحمن، فقال له: واللّهِ ما هذه بساعة باطل. فقال بُرير: والله إنّ قومي لقد علموا

---

(١) في طبعة صادر ٥٩/٤ «وجه أحد».

(٢) في (ب) و(ر): «دعا».

(٣) الطبري ٤٢٠/٥ ـ ٤٢٢، نهاية الأرب ٤٣٦/٢٠ ـ ٤٣٨.

(٤) في (ر): «اللخمي».

(٥) الطبري ٤٢٢/٥ «ذُوَيداً».

(٦) في الطبعة الأوربية «يزيد بن حُصَين»، والطبري ٤٢٣/٥ «بُرَير بن حُضَير».

أنّي ما أحببتُ الباطل شابّاً ولا كهْلاً، ولكنّني مستبشرٌ بما نحن لاقون، واللّهِ ما بيننا وبين الحُور العين إلّا أن يميل هؤلاء علينا بأسيافهم. فلمّا فرغ الحسين دخلا، ثمّ ركب الحسين دابّته ودعا بمُصْحَفٍ، فوضعه أمامه، واقتتل أصحابه بين يديه، فرفع يديه ثمّ قال: اللهمّ أنتَ ثقتي في كلّ كَرْبٍ، ورجائي في كلّ شدّة، وأنت لي في كلّ أمر نزل بي ثقة وعُدَّة، كم من همٍّ يضعف فيه الفؤآد، وتقلّ فيه الحيلة، ويخذل فيه الصّديق، ويَشْمت به العدوّ، أنزلتُه بك، وشكَوْتُه إليك، رغبةً إليك عمّنْ سواك، ففرّجتَه وكشفتَه وكفيتنيه، فأنتَ وليّ كلّ نعمة، وصاحب كلّ حسنة، ومنتهَى كلّ رغبة[1].

فلمّا رأى أصحابُ عمر النّار تلتهبُ في القصب نادى شَمِر الحسين: تعجَّلْتَ النّارَ في الدّنيا قبل القيامة! فعرفه الحسين فقال: أنتَ أَوْلَى بها صُلِيّاً!

ثمّ ركب الحسين راحلته، وتقدّم إلى الناسِ، ونادى بصوتٍ عالٍ يسمعه كلّ الناس فقال: أيّها الناس اسمعوا قولي، ولا تُعجلوني حتّى أعِظهم بما يجب لكم[2] عليّ، وحتّى أعتذر إليكم من مَقْدَمي عليكم، فإنّ قبِلتم عُذْري، وصدَّقتم قولي، وأنصفتموني، كنتم بذلك أسعد[3]، ولم يكن لكم عليّ سبيل، وإنْ لم تقبلوا منّي العُذْر ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾[4] ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ، وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾[5]! قال: فلمّا سمع أَخَواته قوله بكَيْن، وصِحْن، وارتفعتْ أصواتهنّ، فأرسل إليهنّ أخاه العبّاس وابنه عليّاً لِيُسْكتاهنّ، وقال: لَعَمْري لَيَكْثُرَنّ بكاؤهنّ! فلمّا ذهبا قال: لا يبعد ابن عبّاس، وإنّما قالها حين سمع بكاءهنّ، لأنّه كان نهاه أن يخرج بهنّ معه.

فلمّا سكتْن حمد الله وأثنى عليه، وصلّى على محمدٍ وعلى الملائكة والأنبياء، وقال ما لا يُحْصَى كثرة، فما سُمع أبلغ[6] منه، ثمّ قال: أمّا بعد، فانسِبوني، فانظروا مَن أنا، ثمّ راجعوا أنفسكم فعاتبوها، وانظروا هل يصلُح ويحلّ لكم قتلي، وانتهاك حُرمتي، ألستُ ابن بنت نبيّكم، وابن وصيّه، وابن عمّه، وأَوْلى[7] المؤمنين بالله، والمصدّق لرسوله؟ أَوَليس حمزة سيّد الشهداء عمّ أبي؟ أَوَليس جعفر الشهيد الطّيّار في الجنّة عمّي؟

---

(١) الطبري ٤٢٣/٥، نهاية الأرب ٤٣٨/٢٠، ٤٣٩.

(٢) الطبري ٤٢٤/٥ «حتى أعظكم بما لحقٌ لكم عليّ».

(٣) في (ب): «أشهد».

(٤) سورة يونس ١٠، الآية ٧١.

(٥) سورة الأعراف ٧، الآية ١٩٦.

(٦) في الطبعة الأوربية: «أبله».

(٧) الطبري ٤٢٤/٥ «وأول».

أوَلم يبلغكم قول مستفيض [فيكم]: إنّ رسول الله ﷺ، قال لي ولأخي: أنتما سيّدا شباب أهل الجنّة (وقُرّة عين أهل السُّنّة)[1]؟ فإنْ صدّقتموني بما أقول، وهو الحقّ، واللّهِ ما تعمّدتُ كذِباً مذ علمتُ أن الله يمقت عليه [أهلَه]، وإنْ كذّبتموني، فإنّ فيكم مَنْ إن سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله، أو أبا سعيد، أو سَهْل بن سعد، أو زيد بن أرقم، أو أنساً، يخبروكم أنّهم سمعوه من رسول الله ﷺ، أما في هذا حاجز يحجزكم عن سفْك دمي؟

فقال له شَمِر: هو يعبد الله على حرفٍ إن كان يدري ما يقول! فقال له حَبيب بن مُطهّر[2]: والله إنّي أراك تعبد الله على سبعين حرْفاً، وإنّ الله قد طبع على قلبك، فلا تدري ما تقول.

ثمّ قال الحسين: فإنْ كنتم في شكٍّ ممّا أقول، أوَتشكّون في أنّي ابن بنت نبيّكم؟ فواللّهِ ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبيٍّ غيري منكم، ولا من غيركم. أخبروني، أتطلبوني بقتيلٍ منكم قتلتُه، أو بمالٍ لكم استهلكتُه، أو بقَصاصٍ من جراحة؟ فلم يكلّموه[3]، فنادى: يا شَبَث بن رِبعيّ! ويا حجّار بن أبجر! ويا قيس بن الأشعث! ويا زيد بن الحارث! ألم تكتبوا إليّ في القدوم عليكم؟ قالوا: لم نفعل. ثمّ قال: بلى فعلتم. ثمّ قال: أيّها الناس إذْ كرهتموني[4] فدَعوني أنصرف إلى مأمني من الأرض.

قال: فقال له قيس بن الأشعث: أوَلا تنزل على حكم ابن عمّك، يعني ابن زياد، فإنّك لن ترى إلّا ما تحبّ. فقال له الحسين: أنت أخو أخيك، أتريد أن يطلبك[5] بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن عَقيل؟ لا واللّهِ، ولا أعطيهم بيدي عطاء الذّليل، ولا أُقرّ إقرار العبد. عبادَ الله إنّي عُذْتُ بربّي وربّكم أن تَرْجُمونِ، أعوذ بربّي وربّكم من كلّ متكبّر لا يؤمن بيوم الحساب، ثمّ أناخ راحلته ونزل عنها[6].

وخرج زُهَير بن القَيْن على فرس له في السّلاح فقال: يا أهلَ الكوفة، نَذارِ[7] لكم من عذاب الله نَذارِ[7]، إنّ حقّاً على المسلم نصيحة المسلم، ونحن حتّى الآن إخوةٌ على دِينٍ واحد، ما لم يقع بيننا وبينكم السيف، فإذا وقع السيف انقطعت العِصْمةُ، وكنّا نحن

---

(١) ما بين القوسين من (ش).

(٢) الطبري ٥/٤٢٥ «حبيب بن مظاهر».

(٣) في (ب): «فلم يكلمه أحد».

(٤) في (ش): «كرهتم».

(٥) في الطبعة الأوربية: «يطلبونك».

(٦) الطبري ٥/٤٢٥، ٤٢٦.

(٧) في الطبعة الأوربية: «بدار».

أمّـة وأنتم أمّة، إنّ الله قـد ابتلانـا وإيّاكم بـذُرّيّـة نبيّـه محمـد ﷺ، لينـظر مـا نحن وأنتم عاملون، إنّا ندعوكم إلى نصره، وخذلان الطّاغية ابن الطّاغية عُبَيْد الله بن زياد، فإنّكم لا تدركون منهمـا إلاّ سوءاً، يسمـلان أعيُنكم، ويقطّعـان أيديكم وأرجلكم، ويُمثّـلان بكم، ويـرفعـانكم على جـذوع النَّخْـل، ويقتّـلان أمـاثلكم[1] وقُـرّاءكم، أمثـال حُجْـر بن عـديّ وأصحابه، وهانىء بن عُرْوَة وأشباهه!

قـال: فسبّوه، وأثنـوا على ابن زياد وقـالوا: والله لا نبـرح حتّى نقتل صـاحبك ومَنْ معه، أو نبعث به وبأصحابه إلى الأمير عُبيـد الله بن زياد سِلمـاً. فقال لهم: يـا عباد الله، إنّ ولد فاطمة أحقّ بالودّ والنّصْر من ابن سُمَيّـة، فإنْ كنتم لم تنصـروهم فأعيـذُكم بالله أن تقتلوهم، خلّوا بين الرجل وبين ابن عمّه يزيد بن معاويـة، فلَعَمْري إنّ يـزيد ليـرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين. فرماه شَمِرٌ بسهم وقال: اسكتْ أسكت اللّهُ نأمتـك، أبرمْتَنـا بكثرة كلامك! فقال زُهير: يا ابنَ البوّال على عَقِبَيْه! مـا إيّاكَ أخـاطب، إنّما أنت بَهيمـة! واللّهِ ما أظنّك تُحْكِمُ من كتـاب الله آيتين، فأبشِـرْ بالخـزْي يوم القيـامة والعَـذاب الأليم. فقال شَمِر: إنّ الله قاتِلُك وصاحبَكَ عن ساعة. قال: أَفَبِالموت تخوّفني؟ والله لَلموت معه أحبّ إليّ من الخُلْد معكم! ثمّ رفـع صوتـه وقال: عبـادَ الله، لا يغـرّنكم من دِينكم هـذا الجِلْف الجافي، فواللّهِ، لا تنال شفاعةُ محمّد قوماً أهـرقوا دمـاء ذرّيّته وأهـل بيته، وقتلوا مَنْ نصرهم، وذبّ عن حريمهم. فأمره الحسين فرجع[2].

ولما زحف عمر نحو الحسين أتاه الحُرّ بن يزيد فقال له: أصلحك الله! أَمُقاتلٌ أنتَ هذا الرجل؟ قال له: إي إي والله قتالاً أيسـره أن تسقط الرؤوس، وتـطيح الأيـدي. قال: أفما لكم في واحدةٍ من الخصال التي عرض عليكم رضًى؟ فقـال عمر بن سعـد: والله لو كان الأمر إليّ[3] لفعلتُ، ولكنّ أميرك قد أبَى ذلك. فأقبل يدنو نحو الحسين قليـلاً قليلاً، وأخذتْه رِعدة، فقال له رجل من قومه يقال له المهاجر بن أوْس: والله إنّ أمـرك لمريب[4]! والله ما رأيتُ منك في موقفٍ قطّ مثلَ ما أراه الآن! ولو قيل مَـنْ أشجعُ أهل الكوفـة، لَما عدوتُك. فقال له: إنّي والله أخيّر نفسي بين الجنّة والنار، ولا أختار على الجنّة شيئاً، ولو قُـطّعتُ وحُرّقتُ. ثمّ ضـرب فرسـه فلحِق بالحسين، فقـال لـه: جعلني الله فِـداك يـا ابنَ رسول الله! أنا صاحبك الّذي حبستُك عن الرجوع، وسايرتُك في الطّريق، وجعجعتُ بك في هـذا المكان، وواللّهِ مـا ظننتُ أنّ القوم يـردّون عليـك مـا عـرضتَ عليهم أبـداً، ولا

---

(١) في الأوربية: «أمثالكم».
(٢) الطبري ٥/٤٢٦، ٤٢٧.
(٣) في (ب): «بيدي».
(٤) في (ب): «لمرتب».

يبلغون منك هذه المنزلة أبداً، فقلتُ في نفسي: لا أبالي أن أطيع القوم في بعض أمرهم، ولا يرون أنّي خرجتُ من طاعتهم، وأمّا هم فيقبلون بعض ما تدعوهم إليه، وواللّهِ لو ظننتُ أنّهم لا يقبلونها منك ما ركبتُها منك، وإنّي قد جئتُك تائباً ممّا كان منّي إلى ربّي، مؤآسياً لك بنفسي، حتى أموت بين يديك[1]، أفترى ذلك توبة؟ قال: نعم، يتوب الله عليك ويغفر لك.

وتقدّم الحُرّ أمام أصحابه ثمّ قال: أيّها القوم، ألا تقبلون من الحسين خصلةً من هذه الخصال الّتي عرض عليكم، فيعافيَكم الله من حربه وقتاله؟ فقال عمر: لقد حرصتُ لو وجدتُ إلى ذلك سبيلاً. فقال: يا أهل الكوفة لأمّكم الهَبَل والعُبْر[2]! أدَعَوْتُموه، حتّى إذا أتاكم أسلمتموه، وزعمتم أنّكم قاتلو أنفسكم دونه، ثمّ عَدَوْتم عليه لتقتلوه؟ أمسكتم بنفسه، وأحطتم به، ومنعتموه من التوجّه في بلاد الله العريضة حتّى يأمن، ويأمن أهلُ بيته، فأصبح كالأسير، لا يملك لنفسه نفْعاً، ولا يدفع عنها ضُرّاً، ومنعتموه ومَنْ معه عن ماء الفرات الجاري، يشربه اليهوديّ والنّصْرانيّ والمجوسيّ، ويتمرّغ فيه خنازير السّواد وكلابه، وها هو وأهله قد صرعهم العطش! بئسما خلَفتم محمداً في ذرّيّته! لا سقاكم الله يوم الظمإ[3] إن لم تتوبوا وتنزعوا عمّا أنتم عليه! فرموه بالنّبل، فرجع حتّى وقف أمامَ الحسين[4].

ثمّ قدِم عمر بن سعد برايته، وأخذ سهماً فرمى به وقال: اشهدوا لي أنّي أوّل رامٍ! ثمّ رمى الناسُ، وبرز يسار، مولى زياد، وسالم، مولى عُبَيد الله، وطلبا البراز، فخرج إليهما عبد الله بن عُمَير الكلبيُّ، وكان قد أتى الحسين من الكوفة، وسارت معه امرأته، فقالا له: مَنْ أنت؟ فانتسب لهما. فقالا: لا نعرفك، ليخرجْ إلينا زُهَير بن القَين، أو حبيب بن مُظهّر[5]، أو بُرَير بن خُضَير[6]. وكان يسار أمام سالم، فقال له الكلبيُّ: يا ابن الزّانية، وبك رغبةٌ عن مبارزة أحدٍ من الناس، و[ما] يخرج إليك أحد إلّا وهو خير منك! ثمّ حمل عليه، فضربه بسيفه حتّى برد، فاشتغل به يضربه، فحمل عليه سالم، فلم يأبه له حتّى غشِيه فضربه، فاتّقاه الكلبيّ بيده، فأطار أصابع كفّه اليسرى، ثمّ مال عليه الكلبيّ فضربه حتّى قتله، وأخذت امرأته عموداً، وكانت تسمّى أمّ وهْب، وأقبلت نحو زوجها وهي تقول: فِداك أبي وأمّي! قاتلْ دون الطّيّبين ذرّية محمد! فردّها نحو النساء، فامتنعت

(١) في (ب) زيادة: «ثم نادى لعمر وقال».
(٢) العُبْر: سُخنة العين.
(٣) في (ب): «الفزع الأكبر».
(٤) الطبري ٥/٤٢٧ - ٤٢٩، نهاية الأرب ٢٠/٤٤٦.
(٥) الطبري ٥/٤٢٩ «مظاهر»، ونهاية الأرب ٢٠/٤٤٦ «مظهّر».
(٦) الطبري: «حضير»، وقد أكّد المؤلّف أنه بالخاء المعجمة، كما سيأتي.

وقالت: لن أدعك دون أن أموت معك. فناداها الحسينُ فقال: جُزيتم من أهل بيت خيراً! ارجعي رحِمَك الله، ليس الجهاد إلى النساء. فرجعت[1].

فزحف عَمْرو بن الحجّاج في مَيْمنة عمر، فلمّا دنا من الحسين جَثَوْا له على الرُّكب، وأشرعوا الرماح نحوهم، فلم تقدم خيلهم على الرماح، فذهبت الخيل لترجع، فرشقوهم بالنَّبل، فصرعوا منهم رجالاً، وجرحوا آخرين.

وتقدّم رجل منهم يقال له ابن حَوْزة فقال: أفيكم الحسين؟ فلم يُجِبْه أحد، فقالها ثلاثاً، فقالوا: نعم، فما حاجتك؟ قال: يا حسين أبشِرْ بالنار! قال له: كذبتَ، بل أقدم على ربٍّ رحيمٍ وشفيعٍ مُطاع، فمن أنت؟ قال: ابن حَوْزة، فرفع الحسين يديه فقال: اللهمَّ حُزْه إلى النار! فغضب ابن حَوْزة، فأقحم فرسه في نهرٍ بينهما، فتعلّقتْ قدمه بالرّكاب، وجالت به الفَرَس، فسقط عنها، فانقطعت فخذه وساقه وقدمه، وبقي جنْبه الآخر متعلّقاً بالركاب، يضرب به كلّ حجرٍ وشجرٍ حتّى مات[2].

وكان مسروق بن وائل الحضرميُّ قد خرج معهم وقال لعليّ: أصيب رأس الحسين، فأصيب به منزلةً[3] عند ابن زياد، فلمّا رأى ما صنع الله بابن حَوْزة بدعاء الحسين رجع وقال: لقد رأيتُ من أهل هذا البيت شيئاً، لا أقاتلهم أبداً[4].

ونشب القتال، وخرج يزيد بن مَعْقِل حليف عبد القيس فقال: يا بُرَيْر بن خُضَير[5] كيف ترى الله صنع بك؟ قال: والله لقد صنع بي خيراً، وصنع بك شرّاً فقال: كذبت، وقبل اليوم ما كنتَ كذّاباً، وأنا أشهد أنّك من الضالّين. فقال له ابن خضير[5]: هل لك أن أُباهلك، أن يلعن الله الكاذب ويقتل المبطل، ثمّ أخرج أبارزك! فخرجا فتباهلا أن يلعن الله الكاذبَ ويقتلَ المُحقُّ المبطلَ، ثمّ تبارزا، فاختلفا ضربتَين، فضرب يزيدُ بن مَعقِل بُرَيْرَ بن خُضَير[5]، فلم يضرّه شيئاً، وضربه ابن خُضير[5] ضربةً قدّت المِغْفَر، وبلغت الدّماغ، فسقط والسيف في رأسه، فحمل عليه رضيّ بن منقذ العبديّ، فاعتنق ابنَ خُضير[5]، فاعتركا ساعة، ثمّ إن ابن خُضير قعد على صدره، فحمل كعبُ بن جابر الأزديّ عليه بالرمح، فوضعه في ظهره حتّى غيّب السِّنان فيه، فلمّا وجد مسّ الرُّمح نزل عن رَضِيّ، فعضّ أنفه وقطع طرفه، وأقبل إليه كعب بن جابر، فضربه بسيفه حتّى قتله، وقام رضيّ ينفض التّراب عن قَبائه، فلمّا رجع كعب قالت له امرأته: أعنتَ على ابن

(١) الطبري ٥/٤٢٩، ٤٣٠.
(٢) الطبري ٥/٤٣٠، ٤٣١.
(٣) في طبعة صادر «منزله» بالهاء، وهو غلط.
(٤) الطبري ٥/٤٣١.
(٥) الطبري «حضير».

فاطمة، وقتلتَ بُرَيراً سيّد القرّاء، [واللّهِ] لا أكلّمك أبداً![1]

وخرج عَمْرو بن قَرَظة الأنصاريّ، وقاتل دون الحسين فقُتل، وكان أخوه مع عمر بن سعد، فنادى: يا حسين، يا كذّاب ابن الكذّاب! أضللتَ أخي وغررتَهُ حتّى قتلته! فقال: إنّ الله لم يُضِلّ أخاك، بل هداه وأضلّك. قال: قتلني الله إن لم أقتلك أو أموتَ دونك. فحمل، واعترضه نافع بن هلال المُراديّ، فطعنه فصرعه، فحمل أصحابُه فاستنقذوه، [فدُووِيَ بَعْدُ] فبرأ.

وقاتل الحُرّ بن يزيد مع الحسين قتالاً شديداً، وبرز إليه يزيد بن سُفيان فقتله الحُرّ، وقاتل نافع بن هلال مع الحسين أيضاً، فبرز إليه مُزاحم بن حُرَيْث، فقتله نافع.

فصاح عَمْرو بن الحجّاج بالناس: أتدرون مَنْ تقاتلون؟ فرسان المِصْر، قوماً مستميتين، لايبرزْ إليهم منكم أحد، فإنّهم قليل، وقلّ ما يبقون، والله لو لم ترموهم إلّا بالحجارة لقتلتموهم. يا أهل الكوفة الزموا طاعتكم وجماعتكم، لا ترتابوا في قتل مَنْ مرق من الدّين وخالف الإمام. فقال عمر: الرأي ما رأيتَ. ومنع الناسَ من المبارزة. قال: وسمعه الحسين فقال: يا عَمْرو بن الحجّاج، أَعَلَيّ تحرّض الناس؟ أَنَحْنُ مرقْنا من الدّين أم أنتم؟ والله لتعلَمُنّ لو قُبضت أرواحكم ومتّم على أعمالكم، أيّنا المارق.

ثمّ حمل عَمْرو بن الحجّاج على الحسين من نحو الفرات، فاضطّربوا ساعةً، فصُرع مسلمُ بن عَوسجة الأسديّ، وانصرف عَمْرو ومسلم صريع، فمشى إليه الحسينُ وبه رمقٌ فقال: رحمك الله يا مسلم بن عَوْسجة، ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾[2]. ودنا منه حبيب بن مُطهّر[3] وقال: عزَّ عليّ مصرعك، أبشِرْ بالجنّة، ولولا أنّي أعلم أنّني في أثرك لاحقٌ بك، لأحببتُ أن توصّيني حتّى أحفظك بما أنت له أهل. فقال: أوصّيك بهذا، رحِمَك الله، وأومأ بيده نحو الحسين، أن تموت دونه. فقال: أفعل. ثمّ مات مسلم، وصاحت جاريةٌ له فقالت: يابن عَوْسجة! فينادي أصحاب عَمْرو: قتلنا مسلماً. فقال شَبَث لبعض مَنْ حوله: ثكِلتْكم أمّهاتكم! إنّما تقتلون أنفسكم بأيديكم، وتُذلّون أنفسكم لغيركم، أتفرحون بقتْل مثل مسلم؟ أمَا والذي أسلمتُ له، لرُبّ موقفٍ له قد رأيتُه في المسلمين، فلقد رأيته يوم سَلَق أَذْرَبيْجان قتل ستّة من المشركين قبل أن تنام خيول المسلمين، أفيُقتل مثله وتفرحون؟[4]

---

(١) الطبري ٤٣١/٥ ـ ٤٣٣.

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٢٣.

(٣) الطبري ٤٣٥/٥ «مظاهر».

(٤) الطبري ٤٣٥/٥، ٤٣٦.

وكان الذي قتله مسلمُ بن عبد الله الضِّبابيُّ وعبد الرحمن بن أبي خُشْكارة البَجَليُّ.

وحمل شَمِر في الميسرة، فثبتوا له، وحملوا على الحسين وأصحابه من كلّ جانب، فقُتل الكلبيُّ وقد قتل رجلين بعد الرجلَين الأوَّلين، وقاتل قتالاً شديداً، فقتله هانىء بن ثُبيت الحضرميُّ، وبُكَير بن حيّ التيميُّ من تَيْم الله بن ثعلبة، وقاتل أصحابُ الحسين قتالاً شديداً، وهم اثنان وثلاثون فارساً، فلم تحمل على جانبٍ من خيل الكوفة إلاّ كشفتْه. فلمّا رأى ذلك عَزْرَة بن قيس، وهو على خيل الكوفة، بعث إلى عمر فقال: ألا ترى ما تلقى خيلي هذا اليوم من هذه العِدّة اليسيرة؟ ابعثْ إليهم الرجال والرُّماة. فقال لشَبَث بن رِبعيّ: ألا تَقْدَم إليهم! فقال: سبحان الله! شيخ مُضَر وأهل المِصْر عامّة تبعثه في الرُّماة، لم تجد لهذا غيري! ولم يزالوا يرون من شَبَث الكراهة للقتال، حتّى إنّه كان يقول في إمارة مُصْعَب: لا يُعطي اللّهُ أهلَ هذا المِصْر خيراً أبداً، ولا يسدّدهم لرُشْد، ألا تعجبون أنّا قاتلنا مع عليّ بن أبي طالب ومع ابنه[1] آل أبي سُفيان خمس سنين، ثمّ عدونا على ابنه، وهو خير أهل الأرض، نقاتله مع آل معاوية وابن سُمَيّة الزّانية، ضلال يا لك من ضلال![2]

فلمّا قال شبث ذلك دعا عمر بن سعد الحُصَين[3] بن نُمَير[4]، فبعث معه المُجَفَّفة وخمسمائة من المُرَامِية، فلمّا دنُوا من الحسين وأصحابه رشقوهم بالنَّبل، فلم يلبثوا أن عقروا خيولهم، وصاروا رَجّالةً كلّهم، وقاتل الحُرّ بن يزيد راجلاً قتالاً شديداً، فقاتلوهم، إلى أن انتصف النهار، أشدّ قتال خلقه الله، لا يقدرون يأتونهم إلاّ من وجهٍ واحدٍ، لاجتماع مضاربهم. فلمّا رأى ذلك عمر أرسل رجالاً يُقوّضونها عن أيمانهم وشمائلهم، ليُحيطوا بهم، فكان النَّفر من أصحاب الحسين الثلاثة والأربعة يتخلّلون البيوت، فيقتلون الرجل وهو يقوّض وينهب، ويرمونه من قريب أو يعقرونه، فأمر بها عمر بن سعد فأُحْرقت، فقال لهم الحسين: دَعوهم فلْيحرقوها، فإنّهم إذا حرقوها لا يستطيعون أن يجوزوا إليكم منها. فكان كذلك.

وخرجت امرأة الكلبيّ، فجلست عند رأسه تمسح التّراب عن وجهه وتقول: هنيئاً لك الجنّة! فأمر شَمِر غلاماً اسمه رستم، فضرب رأسها بالعمود، فماتت مكانها[5].

وحمل شمر حتّى بلغ فُسطاط الحسين ونادى: عليّ بالنار حتّى أُحرِّق هذا البيت

---

(١) في (ر) زيادة: «ونحن مع».

(٢) الطبري ٤٣٦/٥، ٤٣٧.

(٣) في (ب): «الحسين».

(٤) الطبري ٤٣٧/٥ «تميم».

(٥) نهاية الأرب ٤٥٠/٢٠.

على أهله، فصاحَ النساء وخرجن، وصاح به الحسين: أنت تحرِّق بيتي على أهلي؟ حرَّقك الله بالنار! فقال حُميد بن مسلم لشمر: إنّ هذا لا يصلح [لك]، تعَذِّب بعذاب الله، وتقتل الولدان والنساء، والله إنّ في قتل الرجال ما يرضى به أميرك! فلم يقبل منه، فجاءه شَبَث بن رِبْعيّ فنهاه فانتهى، وذهب لينصرف فحمل عليه زهَير بن القَين في عشرةٍ، فكشفهم عن البيوت، وقتلوا أبا عزّة[1] الضِّبابيَّ، وكان من أصحاب شَمِر: وعطف الناس عليهم فكثروهم، وكانوا إذا قُتل منهم الرجل والرجلان يبين فيهم لقلّتهم، وإذا قُتل في أولئك لا يبين فيهم لكثرتهم.

ولما حضر وقتُ الصلاة قال أبو ثُمامة الصّائديُّ للحسين: نفسي لنفسك الفداء! أرى هؤلاء قد اقتربوا منك، والله لا تُقْتَل حتّى أُقتل دونك، وأُحبّ أن ألقى ربّي وقد صلّيتُ هذه الصلاة! فرفع الحسينُ رأسه وقال: ذكرتَ الصلاة جعلك الله من المصلّين الذّاكرين، نعم هذا أوّل وقتها، ثمّ قال: سلوهم أن يكفّوا عنّا حتّى نصلّي. ففعلوا، فقال لهم الحُصَين: إنّها لا تُقبل[2]. فقال له حبيب (بن مُطهّر[3]: زعمتَ لا تُقبل الصلاة من آل رسول الله ﷺ، وتُقبل)[4] منك يا حمار! فحمل عليه الحُصَين، وخرج إليه (حبيب)[5] فضرب وجه فرسه بالسيف، فشبّ فسقط عنه الحُصَين، فاستنقذه[6] أصحابه[7].

وقاتل حبيب (قتالاً شديداً، فقتل رجلاً من بني تميم اسمه بُدَيل بن صُرَيم، وحمل عليه آخر من تميم، فطعنه، فذهب ليقوم فضربه الحُصَينُ على رأسه بالسيف، فوقع ونزل إليه التميميُّ فاحتزّ رأسه، فقال له الحُصَين: أنا شريكك في قتله. فقال الآخر: لا والله! فقال له الحُصَين: أعطنيه أعلّقه في عنق فرسي، كيما يرى الناس أنّي شرِكتُ في قتله، ثمّ خُذْه وامضِ به إلى ابن زياد، فلا حاجة لي فيما تُعطاه.

ففعل وجال به في الناس، ثمّ دفعه إليه، فلمّا رجعوا إلى الكوفة أخذ الرأس وجعله في عنق فرسه)[8]، ثمّ أقبل به إلى ابن زياد في القصر، فبصر به القاسم بن حبيب، وقد راهق، فأقبل مع الفارس لا يفارقه، فارتاب به الرجل، فسأله عن حاله، فأخبره وطلب

---

(١) في (ب): «أبا عمرة».
(٢) في الأوربية: «إنه لا نقبل».
(٣) الطبري ٥/ ٤٣٩ «مظاهر».
(٤) ما بين القوسين ساقط من الطبعة الأوربية وليس فيها سوى «ونقبل».
(٥) من (ب).
(٦) في الأوربية: «فاستنقذوه».
(٧) الطبري ٥/ ٤٣٦ - ٤٣٩.
(٨) ما بين القوسين من (ش).

الرأس ليدفنه، فقال: إنّ الأمير لا يرضى أن يُدْفن، وأرجو أن يثيبني الأمير. فقال له: لكنّ الله لا يثيبك إلّا أسوأ الثواب. ولم يزل يطلب غِرّة قاتل أبيه، حتّى كان زمان مُصْعَب، وغزا مُصْعَب باجُمَيْرَى[1]، ودخل القاسم عسكره، فإذا قاتلُ أبيه في فُسطاطه، فدخل عليه نصف النهار فقتله[2].

فلمّا قُتل حبيب هدّ ذلك الحسين، وقال عند ذلك: أحتسِب نفسي وحُماة أصحابي، وحمل الحُرّ وزُهير بن القَين، فقاتلا قتالاً شديداً، وكان إذا حمل أحدهما وغاص فيهم، حمل الآخر حتّى يخلّصه، فعلا ذلك ساعة، ثمّ إنّ رَجّالةً حملت على الحُرّ بن يزيد فقتلته، وقَتل أبو ثُمامة الصّائديُّ ابنَ عمّ له كان عدوّه، ثمّ صلّوا الظُهْر، صلّى بهم الحسين صلاة الخوف، ثمّ اقتتلوا بعد الظُّهْر، فاشتدّ قتالهم، ووُصل[3] إلى الحسين، فاستقدم الحنفيُّ أمامه، فاستهدف لهم يرمونه بالنَّبل وهو بين يديه حتى سقط[4].

وقاتل زُهير بن القَين قتالاً شديداً، فحمل عليه كثير بن عُبَيد الله الشّعبيُّ ومهاجر بن أوس فقتلاه، وكان نافع بن هلال الجمليُّ[5] قد كتب اسمه على أفْواق نَبْله، وكانت مسمومة[6]، فقتل بها اثني عشر رجلاً سوى مَن جُرح، فضُرب حتّى كُسرت عضُداه وأُخذ أسيراً، فأخذه شَمِر بن ذي الجَوْشن، فأتى به عمرَ بن سعد والدم على وجهه، وهو يقول: لقد قتلتُ منكم اثني عشر رجلاً سوى مَن جرحتُ، ولو بقيت لي عضُدٌ وساعدٌ ما أسرتموني. فانتضى شَمِرٌ سيفَه ليقتله، فقال له نافع: والله لو كنتَ من المسلمين لَعَظُم عليك أن تلقى اللّهَ بدمائنا، فالحمد لله الذي جعل مَنايانا على يدَيْ شِرار خلقه! فقتله شَمِرٌ[7]، ثمّ حمل على أصحاب الحسين.

فلمّا رأوا أنّهم قد كثروا، وأنّهم لا يقدرون يمنعون الحسين ولا أنفسهم، تنافَسوا أن يُقتلوا بين يديه، فجاء عبد الله وعبد الرحمن ابنا عَزْرة[8] الغِفاريّان إليه فقالا: قد حازنا

---

(١) في الأوربية: «باخميرا». وباجُمَيْرَى: بضم الجيم، وفتح الميم، وياء ساكنة، وراء مقصورة، موضع دون تكريت. (معجم البلدان ١/٣١٤).

(٢) في (ب): «فدخل عليه نصف النهار فضرب حتى قتل»، وفي تاريخ الطبري ٥/٤٤٠ «فضربه بسيفه حتى برد».

(٣) في (ب): «ووصلوا».

(٤) الطبري ٥/٤٣٩ ـ ٤٤١.

(٥) في (ب) و (ر): «البجلي».

(٦) الطبري ٥/٤٤١: «وكانت مسوّمة».

(٧) الطبري ٥/٤٤١، ٤٤٢.

(٨) في (ب) و (ر): «عروة»، وفي طبعة صادر «عزودة»، وما أثبتناه عن الطبري ٥/٤٤٢.

الناس إليك. فجعلا يقاتلان بين يديه، وأتاه الفتيان الجابريّان، وهما سيف بن الحارث بن سُرَيْع، ومالك بن عبد بن سُرَيْع، وهما ابنا عمّ وأخوان لأمّ، وهما يبكيان، فقال لهما: ما يُبكيكما؟ إنّي لأرجو أن تكونا عن ساعةٍ قريرَيْ عين[1]. فقالا: واللهِ ما على أنفسنا نبكي، ولكنْ نبكي عليك، نراك قد أُحيط بك، ولا نقدر أن نمنعك! فقال: جزاكما الله جزاء المتّقين[2]!

وجاء حنظلةُ بن أسعد الشِّباميّ، فوقف بين يدي الحسين، وجعل ينادي: ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ، مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ * (وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبَادِ، وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ، يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ، وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ[3]﴾)[4]. يا قوم، لا تقتلوا الحسين فَيُسْحِتَكُم الله بعذابٍ ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾[5]، فقال له الحسينُ: رحِمك الله! إنّهم قد استوجبوا العذاب حين ردّوا ما دعوتهم إليه من الحقّ، (ونهضوا ليستبيحوك وأصحابك، فكيف بهم الآن)[6] قد قتلوا إخوانك الصّالحين! فسلّم على الحسين، وصلّى عليه وعلى أهل بيته، وتقدّم وقاتل حتّى قُتل[7].

وتقدّم الفتيان الجابريّان فودّعا الحسين، وقاتلا حتّى قُتلا.

وجاء عابس بنِ أبي شَبيب الشّاكريُّ وشَوْذب مولى شاكر إلى الحسين، فسلّما عليه، وتقدّما فقاتلا فقُتل شَوْذب، وأمّا عابس، فطلب البراز، فتحاماه الناس لشجاعته، فقال لهم عمر: ارموه بالحجارة، فرمَوْه من كلّ جانب، فلمّا رأى ذلك ألقى درعه ومِغْفَره، وحمل على الناس، فهزمهم بين يديه، ثمّ رجعوا عليه، فقتلوه، وادّعى قتله جماعةٌ.

وجاء الضّحّاك بن عبد الله المشرفيُّ[8] إلى الحسين فقال: يا ابن رسول الله، قد علمتَ أنّي قلتُ لك إنّي أقاتل عنك ما رأيتُ مقاتلاً، فإذا لم أرَ مقاتلاً، فأنا في حِلٍّ من الانصراف. فقال له الحسين: صدقتَ، وكيف لك بالنّجاء؟ إنْ قدرتَ عليه فأنتَ في

---

(١) في الأوربية: «عيني».
(٢) الطبري ٥/٤٤٢، ٤٤٣.
(٣) سورة غافر، الآيات ٣٠ ـ ٣٣.
(٤) ما بين القوسين من (ب).
(٥) سورة طه، الآية ٦١.
(٦) ما بين القوسين من (ب).
(٧) الطبري ٥/٤٤٣، نهاية الأرب ٢٠/٤٥٤.
(٨) في (ر): «المزني».

حِلّ. قال: فأقبلتُ إلى فَرَسي، وكنتُ قد تركته في خباء حيث رأيت خيل أصحابنا تُعْقَر، وقاتلتُ راجلاً وقتلتُ رجلَين، وقطعتُ يد آخر، ودعا إلى الحسين مراراً، قال: واستخرجتُ فرسي واستويتُ عليه، وحملتُ على عُرض القوم، فأفرجوا لي، وتبِعَني منهم خمسة عشر رجلاً، ففُتُّهم وسلمتُ[1].

وجثا أبو الشَّعثاء الكِنْديُّ، وهو يزيد بن أبي زياد، بين يدي الحسين، فرمى بمائة سهم، ما سقط منها خمسة أسهُم، وكلّما رمى يقول له الحسين: اللهمّ شدِّدْ رميته، واجعلْ ثوابَه الجنّة! وكان يزيد هذا فيمَن خرج مع عمر بن سعد، فلمّا ردّوا الشروط على الحسين عدل إليه، فقاتل بين يديه، وكان أوّل مَن قُتل[2].

وأمّا الصَّيْداويّ عَمرو بن خالد، وجبّار[3] بن الحارث السَّلمانيُّ، وسعد مولى عَمرو بن خالد، ومُجمّع بن عُبيد[4] الله العائذيُّ، فإنّهم قاتلوا أوّل القتال، فلمّا وغلوا فيهم عطفوا إليهم، فقطعوهم عن أصحابهم، فحمل العبّاس بن عليّ، فاستنقذهم وقد جُرحوا، فلمّا دنا منهم عدوّهم حملوا عليهم، فقاتلوا فقُتلوا في أوّل الأمر في مكانٍ واحد[5].

وكان آخر مَن بقي من أصحاب الحسين سُوَيْد بن أبي المطاع[6] الخثعميُّ، وكان أوّل من قُتل من آل بني أبي طالب يومئذٍ عليٌّ الأكبر ابن الحسين، وأُمّه ليلى بنت أبي مُرّة بن عُرْوة بن مسعود الثقفيّة، وذلك أنّه حمل عليهم وهو يقول:

أنا عليُّ بنُ الحسينِ بنِ عليّ ... نحنُ وربِّ البيت[7] أَوْلَى بالنبيّ
تاللهِ لا يحكُمُ فينا ابنُ الدَّعيّ[8]

ففعل ذلك مراراً، فحمل عليه مُرّةُ بن مُنْقِذ[9] العبديُّ، فطعنه، فصُرِع، وقطّعه الناس بسيوفهم، فلمّا رآه الحسين قال: قتل اللّهُ قوماً قتلوك! يا بُنيّ ما أجرأهم على الله وعلى انتهاك حُرمة الرسول! على الدنيا بعدك العَفاء! وأقبل الحسين إليه ومعه فتيانه

---

(١) الطبري ٥/٤٤٣ - ٤٤٥.
(٢) الطبري ٥/٤٤٥، نهاية الأرب ٢٠/٤٥٥.
(٣) الطبري ٥/٤٤٦ «وجابر».
(٤) الطبري: «عبد».
(٥) الطبري ٥/٤٤٦.
(٦) في (ر): «المطعم».
(٧) في (ب): «العرش»، وفي مروج الذهب: «نحن وبيت الله»: ومثله في البداية والنهاية.
(٨) الطبري ٥/٤٤٦، مروج الذهب ٣/٧١، البداية والنهاية ٨/١٨٥، نهاية الأرب ٢٠/٤٥٥.
(٩) في (ب): «سعد».

فقال: احملوا أخاكم، فحملوه حتّى وضعوه بين يدي الفُسطاط الّذي كانوا يقاتلون أمامه[1].

ثمّ إنّ عَمْرو بن صُبَيح الصُّدائيّ[2] رمى عبدَ الله بن مسلم بن عَقيل بسهمٍ، فوضع كفّه على جبهته، فلم يستطع أن يحركها، ثمّ رماه بسهمٍ آخر فقتله.

وحمل الناسُ عليهم من كلّ جانب، فحمل عبدُ اللّه بن قُطْبة[3] الطّائيُّ على عون بن عبد الله بن جعفر فقتله، وحمل عثمان بن خالد بن أُسَير الجُهَنيُّ، وبِشْر بن سَوْط الهَمْدانيُّ على عبد الرحمن بن عَقيل بن أبي طالب فقتلاه، ورمى عبد (الله بن عُرْوَة)[4] الخَثعميُّ جعفر بن عَقيل فقتله. ثمّ حمل القاسم بن الحسن بن عليّ وبيده السيف، فحمل عليه عَمْرو بن سعد بن نُفَيل الأزْديُّ، فضرب رأسه بالسيف، فسقط القاسم إلى الأرض لوجهه وقال: يا عمّاه! فانقضّ الحسين إليه كالصَّقْر، ثمّ شدّ شدّة ليثٍ أغْضِب[5]، فضرب عَمراً بالسيف، فاتّقاه بيده، فقطع يده من المِرْفق، فصاح، وحملت خيلُ الكوفة ليستنقذوا عَمراً، فاستقبلته بصدورها، وجالت عليه فوطِئته حتى مات، وانْجَلَت الغبرةُ والحسينُ واقف على رأس القاسم، وهو يفحص برِجْلَيه، والحسين يقول: بُعْداً لقومٍ قتلوك، ومن خصمهم يوم القيامة فيك جَدُّك! ثمّ قال: عزّ والله على عمّك أن تدعوه فلا يجيبك، أو يجيبك ثمّ لا ينفعك صوته[6]، واللّهِ، هذا يومٌ كَثُر واتِرُهُ، وقلّ ناصرُه! ثمّ احتمله على صدره حتّى ألقاه مع ابنه عليّ، ومن قُتل معه من أهل بيته[7].

ومكث الحسين طويلاً من النهار، كلّما انتهى إليه رجل من الناس رجع عنه، وكره أن يتولّى قتله، وعظُم إثمُه [عليه][8]، ثمّ إنّ رجلاً من كِنْدة يقال له مالك بن النُّسَير أتاه، فضربه على رأسه بالسيف، فقطع البُرْنُس، وأدمى رأسه، وامتلأ البُرْنُس دماً، فقال له الحسين: لا أكلتَ بها ولا شرِبْتَ، وحشرك الله مع الظّالمين! وألقى البُرْنُسَ ولبس القَلَنْسُوَة، وأخذ الكِنْديُّ البُرْنُس، فلمّا قدِم على أهله أخذ البُرْنُسَ يغسل الدم عنه، فقالت له امرأته: أسَلَبَ ابن [بنت] رسول الله تُدْخِلُ بيتي؟ أخرِجْه عنّي! قال: فلم يزل

---

(١) الطبري ٤٤٦/٥، ٤٤٧.

(٢) في (ر): «الصداوي».

(٣) في (ب): «قطرة»، وفي (ر): «قطية».

(٤) في (ب): «عبد الرحمن الخثعمي».

(٥) الطبري ٤٤٧/٥ «ليث غُضُب».

(٦) في (ش)، والطبري ٤٤٧/٥ «صوت».

(٧) الطبري ٤٤٧/٥، ٤٤٨، نهاية الأرب ٤٥٦/٢٠.

(٨) الطبري ٤٤٨/٥.

ذلك الرجل فقيراً بشرٍّ حتّى مات[1].

ودعا الحسين بابنه عبد الله وهو صغير، (فأجلسه في حِجْره، فرماه رجلٌ من بني أسد فذبحه، فأخذ الحسين دمه)[2]، فصبّه في الأرض، ثمّ قال: ربّي إن تكن حبستَ عنا النّصرَ من السماءِ، فاجعلْ ذلك لما هو خير، وانتقمْ من هؤلاء الظالمين.

ورمى عبدُ الله بن عُقْبَة الغَنَويُّ أبا بكر بن الحسين بن عليّ بسهمٍ فقتله، وقال العبّاس بن عليّ لإخوته من أمّه عبد الله وجعفر وعثمان: تقدّموا حتّى أرِثكم[3]، فإنّه لا ولد لكم. ففعلوا فقُتلوا، وحمل هانىء بن ثُبَيت الحضرميُّ على عبد الله بن عليّ فقتله، ثمّ حمل على جعفر بن عليّ فقتله، ورمى خَولِيُّ بن يزيد الأصبحيُّ عثمانَ بن عليّ، ثمّ حمل عليه رجل من بني أبان بن دارم، فقتله وجاء برأسه، ورمى رجل من بني أبان أيضاً محمدَ بن عليّ بن أبي طالب، فقتله وجاء برأسه[4].

وخرج غلام من خباء من تلك الأخبية، فأخذ بعُود من عيدانه، وهو ينظر كأنّه مذعور، فحمل عليه رجل قيل إنّه هانىء بن ثُبَيت الحضرميُّ فقتله.

واشتدّ عطش الحسين، فدنا من الفُرات ليشرب، فرماه حُصين بن نُمير بسهمٍ، فوقع في فمه، فجعل يتلقّى الدم بيده، ورمى به إلى السماء، ثمّ حمد الله وأثنى عليه ثُمّ قال: اللهمّ إنّي أشكو إليك ما يُصنع بابن بنت نبيّك! اللهمّ أحصِهم عدداً، واقتلهم بَدَداً، ولا تُبْقِ منهم أحداً![5]

وقيل الذي رماه رجل من بني أبان بن دارم، فمكث ذلك الرجل يسيراً، ثمّ صبّ الله عليه الظّمأ، فجعل لا يَرْوَى، فكان يُرَوَّح عنه، ويبرَّد له الماء فيه السُّكّر، وعِساس فيها اللّبَن ويقول: اسقوني، فيُعطِى القُلّة أو العُسّ[6] فيشربه، فإذا شربه اضطّجع هُنَيهةً ثمّ يقول: اسقوني، قتلني الظّمأ، فما لبِث إلّا يسيراً حتّى انقدّت بطنه انقداد بطن البعير[7].

ثمّ إنّ شَمِر بن ذي الجَوْشن أقبل في نفرٍ، نحو عشرة من رجالهم نحو منزل

---

(١) الطبري ٥/٤٤٨.
(٢) ما بين القوسين من (ش).
(٣) في (ب): «أريكم».
(٤) الطبري ٥/٤٤٨، ٤٤٩.
(٥) الطبري ٥/٤٤٩ باختلاف الألفاظ.
(٦) في (ر): «فيعطى العسلة والعيش».
(٧) الطبري ٥/٤٥٠.

الحسين، فحالوا بينه وبين رَحْله، فقال لهم الحسين: ويلكم! إن لم يكن لكم دِين ولا تخافون يوم المعاد، فكونوا أحراراً ذوي أحساب، امنعوا رَحْلي وأهلي من طُغاتكم وجُهّالكم. فقالوا: ذلك لك يا ابن فاطمة. وأقدم عليه شَمِر بالرَّجّالة[1] منهم[2]: أبو الجنوب، واسمه عبد الرحمن الجُعْفيُّ، والقَشْعَم بن نُذَيْر[3] الجُعفيُّ، وصالح بن وهب اليَزَنيُّ، وسِنان بن أنس النَّخعيُّ، وخَوَليّ بن يزيد الأصبحيُّ، وجعل شَمِر يحرّضهم على الحسين، وهو يحمل عليهم فينكشفون عنه، ثمّ إنّهم أحاطوا به. وأقبل إلى الحسين غلام من أهله، فقام إلى جنبه وقد أهوى بَحْر بن كعب بن تَيْم الله بن ثعلبة إلى الحسين بالسيف، فقال الغلام: يا ابن الخبيثة أتقتل عمّي! فضربه بالسيف، فاتّقاه الغلام بيده، فأطنّها إلى الجلدة، فنادى الغلام: يا أمّتاه! فاعتنقه الحسين وقال له: يا ابن أخي اصبرْ على ما نزل بك، فإنّ الله يُلحقك بآبائك الطّاهرين الصّالحين، برسول الله ﷺ، وعليّ وحمزة وجعفر والحسن. وقال الحسين: اللهمّ أمسِكْ عنهم قَطْر السماء، وامنعهم بركات الأرض! اللهمّ فإنْ متّعتهم إلى حين ففرّقهم فِرَقاً، واجعلهم طرائق قِدَداً، ولا تُرْضِ عنهم الوُلاةَ أبداً، فإنّهم دعَوْنا لينصرونا، فَعَدَوْا علينا فقتلونا[4]!

ثمّ ضارب الرَّجّالة حتّى انكشفوا عنه، ولما بقي الحسين في ثلاثةٍ أو أربعة دعا بسراويل، ففزّره، ونكثه[5] لئلاّ يُسْلَبَهُ، فقال له بعضهم: لو لبستَ تحته التُّبّان[6]. قال: ذلك ثوب مَذَلّة، ولا ينبغي [لي] أن ألبسه. فلمّا قُتل سَلَبَه بحرُ بن كعب، وكانت يداه في الشّتاء تنضحان بالماء، وفي الصيف تَيْبسان كأنّهما عود. وحمل الناس عليه عن يمينه وشماله، فحمل على الّذين عن يمينه فتفرّقوا، ثمّ حمل على الّذين عن يساره فتفرّقوا، فما رُؤي مكثور قطّ قد قُتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً منه، ولا أمضى جَناناً ولا أجرأ مَقْدَماً منه، إن كانت الرَّجّالة لتنكشف عن يمينه وشماله انكشاف المِعْزَى إذا شدّ فيها الذّئب[7].

فبينما هو كذلك إذ خرجت زينب وهي تقول: ليت السماء انطبقت على الأرض! وقد دنا عمر بن سعد، فقالت: يا عمر أيُقْتَل أبو عبد الله وأنت تنظر [إليه]؟ فدمعت عيناه

---

(١) في الطبعة الأوربية: «برجاله».
(٢) في (ر): «وأقدم عليه شمر بالرّجالة أبو الحارث، ومنهم».
(٣) في (ر) «بدر». وفي تاريخ الطبري ٤٥٠/٥ «القشعم بن عمرو بن يزيد الجعفي».
(٤) الطبري ٤٥٠/٥، ٤٥١.
(٥) أي نقعن نسجه.
(٦) التُّبّان: سروال صغير مقدار شبر يستر العورة.
(٧) الطبري ٤٥١/٥، ٤٥٢.

حتّى سالت دموعه على خدّيْه ولحيته، وصرف وجهه عنها[1].

وكان على الحسين جُبّة من خَزّ، وكان مُعْتَمّاً مخضوباً بالوَسِمة، وقاتل راجلاً قتال الفارس الشجاع، يتّقي الرمية، ويفترص العورة، ويشدّ على الخيل، وهو يقول: أَعَلَى قتْلي تجتمعون؟ أما[2] واللّهِ لا تقتلون بعدي عبداً من عباد الله، اللَّهُ أسخط عليكم لقتله منّي! وايم الله (إنّي لأرجو أن يكرمني الله بهوانكم ثم ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون! أما والله)[3] لو قتلتموني لألقى الله بأسكم بينكم، وسفك دماءكم، ثمّ لا يرضى بذلك منكم حتّى يضاعف لكم العذاب الأليم.

قال: ومكث طويلاً من النهار، ولو شاء الناس أن يقتلوه لقتلوه، ولكنّهم كان يتّقي بعضهم ببعض، ويحبّ هؤلاء أن يكفيهم هؤلاء، فنادى شَمِر في الناس: ويحكم ماذا تنتظرون بالرجل؟ اقتلوه ثكِلَتْكم أمّهاتكم! فحملوا عليه من كلّ جانب، فضرب زُرْعةُ بن شَريك التميميُّ على كفّه اليسرى، وضُرب أيضاً على عاتقه، ثمّ انصرفوا عنه وهو يقوم ويكبو، وحمل عليه في تلك الحال سِنان بن أَنَس النَّخعيُّ، فطعنه بالرّمح فوقع، وقال لخَوَلي بن يزيد الأصبحيّ: احتزّ رأسه، فأراد أن يفعل فضعف وأُرعِد، فقال له سِنان: فَتّ[4] الله عضُدَك! ونزل إليه فذبحه واحتزّ رأسه، فدفعه إلى خَوَليّ، (وسُلب الحسين ما كان عليه، فأخذ سراويله)[5] بحْرُ بن كعب، (وأخذ قيسُ بن الأشعث قَطيفته، وهي من خَزّ، فكان يسمّى بعدُ[6] قيس قطيفة)[7]، وأخذ نعليه الأسودُ الأوْديّ، وأخذ سيفه رجل من دارم، ومال الناس على الورْس[8] والحُلَل والإبل فانتهبوها، ونهبوا ثَقَله ومتاعه وما على النّساء، حتّى إن كانت المرأة لتنزع ثوبها من ظهرها، فيؤخذ منها[9].

ووُجد بالحسين ثلاثٌ وثلاثون طعنة، وأربع وثلاثون ضربة (غير الرمية)[10].

وأمّا سُوَيد بن المطاع فكان قد صُرع، فوقع بين القتلى مُثخَناً بالجراحات، فسمعهم يقولون: قُتل الحسين! فوجد خِفّةً، فوثب ومعه سكّين، وكان سيفه قد أُخذ،

(١) الطبري ٥/٤٥٢.
(٢) في الأوربية: «أم».
(٣) ما بين القوسين من (ش).
(٤) في (ر): «كسر».
(٥) ما بين القوسين من (ب).
(٦) في الأوربية: «بعده».
(٧) ما بين القوسين من (ب).
(٨) في الأوربية: «الورش».
(٩) الطبري ٥/٤٥٢، ٤٥٣.
(١٠) في الأوربية: «الرملة»، وما بين القوسين من (ش) و (ب).

فقاتلهم بسكّينه ساعةً، ثمّ قُتل، قتله عُروة بن بطان[1] الثعلبيُّ، وزيد بن رُقاد الجُنبيُّ، وكان آخر من قُتل من أصحاب الحسين.

ثمّ انتهوا إلى عليّ بن الحسين زين العابدين، فأراد شَمِر قتله، فقال له حُمَيد[2] بن مسلم: سبحان الله أتقتل الصبيان! وكان مريضاً، وجاء عمر بن سعد فقال: لا يدخلنّ بيت هذه النّسْوة أحد، ولا يَعْرضنّ لهذا الغلام المريض، ومَنْ أخذ من متاعهم شيئاً فلْيرُدَّه، فلم يردّ أحد شيئاً. فقال الناس لسِنان بن أنس النَّخَعيّ: قتلتَ الحسين بن عليّ وابنَ فاطمة بنت رسول الله ﷺ، قتلتَ أعظم العرب خطراً، أراد أن يُزيل ملك هؤلاء، فأتِ أمراءَك فاطلبْ ثوابك منهم، فإنّهم لو أعطوك بيوت أموالهم في قتْله كان قليلاً. فأقبل على فرسه، وكان شجاعاً شاعراً به لُوثة، حتّى وقف على باب فُسطاط عمر بن سعد، ثمّ نادى بأعلى صوته:

أوقِرْ ركابي فضّةً وذَهَبا إنّي قتلتُ السيّدَ المُحجَّبا[3]

قتلتُ خَيرَ النّاسِ أُمّاً وأبا وخيرَهم إذْ يُنسَبونَ نَسَبا[4]

فقال عمر بن سعد: أشهد أنّك مجنون، أدخِلُوه عليّ. فلمّا دخل حذفه بالقضيب وقال: يا مجنون أتتكلّم بهذا الكلام؟ والله لو سمعك ابن زياد لضرب عنقك! وأخذ عمرُ بن سعد عُقْبةَ بن سِمْعان مولى الرباب ابنة امرىء القيس الكلبيّة امرأة الحسين، فقال: ما أنت؟ فقال: أنا عبد مملوك. فخلّى سبيله، فلم ينجُ منهم غيره وغير المُرقّع بن ثُمامة الأسديّ، وكان قد نثر نبْله فقاتل، فجاء نفر من قومه فآمنوه، فخرج إليهم، فلمّا أُخبر ابن زياد خبره نفاه إلى الزّارة.

ثمّ نادى عمر بن سعد في أصحابه مَنْ ينتدب إلى الحسين فيُوطئه فرسه، فانتدب عشرة، منهم إسحاق بن حَيْوَة الحضرميُّ، وهو الذي سلب قميص الحسين، فبرِص بعدُ، فأتوا فداسوا الحسين بخيولهم حتّى رضّوا ظهره وصدره.

وكان عدّة من قُتل من أصحاب الحسين إثنين وسبعين رجلاً.

---

(١) في تاريخ الطبري ٤٥٣/٥ «بطار».

(٢) في (ر): «جند».

(٣) في (ب): «أنا قتلت الملك المجتبا»، والطبري: «أنا قتلت الملك المحجّبا»، ومثله في العقد الفريد، ومروج الذهب.

(٤) الطبري ٤٥٤/٥، العقد الفريد ٣٨١/٤، مروج الذهب ٧٠/٣، البداية والنهاية ١٨٩/٨، مقاتل الطالبيين ١١٩، الفتوح لابن أعثم ٢٢١/٥، سمط النجوم العوالي ٧٦/٣، نهاية الأرب ٤٦١/٢٠، أسد الغابة ٢١/٢، الاستيعاب ٣٧٩/١، تهذيب تاريخ دمشق ٣٤٥/٤، وتهذيب الكمال ٤٢٨/٦، وتاريخ الخميس ٣٣٣/٢.

ودفن الحسينَ وأصحابَه أهلُ الغاضريّة من بني أسد، بعد قتلهم بيوم[1].

وقُتل من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون رجلًا سوى الجرحى، فصلّى عليهم عمر ودفنهم[2].

ولما قُتل الحسين أُرسل رأسه ورؤوس أصحابه إلى ابن زياد مع خَوَليّ بن يزيد وحُمَيْد بن مسلم الأزديّ، فوجد خَوَليّ القصر مغلقاً، فأتى منزله، فوضع الرأس تحت إجّانة في منزله، ودخل فراشه وقال لامرأته النّوار: جئتك بِغِنَى[3] الدهر، هذا رأس الحسين معك في الدار. فقالت: ويلك! جاء الناس بالذّهب والفضّة، وجئتَ برأس ابن رسول الله ﷺ! والله لا يجمع رأسي ورأسك بيتٌ أبداً! وقامت من الفراش فخرجت إلى الدّار، قالت: فما زلتُ أنظر إلى نور يسطع مثل العمود من السماء إلى الإجّانة، ورأيت طيراً أبيض يرفرف حولها. فلمّا أصبح غدا بالرأس إلى ابن زياد[4].

وقيل: بل الذي حمل الرؤوس كان شَمِر وقيس بن الأشعث، وعَمْرو بن الحجّاج، وعُرْوة بن قيس، فجلس ابن زياد، وأذِن للناس، فأحضرت الرؤوس بين يديه، وهو ينكت بقضيب بين ثنيّتَيْه[5] ساعة، فلمّا رآه زيد بن الأرقم لا يرفع قضيبه قال: أَعْلِ هذا القضيب عن هاتَين الثنيّتَين[6]، فوالذي لا إله غيره لقد رأيتُ شفتَي رسول الله ﷺ، على هاتَين الشفتين يقبّلهما! ثمّ بكى، فقال له ابن زياد: أبكى الله عينيك! فوالله لولا أنّك شيخ قد خرِفتَ وذهب عقلك لَضربتُ عنقك. فخرج وهو يقول: أنتم يا معشر العرب العبيدُ بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة، وأمّرتم ابن مَرْجانة[7]، فهو يقتل خياركم ويستعبد شِراركم، فرضيتم بالذُّلّ، فبُعداً لمن يرضى بالذلّ![8]

فأقام عمر بعد قتله يومَين، ثمّ ارتحل إلى الكوفة، وحمل معه بنات الحسين وأخواته، ومن كان معه من الصّبيان، وعليّ بن الحسين مريض، فاجتازوا بهم على الحسين وأصحابه صرعى، فصاح النّساء ولطمن خدودهنّ، وصاحت زينب أخته: يا محمّداه صلّى عليك ملائكة السماء! هذا الحسين بالعراء، مرمَّل بالدّماء، مقطّع

---

(١) في (ر): «بيومين».
(٢) الطبري ٥/٤٥٤، ٤٥٥.
(٣) في (ب) و (ر): «بغي».
(٤) الطبري ٥/٤٥٥.
(٥) في (ر): «ثناياه».
(٦) في (ر): «الشفتين».
(٧) في (ب) و (ر): «سمية».
(٨) الطبري ٥/٤٥٦.

الأعضاء، وبناتك سبايا، وذرّيّتك مُقتّلة تسفي عليها الصَّبا! فأبكت كلّ عدوّ وصديق[1].

فلمّا أدخلوهم على ابن زياد لبست زينب أرذل ثيابها، وتنكّرت، وحفّت بها إماؤها، فقال عُبَيد الله: مَنْ هذه الجالسة؟ فلم تكلّمه، فقال ذلك ثلاثاً وهي لا تكلّمه، فقال بعض إمائها: هذه زينب بنت فاطمة. فقال لها ابن زياد: الحمد لله الذي فضحكم وقتّلكم، وأكذب أُحْدوثتكم! فقالت: الحمد لله الذي أكرمنا بمحمّد وطهّرنا تطهيراً، لا كما تقول، وإنّما يُفْتضح الفاسق، ويكذّب الفاجر. فقال: فكيف رأيت صنع الله بأهل بيتك؟ قالت: كُتب عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتختصمون عنده. فغضب ابن زياد وقال: قد شفى الله غيظي من طاغيتك والعُصاة المَرَدة من أهل بيتك. فبكت وقالت: لَعَمْري لقد قتلت كهْلي، وأبرزتَ أهلي، وقطعتَ فرعي، واجتثثتَ أصلي، فإنْ يشفِك هذا فقد اشتفيتَ. فقال لها: هذه شجاعة، لَعَمْري، لقد كان أبوك شجاعاً! فقالت: ما للمرأة والشجاعة![2]

ولما نظر ابن زياد إلى عليّ بن الحسين قال: ما اسمك؟ قال: عليّ بن الحسين. قال: أوَلَم يقتل الله عليّ بن الحسين؟ فسكت. فقال: ما لك لا تتكلّم؟ فقال: كان لي أخ يقال له أيضاً عليٌّ، فقتله الناس. فقال: إنّ الله قتله. فسكت عليٌّ. فقال: ما لك لا تتكلّم؟ فقال: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[3]، ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[4]. قال: أنت والله منهم. ثمّ قال لرجل: ويْحك! انظرْ هذا هل أدرك؟ إنّي لأحسبه رجلاً. قال: فكشف عنه مُرّيّ بن مُعاذ الأحمريّ فقال: نعم قد أدرك. قال: اقتله. فقال عليّ: مَن تُوكّل بهذه النِّسْوة؟ وتعلّقت به زينب فقالت: يا ابن زياد حسبك منّا، أما رَوِيتَ من دمائنا، وهل أبقيتَ منّا أحداً! واعتنقتْه وقالت: أسألك بالله إن كنت مؤمناً إنْ قتلته لما قتلتني معه! وقال له عليّ: يا ابن زياد إن كانت بينك وبينهنّ قرابة، فابعثْ معهن رجلاً تقيّاً يصحبهنّ بصُحبة الإسلام. فنظر إليها ساعة ثمّ قال: عجباً للرَّحِم! والله إنّي لأظنّها ودّت لو أنّي قتلته أنّي قتلتها معه، دعوا الغلام ينطلق مع نسائه.

ثمّ نادى: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، فصعِد المنبر، فخطبهم وقال: الحمد لله الذي أظهر الحقّ وأهله، ونصر أمير المؤمنين يزيد وحزبه، وقتل الكذّاب ابن الكذّاب الحسين بن عليّ وشيعته.

---

(١) الطبري ٥/٤٥٦.

(٢) الطبري ٥/٤٥٧.

(٣) سورة الزُّمَر ٣٩، الآية ٤٢.

(٤) سورة آل عمران ٣، الآية ١٤٥.

فوثب إليه عبد الله بن عَفيف[1] الأزديُّ ثمّ الوالبيُّ، وكان ضريراً قد ذهبت إحدى عينيه يوم الجمل مع عليّ، والأخرى بصفّين معه أيضاً، وكان لا يفارق المسجد، يصلّي فيه إلى الليل، ثمّ ينصرف، فلمّا سمع مقالة ابن زياد قال: يا ابن مَرْجانة! إنّ الكذّاب ابن الكذّاب أنت وأبوك والذي ولّاك وأبوه! يا ابن مرجانة أتقتلون أبناء النبيّين وتتكلّمون بكلام الصِّدّيقين؟ فقال: عَليَّ به. فأخذوه، فنادى بشعار الأزد: يا مبرور! فوثب إليه فتية من الأزد فانتزعوه، فأرسل إليه من أتاه به، فقتله وأمر بصلبه في المسجد، فصُلب، رحمه الله.

وأمر ابن زياد برأس الحسين فطِيف به في الكوفة، وكان رأسه أوّل رأس حُمل في الإسلام على خشبة في قول، والصحيح أن أوّل رأس حُمل في الإسلام رأس عَمْرو بن الحَمِق.

ثمّ أرسل ابنُ زياد رأس الحسين ورؤوس أصحابه مع زَحْر بن قيس إلى الشام إلى يزيد ومعه جماعة، وقيل: مع شَمِر وجماعة معه، وأرسل معه النساء والصبيان، وفيهم عليّ بن الحسين، قد جعل ابنُ زياد الغُلَّ في يديه ورقبته، وحملهم على الأقتاب، فلم يكلّمهم عليٌّ بن الحسين في الطريق حتّى بلغوا الشام، فدخل زَحْر بن قيس على يزيد، فقال: ما وراءك؟ فقال: أبشِرْ يا أمير المؤمنين بفتح الله وبنصره، ورد علينا الحسين بن عليّ في ثمانية عشر من أهل بيته، وستّين من شيعته، فسرنا إليهم، فسألناهم أن ينزلوا على حكم الأمير عُبيد الله أو القتال، فاختاروا القتال، فَعَدَوْنا عليهم مع شروق الشمس، فأحطنا بهم من كلّ ناحية حتّى إذا أخذت السيوف مآخذها من هام القوم جعلوا يهربون إلى غير وَزَر، ويلوذون بالإكام والحُفَر، كما لاذ الحمائم من صَقَر، فوالله ما كان إلّا جزْرَ جَزور، أو نومة قائل، حتّى أتينا على آخرهم! فهاتيك أجسادهم مجرَّدة، وثيابهم مرمَّلة، وخدودهم معفَّرة، تصهرهم الشمس، وتَسفي عليهم الريح، زُوّارهم العِقْبان والرَّخَم بِقِيّ[2] سبسب[3].

قال: فدمعت عينا يزيد وقال: كنتُ أرضى من طاغيتكم بدون قتل الحسين، لعن الله ابنَ سُمَيّة! أمَا[4] والله لو أنّي صاحبه لعفوتُ عنه، فرحِم اللّهُ الحسين! ولم يصلْه بشيءٍ[5].

---

(١) في (ر): «وعبيد».

(٢) القِيّ: قفر الأرض والخلاء.

(٣) في (ر): «بغى شبيب»، وفي (ب): «ومعي سبيهم».

(٤) في الأوربية: «أم».

(٥) الطبري ٥/٤٥٩، ٤٦٠.

وقيل: إنّ آل الحسين لما وصلوا إلى الكوفة حبسهم ابن زياد وأرسل إلى يزيد بالخبر، فبينما هم في الحبس، إذ سقط عليهم حجر فيه كتابٌ مربوط وفيه: إنّ البريد سار بأمركم إلى يزيد، فيصل يوم كذا، ويعود يوم كذا، فإن سمعتم التكبير فأيقنوا بالقتْل[1]، وإن لم تسمعوا تكبيراً فهو الأمان. فلمّا كان قبل قدوم البريد بيومَين أو ثلاثة، إذا حجر قد أُلقي، وفيه كتاب يقول فيه: أوصوا واعهدوا[2] فقد قارب وصول البريد. ثمّ جاء البريد بأمر يزيد بإرسالهم إليه، فدعا ابنُ زياد مُحفِّر[3] بن ثعلبة وشَمِر بن ذي الجَوشن، وسيّرهما بالثَّقَل والرأس، فلمّا وصلوا إلى دمشق نادى محفّر[3] بن ثعلبة على باب يزيد: جئنا برأس أحمق الناس وألأمهم! فقال يزيد: ما ولدت أمّ محفِّر[3] ألأم وأحمق منه، ولكنّه قاطع ظالم.

ثمّ دخلوا على يزيد فوضعوا[4] الرأس بين يديه وحدّثوه، فسمعت الحديث هندُ بنت عبد الله بن عامر بن كُرَيز، وكانت تحت يزيد، فتقنّعت بثوبها وخرجت فقالت: يا أمير المؤمنين، أَرَأْسَ الحسين بن عليّ بن فاطمة بنت رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، فأَعْوِلي عليه، وحُدِّي على ابن بنت رسول الله ﷺ، وصريحة قريش، عجّل عليه ابن زياد فقتله، قتله الله! ثمّ أذن للناس فدخلوا عليه والرأس بين يديه ومعه قضيب وهو ينكت به ثغره، ثمّ قال: إنّ هذا وإيّانا كما قال الحُصين بن الحُمام:

أَبَى قومُنا أن يُنصفونا فأنصفتْ ... قواضبُ في أيماننا تقطرُ الدِّمَا
يفلّقن هاماً مِن رِجالٍ أعِزَّةٍ ... علينا، وهم كانوا أعقَّ وأظلَمَا[5]

فقال له أبو بَرزة الأسلميُّ: أتنكُت بقضيبك في ثغر الحسين؟ أما لقد أخذ قضيبك في ثغره مأخذاً، لربّما رأيتُ رسول الله ﷺ، يرشُفُه، أما إنّك يا يزيد تجيء يوم القيامة وابن زياد شفيعك، ويجيء هذا ومحمّد شفيعه[6]. ثمّ قام فولّى.

---

(١) في (ب): «بالهلاك».
(٢) في الأوربية: «وعهدوا».
(٣) في تاريخ الطبري «محفّز» بالزاي، ويؤكّد ابن الأثير أنه بالراء المهملة، كما سيأتي.
(٤) في (ر): «فرموا».
(٥) أوردالطبري البيت الثاني فقط ٤٦٠/٥ و٤٦٣، وكذا المسعودي في مروج الذهب ٧١/٣ وفيه: «أحبّة» بدل «أعزّة» والعقد الفريد ٣٨٢/٤، وتاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ) - ص ١٨، ومجمع الزوائد للهيثمي ١٩٣/٩، وسير أعلام النبلاء ٣٠٩/٣، والبداية والنهاية ١٩١/٨، وهو من المفضّليّات ٦٤، وديوان الحماسة بشرح التبريزي ١٩٣/١، وتهذيب الكمال ٤٢٨/٦، والفتوح ٢٣٩/٥ وتاريخ الخميس ٣٣٤/٢ وفيه «تعلق هاماً» والبيتان في نهاية الأرب ٤٦٨/٢٠، ٤٦٩، وسمط النجوم العوالي ٧٣/٣، والأخبار الطوال ٢٦١، ومقاتل الطالبيين ١١٩.
(٦) في (ر): «خصيمك».

فقال يزيد: والله يا حسينُ لو كنتُ أنا صاحبك ما قتلتُك. ثمّ قال: أتدرون من أين أتَى هذا؟ قال: أبي عليٌّ خير من أبيه، وفاطمة أمّي خيرٌ من أمّه، وجَدّي رسول الله خيرٌ من جَدّه، وأنا خيرٌ منه وأحقُّ بهذا الأمر منه؛ فأمّا قوله أبوه خير من أبي، فقد حاجّ أبي أباه إلى الله، وعلم الناس أيّهما حُكِم له؛ وأمّا قوله أمّي خير من أمّه، فَلَعَمْري فاطمة بنت رسول الله خير من أمّي؛ وأمّا قوله جدّي رسول الله خير من جدّه، فَلَعَمْري ما أحد يؤمن بالله واليوم الآخر يرى لرسول الله فينا عِدلاً ولا نِدّاً، ولكنّه إنّما أُتي من قِبَل فقهه، ولم يقرأ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾[1].

ثمّ أدخل نساء الحسين عليه والرأس بين يديه، فجعلت فاطمة وسُكَيْنة ابنتا الحسين تتطاولان لتنظرا إلى الرأس، وجعل يزيد يتطاول ليستر عنهما الرأس. فلمّا رأين الرأس صِحْن، فصاح نساء يزيد، وولول[2] بنات معاوية. فقالت فاطمة بنت الحسين، وكانت أكبر من سُكَينة: أَبَنَات رسول الله سبايا يا يزيد؟ فقال: يا ابنة أخي أنا لهذا كنتُ أكره. قالت: والله ما تُرِك لنا خُرْص[3]. فقال: ما أتَى إليكنّ أعظم ممّا أُخذ منكنّ. فقام رجل من أهل الشام فقال: هبْ لي هذه، يعني فاطمة، فأخذت بثياب أختها زينب، وكانت أكبر منها، فقالت زينب: كذبت ولؤمت، ما ذلك لك ولا له. فغضب يزيد وقال: كذبت والله، إنّ ذلك لي ولو شئتُ أن أفعله لفعلته. قالت: كَلّا والله ما جعل الله لك ذلك إلّا أن تخرج من ملّتنا، وتدين بغير ديننا. فغضب يزيد واستطار ثمّ قال: إيّاي تستقبلين[4] بهذا؟ إنّما خرج من الدّين أبوك وأخوك! قالت زينب: بدِين الله ودِين أبي وأخي وجدّي اهتديتَ أنتَ وأبوك وجدّك. قال: كذبتِ يا عدوّة الله! قالت: أنت أمير تشتم ظالماً وتقهر بسلطانك؟ فاستحى وسكت، ثمّ أُخرجن وأُدخلنَ دور يزيد، فلم تبقَ امرأة من آل يزيد إلّا أتتهنّ وأقمنَ المأتم، وسألهنّ عمّا أُخذ منهنّ فأضعفه لهنّ، فكانت سُكَيْنة تقول: ما رأيتُ كافراً بالله خيراً من يزيد بن معاوية[5].

ثمّ أمر بعليّ بن الحسين، فأُدْخل مغلولاً فقال: لو رآنا رسول الله ﷺ، مغلولين لفكّ عنّا. قال: صدقتَ. وأمر بفكّ غلّه عنه. فقال عليٌّ: لو رآنا رسول الله ﷺ، بُعَداءَ لأحبّ أن يقرّبنا. فأمر به فقُرِّب منه، وقال له يزيد: إيه يا عليّ بن الحسين، أبوك الذي قطع رَحِمي، وجهل حقّي، ونازعني سلطاني، فصنع الله به ما رأيتَ. فقال عليّ: ﴿مَا

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٢٦.

(٢) في الأوربية: «وولولن».

(٣) الخُرْص: حلقة القرط.

(٤) في الأوربية: «تستقلّين».

(٥) الطبري ٥/٤٦٤، نهاية الأرب ٢٠/٤٦٩، ٤٧٠.

أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلى اللَّهِ يَسِيرٌ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[1]. فقال يزيد: ﴿مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[2]. ثُمّ سكت عنه، وأمر بإنزاله وإنزال نسائِه في دار عليّ جدّه، وكان يزيد لا يتغذّى ولا يتعشّى إلاّ دعا عليّاً إليه، فدعاه ذات يوم ومعه عَمْرو بن الحسن[3]، وهو غلام صغير، فقال لعَمْرو: أتُقاتل هذا؟ يعني خالد بن يزيد. فقال عَمْرو: أعطِني سكّيناً وأعطِهِ سكّيناً حتّى أقاتله. فضمّه يزيد إليه وقال: شِنْشِنَةٌ أعرفها من أَخْزَمَ[4]، هل تلد الحيّة إلاّ حيّة[5]!

وقيل: ولما وصل رأس الحسين إلى يزيد حسنت حال ابن زياد عنده وزاده ووصله، وسرّه ما فعل، ثمّ لم يلبث إلاّ يسيراً، (حتّى بلغه بُغْضُ الناس له، ولعْنهم وسبّهم)[6]، فندم على قتل الحسين، فكان يقول: وما عليّ لو احتملتُ الأذى، وأنزلتُ الحسين معي في داري، وحكّمته فيما يريد، وإن كان عليّ في ذلك وهنٌ في سلطاني حِفْظاً لرسول الله ﷺ، ورعايةً لحقّه وقرابته، لعن الله ابن مرجانة، فإنّه اضطّره، وقد سأله أن يضع يده في يدي، أو يلحق بثغرٍ حتّى يتوفّاه الله، فلم يُجِبْه إلى ذلك فقتله، فبغّضني بقتله إلى المسلمين، وزرع في قلوبهم العداوة، فأبغضني البَرّ والفاجر بما استعظموه من قتلي الحسين، ما لي ولابن مرجانة، لعنه الله وغضب عليه!

ولما أراد أن يسيّرهم إلى المدينة أمر يزيد النُّعمانَ بن بَشير أن يجهّزهم بما يُصلحهم، ويسيّر معهم رجلاً أميناً[7] من أهل الشام، ومعه خيلٌ يسير بهم إلى المدينة، ودعا عليّاً ليودّعه وقال له: لعن الله ابن مرجانة! أمَا والله لو أنّي صاحبه ما سألني خصلةً أبداً إلاّ أعطيته إيّاها، ولَدفعتُ الحتْف عنه بكلّ ما استطعتُ، ولو بهلاك بعض ولدي، ولكنْ قضى الله ما رأيتَ. يا بُنيّ كاتبني حاجةً تكون لك. وأوصى بهم هذا الرسول، فخرج بهم فكان يسايرهم ليلاً، فيكونون أمامه بحيث لا يفوتون طَرْفه، فإذا نزلوا تنحّى عنهم هو وأصحابه، فكانوا حولهم كهيئة الحرس، وكان يسألهم عن حاجتهم، ويلطف بهم حتّى دخلوا المدينة. فقالت فاطمة بنت عليّ لأختها زينب: لقد أحسن هذا الرجل

---

(١) سورة الحديد، الآيتان ٢٢ و٢٣.

(٢) سورة الشورى، الآية ٣٠.

(٣) في الأوربية: «الحسين».

(٤) مجمع الأمثال ٦٥٨/١، الأخبار الطوال ٢٦١.

(٥) في (ر) زيادة: «ما بقي ولد للحسين إلا علي بن الحسين وهذا». وفي نهاية الأرب ٤٧١/٢٠: «حَيَّة».

(٦) ما بين القوسين من (ب).

(٧) في (ب): «معيناً»، وفي (ر): «تقيا».

إلينا، فهل لك أن نصله بشيء؟ فقالت: والله ما معنا ما نصله به إلاّ حُلِيّنا، فأخرجتا سوارَين ودُمْلُجَين لهما فبعثتا بها[1] إليه واعتذرتا، فردّ الجميع وقال: لو كان الذي صنعتُ للدنيا، لكان في هذا ما يُرْضيني، ولكنْ، والله ما فعلته إلاّ لله، ولقرابتكم من رسول الله ﷺ.

وكان مع الحسين امرأته الرَّباب بنت امرىء القيس، وهي أمّ ابنته سُكَينة، وحُملَت إلى الشام فيمن حُمل من أهله، ثمّ عادت إلى المدينة، فخطبها الأشراف من قريش، فقالت: ما كنتُ لأتخذ حَمْواً بعد رسول الله ﷺ. وبقيتْ بعده سنة، لم يظلّها سقفُ بيتٍ حتّى بليت وماتت كمداً، وقيل: إنّها أقامت على قبره سنة، وعادت إلى المدينة، فماتت أسفاً عليه.

فأرسل عُبيدُ الله بن زياد مبشِّراً إلى المدينة بقتل الحسين إلى عَمْرو بن سعيد، فلقِيه رجل من قريش فقال: ما الخبر؟ فقال: الخبر عند الأمير. فقال القُرَشيُّ: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، قُتل الحسين.

ودخل البشير على عَمْرو بن سعيد فقال: ما وراءك؟ قال: ما سَرّ الأميرَ، قُتلِ الحسين بن عليّ. فقال: نادِ بقتله، فنادى، فصاح نساء بني هاشم، وخرجت ابنة عَقيل بن أبي طالب ومعها نساؤها حاسرةً تلوي ثوبها وهي تقول:

ماذا تَقولونَ إنْ[2] قالَ النبيُّ[3] لكمْ ... ماذا فعلتمْ وأنتم آخرُ الأُمَمِ
بعِترَتي وبأهلي بعدَ مُفتَقَدي ... منهم أُسارَى وقتلى[4] ضُرِّجوا بدمِ
ما كان هذا جزائي إذ نصَحتُ لكم ... أن تُخْلِفوني بسوءٍ في[5] ذوي رَحِمي[6]

فلمّا سمع عَمرو أصواتهنّ ضحك وقال:

عجّتْ نساءُ بني زيادٍ عَجّةً ... كعجيج نِسْوَتنا غَداة الأرنَبِ[7]

---

(١) في الأوربية: «به».
(٢) في الأوربية: «إذ».
(٣) في البدء والتاريخ «المليك».
(٤) الطبري: «ومنهم».
(٥) في (ش): «بسوقي».
(٦) البيتان الأولان فقط عند الطبري ٤٦٧/٥، والمقدسي في: البدء والتاريخ ١٢/٦، وكلها في: البداية والنهاية ١٩٨/٨، والفتوح لابن أعثم ٢٤٥/٥، والمعجم الكبير للطبراني ١٢٦/٣ رقم (٢٨٥٣) و١٣٣/٣، ١٣٤ رقم (٢٨٧٥)، وتهذيب الكمال للمزّي ٤٢٩/٦، ٤٣٠، ونهاية الأرب ٤٧٤/٢٠.
(٧) الطبري ٤٦٦/٥، والبيت في: أمالي القالي ١٢٦/١، ونهاية الأرب ٤٧٣/٢٠.

والأرنب: وقعة كانت لبني زُبَيد على بني زياد من بني الحارث بن كعب، وهذا البيت لعَمْرو بن معدي كرِب.

ثمّ قال عَمْرو: واعية كواعية عثمان؛ ثمّ صعِد المنبر، فأعلم الناس قتله.

ولما بلغ عبدَ الله بن جعفر قتلُ ابنَيْه مع الحسين دخل عليه بعضُ مواليه يعزّيه والناس يعزّونه، فقال مولاه: هذا ما لقيناه من الحسين! فحذفه ابن جعفر بنعله وقال: يا ابن اللَّخْناء أَلِلحُسين تقول هذا؟ واللّهِ لو شهدتُهُ لأحببتُ أن لا أفارقه حتّى أُقتَل معه، واللّهِ إنّه لممّا يُسخّي بنفسي عنهما، ويهوّن عليّ المصاب بهما أنّهما أُصيبا مع أخي وابن عمّي، مواسيَيْن له صابرَيْن معه. ثمّ قال: إن لم تكن آست الحسينَ يدي، فقد آساه ولدي[1].

ولما وفد أهلُ الكوفة بالرأس إلى الشام، ودخلوا مسجد دمشق، أتاهم مروان بن الحكَم فسألهم: كيف صنعوا؟ فأخبروه، فقام عنهم، ثمّ أتاهم أخوه يحيَى بن الحَكَم، فسألهم، فأعادوا عليه الكلام، فقال: حُجبتم عن محمد ﷺ، يوم القيامة، لن أجامعكم على أمر أبداً! ثمّ انصرف عنهم. فلمّا دخلوا على يزيد قال يحيَى بن الحَكَم[2]:

لُهَامٌ[3] بجنْبِ الطَّفِّ[4] أدنَى قرابةً ... من ابن زياد العبد ذي الحسَبِ الوغلِ[5]
سُمَيَّةُ أمسى نَسْلُها عددَ الحصَى ... وليس لآل المصطفى اليومَ من نسلِ[6]

فضرب يزيد في صدره وقال: اسكتْ. قيل: وسمع بعض أهل المدينة ليلة قُتل الحسين منادياً ينادي:

أيّها القاتلونَ جَهلاً حُسَيْناً ... أبشِروا بالعذابِ والتّنكيلِ
كلُّ أهلِ السّماءِ يدعو عليكُمْ ... مِن نَبيٍّ ومَلأكٍ وقَبيلِ[7]

---

(١) الطبري ٥/٤٦٦.
(٢) في طبعة صادر ٤/٨٩ «يحيى بن أكثم» وهذا وهْم فاحش، فابن أكثم هو القاضي المعروف في العصر العباسي، والتصحيح من: الطبري ٥/٤٦٠.
(٣) في (ب) و(ر): «إمام».
(٤) في (ب): «مجيب اللطف».
(٥) في (ب) و(ر): «الرذلي»؛ وفي تاريخ الإسلام: «ذي النسب الوغل».
(٦) البيتان في: تاريخ الطبري ٥/٤٦٠ وفيه: «وبنت رسول الله ليس لها نسل»، ومثله في: تاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ـ ص ١٨، وهو ينسب القول إلى: عبد الرحمن بن الحكم.
(٧) في الطبعة الأوربية: «من نبيّ ومن مَلَكٍ وقبيل»، وفي تهذيب تاريخ دمشق: «ومرسل وقتيل»، وفي البداية والنهاية «مالك».

قـد لُعِنتـمْ عـلى لـسـانِ ابـنِ داو دَ ومـوسَى وصـاحبِ[1] الإنـجيـلِ[2]

ومكث الناس شهرين أو ثلاثة كأنّما تُلطّخ الحوائط بالدماء ساعةَ تطلُعُ الشمس حتّى ترتفع. قال رأس جالوت ذلك الزمان: ما مررتُ بكربلاء إلاّ وأنا أُركِض دابّتي حتّى أخلّف المكان، لأنّا كنّا نتحدّث أنّ ولد نبيّ يُقْتَل بذلك المكان، فكنتُ أخاف، فلمّا قُتل الحسين أمِنْتُ، فكنتُ أسير ولا أركّض.

قيل: وكان عُمْر الحسين يوم قُتل خمساً وخمسين[3] سنة، وقيل: قُتل وهو ابن إحدى وستّين[4]، وليس بشيءٍ.

وكان قتْلُه يوم عاشوراء سنة إحدى وستّين[5].

(بُرَيْر بن خُضَير: بضمّ الباء الموحَّدة، وفتح الراء المهملة، وسكون الياء المُثَنَّاة من تحتها، وآخره راء. وخُضَير: بالخاء والضّاد المعجمتين. ثُبَيْت: بضمّ الثّاء المثلّثة، وفتح الباء الموحّدة، وسكون الياء المثنّاة من تحتها، وآخره تاء مثنّاة من فوقها. ومُحَفِّر بضم الميم، وفتح الحاء المهملة، وتشديد الفاء المكسورة، وآخره راء).

([وقال][6]... التيميُّ تَيْم مُرّة يرثي الحسين وأهله، وكان منقطعاً إلى بني [هاشم]:

مـررتُ عـلى أبـيـاتِ آلِ مُـحـمّـدٍ ... فـلم أرَهـا أمـثـالـهـا يـومَ حُـلّتِ[7]

فـلا يُـبـعـدِ الـلّهُ الـدّيـارَ وأهـلَهـا ... وإن أصبحـتْ من أهـلها قـد تخلّتِ[8]

وإنّ قـتـيـلَ الـطَّفّ مـن آل هـاشِـمٍ ... أذلَّ رِقـابَ الـمـسـلـمـيـنَ فـذلّـتِ[9]

---

(١) في تاريخ الطبري، والبداية والنهاية «وحامل».

(٢) الطبري ٥/٤٦٧، تهذيب تاريخ دمشق ٤/٣٤٤، البداية والنهاية ٨/١٩٨، نهاية الأرب ٢٠/٤٧٤، الفتوح لابن أعثم ٥/٢٥٠، ٢٥١.

(٣) في (ر): «وستين».

(٤) في (ر): «وقيل خمسين والأخير أصح».

(٥) تهذيب تاريخ دمشق ٤/٣٤٥.

(٦) من هنا إلى نهاية الأبيات من (ش)، وفي أول الفقرة بياض.

(٧) في تهذيب تاريخ دمشق، وتهذيب الكمال، وسير أعلام النبلاء: «فألفيتُها أمثالَها حين حُلّت». والمثبت يتفق مع الحماسة لأبي تمام، وفي: الاستيعاب: «فلم أر من أمثالها حيث خلت».

(٨) في تهذيب تاريخ دمشق، وتهذيب الكمال، وسير أعلام النبلاء: «وإن أصبحت منهم برغمي تخلّت»، وفي الاستيعاب، والبداية والنهاية «وإن أصبحت منهم بزعمي تحلّت».

(٩) في المصادر: «أذلّ رِقاباً من قريشٍ فذلّت».

وكـانـوا رَجـاءً ثـمّ أضحـوا رَزيّـةً[1] لقـد عـظُمَتْ تلك الـرّزايـا وجلّتِ
وعنـد غنـيٍّ[2] قَـطرَةٌ من دمـائِنـا سنُجْـزيهمُ[3] يـومـاً بهـا حيثُ[4] حلّتِ[5]
إذا افتَقـرتْ[6] قيسٌ جبـرْنـا فقيـرَهـا[7] تُقـتّـلُنـا[8] قَيسٌ إذا الـنَّعْـلُ زلّـتِ[9]

ذكر أسماء من قُتل معه[10]

قـال سليمان: لمـا قُتل الحسين ومن معـه حُملت رؤوسهم إلى ابن زياد، فجـاءت كِندة بثلاثـة عشر رأسـاً، وصاحبُهم قيس بن الأشعث، وجـاءت هـوازن بعشـرين رأسـاً، وصاحبهُم شَمِر بن ذي الجَوشَن الضبابيُّ، وجاءت بنو تميم بسبعة عشر رأساً، وجاءت بنو أسد بستّة أرؤس، وجاءت مَذْحِج بسبعة أرؤس، وجاء سائر الجيش بسبعة أرؤس، فـذلك سبعون رأساً.

وقُتل الحسين، قتله سِنان بن أَنَس النَّخَعيُّ، لعنه الله، وقُتل العبّـاس بن عليّ، وأمّه أمّ البنين بنت حِزام، (قتله زيد بن رُقاد الجُنُبيُّ)[11] وحكيم بن الطفيـل السِّنْبسِيّ[12]. وقُتل جعفـر بن عليّ، وأمّه أمّ البنين أيضـاً. وقُتل عبـد الله بن عليّ، وأمّـه أمّ البنين أيضـاً)[13]. وقُتـل عثمـان بن عليّ، وأمّـه أمّ البنين أيضـاً، رمـاه خَـوَلِيّ بن يـزيـد بسهم فقتله. وقُتـل محمد بن عليّ، وأمّه أمّ ولد، قتله رجل من بني دارم. وقُتل أبو بكـر بن عليّ، وأمّه ليلى

---

(١) في تهذيب تاريخ دمشق، وتهذيب الكمال، وسير أعلام النبلاء، والبداية والنهاية: «وكانوا لنا غُنْماً فعادوا رَزِيّة»، والمثبت يتفق مع الاستيعاب.
(٢) في البداية والنهاية: «وعند يزيد».
(٣) في الطبعة الأوربية: «سنجريهم».
(٤) في تهذيب الكمال: «حين».
(٥) في الطبعة الأوربية: «خلّت».
(٦) في الطبعة الأوربية: «افترقت».
(٧) في الاستيعاب: «حبرنا فقيرها»، وفي تهذيب تاريخ دمشق «تخير غيرها»، وفي تهذيب الكمـال، والبدايـة والنهاية: «خبرنا فقيرها».
(٨) في البداية والنهاية: «وتقلنا».
(٩) البيت الثالث في مروج الذهب ٣/٧٤، وكلها في: الاستيعـاب ١/٣٧٩، ٣٨٠ مع أبيـات أخرى وتقـديم وتـأخير، وتهـذيب تاريـخ دمشق ٤/٣٤٥، ٣٤٦، وتهذيب الكمـال ٦/٤٤٧، ٣٤٨، وسير أعـلام النبـلاء ٣/٣١٨، ٣١٩، والبـداية والنهـاية ٨/٢١١، وبعضهـا في ديوان الحمـاسـة لأبي تمـام بشـرح المـرزوقي ٢/٩٦١، ٩٦٢، وأسد الغابة ٢/٢٢، ومقاتل الطالبيين ١٢١، ١٢٢، وزهر الآداب ١/١٣٤.
(١٠) العنوان من (ش).
(١١) في الأوربية: «زيد بن داود الجنبي».
(١٢) في الأوربية: «السبّيّ».
(١٣) ما بينَ الحاصرتين من (ب).

بنت مسعود الدارميّة، وقد شُكّ في قتله. وقُتل عليّ بن الحسين بن عليّ، وأمّه ليلى ابنة أبي مُرّة بن عُرْوة الثقفيّ، وأمّها[1] ميمونة ابنة أبي سفيان بن حرب، قتله [مُرَّة بن][2] مُنْقذ بن النعمان العبديّ، وقُتل عبد الله بن الحسين بن عليّ، وأمّه الرباب ابنة امرىء القيس الكلبيّ، قتله هانىء بن ثُبَيت الحضرَميّ. وقُتل أبو بكر ابن أخيه الحسن أيضاً، وأمّه أمّ ولد، [قتله عبد الله بن عقبة الغَنَويّ، وقُتل عبد الله بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب، وأُمُّه أمّ ولد][3]، قتله حَرْملة بن الكاهن، رماه بسهم. وقُتل القاسم بن الحسن أيضاً، قتله سعد بن عَمْرو بن نُفَيْل الأزْديُّ. وقُتل عَون بن أبي جعفر بن أبي طالب، وأمّه جمانة[4] بنت المسيَّب بن نَجَبَة الفزاريّ، قتله عبد الله بن قُطْبَة[5] الطّائيُّ. وقُتل محمد بن عبد الله بن جعفر، وأمّه الخوصاء بنت خَصَفة بن تَيْم الله بن ثعلبة، قتله عامر بن نَهْشَل التَّيْميُّ. وقُتل جعفر بن عَقيل بن أبي طالب، وأمّه أمّ بنين ابنة الشقر بن الهضاب، قتله بِشْر بن الخوط[6] الهمدانيُّ. وقُتل عبد الرحمن بن عَقيل، وأمّه أمّ ولد، قتله عثمان بن خالد الجُهَنيُّ. وقُتل عبد الله[7] بن عَقيل، وأمّه أمّ ولد، رماه عَمْرو بن صُبَيْح الصَّيْداويُّ بسهم فقتله. وقُتل مسلم بن عَقيل بالكوفة، وأمّه أمّ ولد. وقُتل عبد الله بن مسلم بن عَقيل، وأمّه رُقَيّة ابنة عليّ بن أبي طالب، قتله عَمْرو بن صُبَيْح الصَّيْداويّ[8]، ويُقال قتله مالك بن أُسَيْد[9] الحضرميُّ. وقُتل محمد بن أبي سعيد بن عَقيل، وأمّه أمّ ولد، قتله لَقيط بن ياسر الجُهَنيُّ.

واستُصغر الحسن بن الحسن[10] بن عليّ، وأمّه خَوْلة بنت منظور بن زبّان الفزاريّ، واستُصغر عمرو بن الحسين[11]، وأمّه ولد، فلم يُقتلا.

---

(١) في طبعة صادر ٤/٩٢ «وأمه» وهو وهْم، والتصويب من الطبري ٥/٤٦٨.
(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من طبعة صادر، استدركته من: الطبري.
(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من طبعة صادر، استدركته من تاريخ الطبري، ولم يتنبّه الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم في تحقيقه لتاريخ الطبري إلى النقص في «الكامل» لابن الأثير ولهذا أشار في الحاشية (٢) من الصفحة ٤٦٨ أن قاتل أبي بكر بن الحسن بن علي هو حرملة الكاهن حسب ابن الأثير، والصحيح أن قاتله هو عبد الله بن عُقبة الغنوي كما جاء في تاريخ الطبري.
(٤) في الطبعة الأوربية: «جماعة».
(٥) في (ر): «قطية».
(٦) في تاريخ الطبري ٥/٤٦٩ «حَوْط»، ويقال: «بِشْر بن سوط».
(٧) في (ر): «عبد الرحمن».
(٨) أو «الصدائي» كما في: تاريخ الطبري ٥/٤٦٩.
(٩) الطبري: «قتله أسيد بن مالك».
(١٠) في الطبعة الأوربية: «الحسن بن الحسين».
(١١) الطبري: «واستصغر عمر بن الحسن».

وقُتل من الموالي [سليمان مولى] الحسين، قتله سليمان بن عوف الحضرميُّ، وقُتل مُنْجِح[1] مولى الحسين أيضاً، وقُتل عبد الله بن بُقْطُر رضيع الحسين[2].

قال ابن عبّاس: رأيتُ النبيَّ ﷺ، اللّيلةَ الّتي قُتل فيها الحسين، وبيده قارورةٌ وهو يجمع فيها دماً. فقلتُ: يا رسول الله ما هذا؟ قال: هذه دماء الحسين وأصحابه، أرفعها إلى الله تعالى. فأصبح ابنُ عبّاس، فأعلم الناسَ بقتل الحسين، وقصّ رُؤياه، فوُجد قد قُتل في ذلك اليوم[3].

ورُوي أنّ النبيّ ﷺ، أعطى أمَّ سَلِمة تراباً من تربة الحسين، حمله إليه جبرائيل، فقال النبيُّ ﷺ، لأمّ سَلِمة: إذا صار هذا التّراب دماً فقد قُتل الحسين. فحفظت أمّ سَلِمَة ذلك التراب في قارورةٍ عندها، فلمّا قُتل الحسين صار التراب دماً، فأعلمت الناس بقتله أيضاً. وهذا يستقيم على قول من يقول أمّ سَلِمة تُوُفّيت بعد الحسين.

ثمّ إنّ ابن زِياد قال لعمر بن سعد بعد عَوْده من قتل الحسين: يا عمر، إيتني بالكتاب الذي كتبتُه إليك في قتل الحسين. قال: مضيتُ لأمرك وضاع الكتاب. قال: لتجئني به، قال: ضاع. قال: لتجئني به. قال: تُرِكَ والله يُقرأ على عجائز قريش بالمدينة اعتذاراً إليهنّ، أما[4] واللّهِ لقد نصحتُك في الحَسَن نصيحةً، لو نصحتها أبي سعدَ بنِ أبي وقّاص لكنتُ قد أدّيتُ حقّه. فقال عثمان بن زياد، أخو عُبيد الله: صدق والله! لوددتُ أنه ليس من بني زياد رجل إلّا وفي أنفه خِزامة إلى يوم القيامة، وأنّ الحسين لم يُقْتَل! فما أنكر ذلك عُبيد الله بن زياد. آخر المقتل.

ذكر مقتل أبي بلال مِرْداس بن حُدَيْر[5] الحنظليّ

قد تقدّم ذِكر سبب خروجه، وتوجيه عُبيد الله بن زياد العساكر إليه في ألفَيْ رجل، فالتقائهم بآسَك[6]، وهزيمة عسكر ابن زياد، فلمّا هزمهم أبو بلال وبلغ ذلك ابن زياد أرسل إليه ثلاثة آلاف عليهم عَبّاد بن الأخضر، والأخضر زوج أمّه، نُسب إليه، وهو

---

(١) في الأوربية: «منحج».

(٢) الطبري ٥/٤٦٧ - ٤٦٩.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ١/٢٨٣، والطبراني في المعجم الكبير ٣/ رقم (٢٨٢٢)، وابن عساكر (تهذيب تاريخ دمشق) ٤/٣٤٣، والذهبي في تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ) - ص ١٧.

(٤) في الأوربية: «أم».

(٥) في الأوربية: «جدير». وفي نسخة (شفر) المجلّد ٣/ ورقة ٥١٧ «أدية» بدل «حدير».

(٦) آسَك: بفتح السين المهملة وكاف. بلد من نواحي الأهواز، قرب أرّجان، بين أرّجان ورامهُرمُز. (معجم البلدان ١/٥٣).

عبّاد بن عَلقمة بن عَبّاد التّميميّ، فاتّبعه حتّى لحِقه بتـوَّج[1] فصفّ له عبّـاد، وحمل عليهم أبو بلال فيمَنْ معه، فثبتوا[2] واشتـدّ القتال حتّى دخـل وقت العصر، فقـال أبو بـلال: هذا يوم جُمعة وهو يوم عظيم، وهذا وقت العصر فدعُـونا حتّى نُصلّي. فـأجابهم ابنُ الأخضـر وتحاجزوا، فعجّل ابن الأخضر الصلاة، وقيل قطعها، والخوارج يصلّون، فشدّ عليهم هو وأصحابه، وهم مـا بين قائمٍ وراكـع وساجـد، لم يتغيّر منهم أحـد من حالـه، فقُتلوا عن آخرهم[3]، وأخذ رأس أبي بلال.

ورجع عبّاد إلى البصرة فرصده بها عُبَيدة بن هلال، ومعه ثلاثة نفر، فأقبل عبّاد يريد قصر الإمارة، وهو مُرْدِف ابناً صغيراً له، فقالوا له: قفْ حتّى نستفتيـك. فوقف، فقـالوا: نحن إخوة أربعة، قُتل أخونا فما ترى؟ قال: استَعْدُوا[4] الأمير. قـالوا: قـد استعدينـاه فلم يُعْدِنا. قال: فاقتلوه قتله الله! فوثبوا عليه وحكّموا به فألقى ابنـه فنجا وقُتـل هو، فـاجتمع الناس على الخوارج فقُتلوا، غير عُبَيْدة[5].

ولمـا قُتل ابن عبّـاد كان ابن زيـاد بالكـوفة ونـائبه بـالبصرة عُبَيـد الله بن أبي بَكْرة، فكتب إليه يأمـره أن يتبع الخـوارج، ففعل ذلـك وجعل يـأخذهم، فـإذا شُفِّع في أحـدهم ضمنـه إلى أن يَقْدَم ابن زيـاد، ومَن لم يكفلْه أحدٌ حبسـه، وأُتي بعُرْوة بن أُديَّـة، فأطلقـه وقـال: أنا كفيلك. فلمّـا قدم ابن زيـاد أخـذ مَنْ في الحبس من الخـوارج فقتلهم وطلب الكُفلاء بمن كُفِّلوا به، فمن أتَى بخارجيّ أطلقه وقتل الخارجيّ، ومَنْ لم يأتِ بالخـارجيّ قتله، ثمّ طلب عُبيـدَ الله بن أبي بكرة بعُـرْوة بن أُديَّة، قـال: لا أقـدر عليـه. فقـال: إذنْ أقتلك به، فلم يزل يبحث عنه حتّى ظفر به، وأحضره عند ابن زياد، فقـال له ابن زيـاد: لأمثّلنّ بك. فقال: اخترْ لنفسك من القَصاص ما شئتَ به، فأمر به فقُـطعتْ يداه ورِجْـلاه وصَلَبَه، وقيل: إنّه قُتل سنة ثمانٍ وخمسين[6].

ذكر ولاية سَلْم[7] بن زياد على خُراسان وسِجِسْتان

قيل: في هذه السنة استعمل يزيدُ سَلْمَ بن زياد على خُراسان.

---

(1) في (ر): «بنوح»، وفي الأوربية «بتبوح». وتُوَّج: مدينة بفارس، ويقال لها: توّز، بالزاي.
(2) حتى هنا عند الطبري ٥/٤٧١.
(3) نهاية الأرب ٢٠/٤٨٢.
(4) في (ر): «استفتوا».
(5) الطبري ٥/٤٧١، نهاية الأرب ٢٠/٤٨٢.
(6) أنظر الطبري ٥/٣١٣.
(7) ورد الاسم بصِيَغ عدّة في الأصول: «سلم» و«سلام» و«مسلم».

وسبب ذلك أنّ سَلْماً قـدِم على يزيـد، فقال لـه يزيـد: يا أبـا حرب[1] أولّيـك عمل أخويك عبد الرحمن وعبّـاد. فقال: مـا أحبَّ أميرُ المؤمنين. فـولّاه خُراسـان وسِجِسْتان، فوجَّه سَلْمٌ الحارثَ بن معاويـة الحارثيَّ جـدّ عيسى بن شبيب[2] إلى خُراسـان، وقدِم سلْم البصرة، فتجهّز منها، فوجّه أخاه يـزيد إلى سجستـان، فكتب عُبيد الله بن زيـاد إلى أخيه عبّاد يُخبره بولاية سلْم، فقسّم عبّاد ما في بيت المال [على] عبيده، وفضل فضْلٌ فنـادى: مَنْ أراد سلفـاً فلْيـأخـذ، فـأسلف كـلَّ من أتـاه، وخـرج عبّـاد من سجستـان. فلمّـا كـان بجِيرَفْت[3] بلغه مكان سلْم، وكان بينهما جبل، فعـدل عنه، فـذهب لعبّاد تلك الليلة ألف مملوك، أقلّ ما مع أحدهم عشرة آلاف. وسار عبّاد على فارس، فقـدِم على يزيـد فسألـه عن المال، فقال: كنتُ صاحب ثغر، فقسمتُ ما أصبتُ بين الناس.

ولما سار سَلْم إلى خُراسان كتب معـه يزيـد إلى أخيه عُبيـد الله بن زياد ينتخب لـه ستّة آلاف فارس. وقيل: ألفَيْ فارس. وكان سلْم ينتخب الوجـوه، فخرج معـه عِمْران بن الفضيـل[4] البُرْجُميُّ، والمهلّب بن أبي صُفْـرة، وعبد الله بن خـازم السُّلَميُّ، وطلحـة بن عبـد الله بن خَلَف الخُزَاعيُّ، وحنـظلة بن عَرَادة، ويحيَى بن يَعْمَـر العَـدْوانيُّ، وصِلَة بن أشْيَم العدويُّ، وغيرهم.

وسار سلْم إلى خُراسان وعبر النهر غازيـاً، وكان عُمّـال خُراسـان قبله يغزون، فـإذا دخل الشتاء رجعـوا إلى مَرْو الشّـاهِجان، فـإذا انصرف المسلمـون اجتمع ملوك خُـراسان بمدينة ممّا يلي خُوارِزْم، فيتعاقدون أن لا يغـزو بعضهم بعضاً، ويتشـاورون في أمورهم، فكان المسلمون يطلبون[5] إلى أمرائهم غزو تلك المدينة، فيـأبون عليهم، فلمّـا قدِم سَلْم غزا، فشتا في بعض مغازيه، فـألحّ عليـه المهلّبُ بن أبي صُفْرة، وسـأله التّـوجُّه إلى تلك المدينة، فوجّهه في ستّـة آلاف، وقيل: أربعـة آلاف، فحاصـرهم، فطلبـوا أن يصالحهم على أن يَفْـدوا أنفسهم، فأجـابهم إلى ذلك، وصـالحـوه على نيِّفٍ وعشـرين ألف ألف، وكان في صُلْحهم أن يأخذ منهم عروضاً، فكان يأخذ الرأس والدّابّة والمتاع بنصف ثمنه، فبلغت قيمة ما أخذ منهم خمسين ألف ألف، فحظي بهـا المهلّب عند سلْم، وأخـذ سلْم من ذلك ما أعجبه، وبعث به إلى يزيد.

وغزا سلْم سَمَرْقَنْد، وعبرت معه النهر امـرأتُه أمّ محمّـد ابنة عبـد الله بن عثمان بن

---

(١) في (ر): «حارث».

(٢) في (ب): «شبث».

(٣) في (ر): «بهرقة». وجِيرَفْت: بكسر أوله وفتح الراء المهملة، وسكون الفاء الموحّدة. مدينة بكرمان.

(٤) الطبري ٤٧٢/٥ «الفصيل».

(٥) في الأوربية: «يطالبون».

أبي العاص الثقفيّة، وهي أوّل امرأة من العرب قُطع بها النهر، فولدت له ابناً سمّاه صُغْدى، واستعارت امرأته من امرأة صاحب الصُّغد حُليها، فلم تُعِدْه إليها، وذهبت به[1].

ووجّه جيشاً إلى خُجَنْدة[2]، فيهم أعشى هَمْدان، فهُزموا، فقال الأعشى[3]:

ليتَ خيَلي يوْمَ الخُجَنْدَةِ لم تُهْـ ... زَمْ وغُودِرْتُ في المكَرِّ سَليبَا

تحضرُ الطّيرُ مصرَعي وتَروّحْـ ... ـتُ إلى اللهِ بالدّماء خَضيبَا[4]

ذكر ولاية يزيد بن زياد وطلحة الطَّلحات سِجِسْتان

ولما استعمل يزيدُ بن معاوية سَلْمَ بن زياد على خراسان استعمل أخاه يزيدَ على سِجِسْتان، فغدر أهلُ كابُل، فنكثوا وأسروا أبا عُبَيدة بن زياد، فسار إليهم يزيد بن زياد في جيش، فاقتتلوا وانهزم المسلمون، وقُتل منهم كثير، فممّنْ قُتل يزيد[5] بن عبد الله بن أبي مُلَيْكة، وصِلَة بن أشْيم أبو الصّهْباء العَدَويّ زوج مُعاذة العدويّة، فلمّا بلغ الخبرُ سلْمَ بنَ زياد، سيّر طلحة بن عبد[6] الله بن خَلَف الخُزاعيَّ، وهو طلحة الطَّلْحات، ففدى أبا عُبيدة بن زياد بخمسمائة ألف درهم، وسار طلحة من كابُل إلى سَجِسْتان والياً عليها، فجبَى المال وأعطى زُوّاره، ومات بسَجِسْتان، واستخلف رجلاً من بني يَشْكُر، فأخرجتْه المُضَريّة ووقعت العصبيّة، فطمع فيهم رتبيل[7].

ذكر ولاية الوليد بن عُتْبَة المدينة والحجاز وعزل عَمْرو بن سعيد

قيل: وفي هذه السنة عزل يزيد عَمْرَو بنَ سعيد عن المدينة، وولاّها الوليد بن عُتْبَة بن أبي سفيان.

وكان سبب ذلك أنّ عبد الله بن الزُّبير أظهر الخلاف على يزيد، وبويع بمكّة بعد قتل الحسين، فإنّه لما بلغه قتل الحسين قام في الناس، فعظّم قتله، وعاب أهل الكوفة خاصّة، وأهل العراق عامّة، فقال بعد حمد الله والصلاة على رسول الله ﷺ: إنّ أهل

(1) الطبري ٥/٤٧١ ـ ٤٧٤، نهاية الأرب ٢٠/٤٨٣، ٤٨٤.
(2) خُجَنْدَة: بضم أوله، وفتح ثانيه، ونون ساكنة، وفتح الدال المهملة. مدينة على شاطىء سيحون.
(3) في طبعة صادر ٤/٩٧ «فقال أعشى»: والتصويب من: فتوح البلدان ٥١٠.
(4) في معجم البلدان ٢/٣٤٧ ورد البيت الأول فقط، وهما في: نهاية الأرب ٢٠/٤٨٤، وفتوح البلدان والخبر فيه.
(5) في فتوح البلدان «زيد».
(6) في (ر): عبيد.
(7) في (ب): «زنبيل»، وفي (ر): «ريتل». والخبر في: فتوح البلدان ٤٩٠، والخراج وصناعة الكتابة لقدامة ٣٩٦، وانظر: تاريخ خليفة ٢٣٦، وتاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ـ ص ٢٢.

العراق غُدُرٌ فُجُرٌ[1] إلاّ قليلاً، وإنّ أهـل الكوفـة شِرار أهـل العراق، وإنّهم دعـوا الحسين لينصروه، ويولّوه عليهم، فلمّا قدِم عليهم ثاروا عليه فقالوا: إمّا أن تضع يدك في أيـدينا، فنبعث بك إلى ابن زياد بن سُميّة، فيُمضي فيك حُكْمَه، وإمّا أن تحـارب؛ فرأى والله أنّـه هو وأصحابـه قليل في كثيـر، فإنْ كـان الله لم يُطْلِعْ على الغيب أحـداً أنّه مقتـول، ولكنّه اختار الميتةَ الكريمة على الحياة الذّميمة، فرحِم الله الحسين، وأخزى قاتلَه! لَعَمْـري لقد كان من خلافهم إيّاه وعصيانهم مـا كان في مثله واعظٌ ونـاهٍ عنهم، ولكنه ما قُرّر[2] نـازل، وإذا أراد الله أمـراً لم يُدْفَـعْ، أَفَبَعْدَ الحسين نـطمئنّ إلى هؤلاء القـوم، ونصـدّق قـولهم، ونقبل لهم عهداً؟ لا واللّهِ[3]، لا نـراهم لذلـك أهلاً، أمـا[4] واللّهِ لقد قتلوه طـويلاً بـالليل قيامُهُ، كثيراً في النهار صيـامُهُ، أحقَّ بمـا هم فيه منهم وأَوْلَى بـه في الدّين والفضـل، أما والله ما كان يبدّل بالقرآن الغِناءَ[5]، ولا بالبكاء من خشية الله الحُداءَ[6]، ولا بالصيام شُـرْبَ الخمر[7]، ولا بالمجالس في حَلَقِ الذكر تطلابَ[8] الصيد، يعرّض بيزيد، ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً﴾[9].

فثار إليه أصحابه وقالوا: أَظْهِرْ بَيْعتك، فإنّك لم يبقَ أحدٌ إذ هلك الحسين ينازعـك هذا الأمر. وقد كان يبايع سرّاً، ويُظهر أنّه عائذ بالبيت. فقال لهم: لا تعجّلوا، وعَمرو بن سعيد يومئذٍ عامل مكّة، وهـو أشدّ شيءٍ على ابن الـزُّبير، وهـو مع ذلـك يداري ويـرفق، فلمّا استقرّ عند يزيد ما قد جمع ابن الـزّبير بمكّـة من الجُمُوع، أعـطى اللّهَ عهداً لَيُـوثِقَنّه في سلسلة، فبعث إليـه سلسلة من فضّة[10]، مـع ابن عِضَـاه[11] الأشعـريّ، وسعـد[12] وأصحابهما، ليأتوه به فيها، وبعث معهم بُرْنُسَ خزٍّ ليُلبسوه عليها، لئلاّ تظهر للناس.

---

(1) في الطبعة الأوربية: «غدراء فجراء».
(2) الطبري ٥/٤٧٥: «ما حُمّ».
(3) الطبري: «لا، ولا نراهم».
(4) في الأوربية: «أم».
(5) في الأوربية: «غيّاً».
(6) في الأوربية: «جدا».
(7) في (ب): «الحرام»، ومثله في تاريخ الطبري ٥/٤٧٥.
(8) في الأوربية: «بكلاب»، وكذلك في: أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/٣٠٤، وفي تـاريخ الـطبري: «في حلق الذكر الركض في تطلاب الصيد».
(9) سورة مريم، الآية ٥٩.
(10) حتى هنا في: تاريخ الطبري ٥/٤٧٤، ٤٧٥.
(11) في طبعة صادر ٤/٩٩ «ابن عطاء» وهو غلط، والتصويب من: الطبري ٥/٤٧٦ واسمه «يزيد بن معاوية بن عِضاه الأشعري»، وفي الأخبار الطوال للدينوري ٢٦٣ «عبد الله بن عضاة».
(12) الطبري: «مسعدة».

فاجتاز ابن عِضاه بالمدينة، وبها مروان بن الحكَم، فأخبره ما قدِم له، فأرسل مروان معه ولدَين له، أحدهما عبد العزيز وقال: إذا بلغته رُسُل يزيد، فتعرّضا له، وليتمثّل أحدكما بهذا القول، فقال:

فَخُذْها فليستْ للعزيز بخُطّةٍ[1] وفيها فعالٌ[2] لامرىءٍ متذلِّلِ

أعامِرُ إنّ القوم ساموك خُطّةً وذلك في الجيرانِ غَزْلٌ بمغزَلِ[3]

أراكَ إذا ما كنتَ للقوْمِ ناصِحاً يقال له بالدَّلو أدْبِرْ وأقبلِ

فلمّا بلّغه الرسول الرسالة، قال عبد العزيز الأبيات، فقال ابن الزُّبير: يا بني مروان، قد سمعتُ ما قلتما، فأخبرا أباكما:

إنّي لَمِنْ نَبْعَةٍ[4] صُمّ مَكاسِرُها إذا تناوحتِ القَصْباءُ[5] والعُشَرُ

فلا أَلِينُ لغيرِ الحَقّ أسألُهُ حتى يلين لِضِرس[6] الماضغِ الحجرُ[7]

وامتنع ابن الزُّبير من رُسُل يزيد، فقال الوليد بن عُتْبَة وناس من بني أُميّة ليزيد: لو شاء عَمرو لأخذ ابن الزُّبير وسرّحه إليك. فعُزل عَمْرو، ووليَ الوليد الحجاز[8]. وأخذ الوليدُ غلمانَ عَمرو ومَواليه فحبسهم، فكلّمه عَمْرو، فأبَى أن يخلّيهم، فسار عن المدينة ليلتين، وأرسل إلى غلْمانه بعِدّتهم من الإبل، فكسروا الحبس، وساروا إليه، فلحِقوه عند وصوله إلى الشام، فدخل على يزيد، وأعلمه ما كان فيه من مكايدة ابن الزُّبير، فَعَذَرَه وعلِم صِدْقه[9].

---

(١) في (ر) ونسخة المتحف البريطاني: «يخطه»: وفي أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/٣٠٥ «مذلّة».

(٢) في (ب): «مقال»، وكذلك في: أنساب الأشراف: وهذا البيت في: تاريخ اليعقوبي ٢/٢٤٧، وحماسة البحتري، رقم ١١١، وتهذيب تاريخ دمشق ٧/٤١٤.

(٣) في الأوربية: «عزلاً بمعزل».

(٤) في الأوربية: «بيعة».

(٥) في الأوربية: «البكاء».

(٦) في الأوربية: «الضرس».

(٧) الطبري ٥/٤٧٦، والبيت الأخير فقط في: الأخبار الطوال للدينوري ٢٦٢، وكلها في تهذيب تاريخ دمشق ٧/٤١٤.

(٨) الطبري ٥/٤٧٧.

(٩) أورد الطبري هذا الخبر مطوّلاً في أول حوادث سنة ٦٢ هـ. (٥/٤٧٨، ٤٧٩).

ذكر عدّة حوادث

حجّ بالناس الوليدُ هذه السنة[1].

وكان الأمير بالعراق عُبيد الله بن زياد، وعلى خُراسان سَلْم بن زياد، وعلى قضاء الكوفة شُرَيْح، وعلى قضاء البصرة هشام بن هُبَيرة[2].

وفي هذه السنة مات عَلْقمة بن قيس[3] النَّخَعيُّ صاحب ابن مسعود، وقيل: سنة اثنتَين، وقيل: خمس، وله تسعون سنة.

[الوفيات]

وفيها توفّي المنذر بن الجارود[4] العبديُّ.

وجابر بن عَتيك[5] الأنصاريُّ، (وقيل حُرّ)[6]، وكان عمره إحدى وتسعين سنة، وشهد بدراً.

وفيها مات حمزة بن عَمرو[7] الأسلميُّ، وعمره إحدى وسبعون سنة، وقيل ثمانون سنة، له صُحْبة.

وفيها توفّي خالد بن عُرْفُطَة[8] الليثيُّ، وقيل العُذْريُّ، حليف بني زُهْرَة، (وقيل مات سنة ستين، وله صحبة)[9].

---

(١) تاريخ خليفة ٢٣٥، المحبّر ٢١، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٥٣، تاريخ الطبري ٥/٤٧٧، مروج الذهب ٤/٣٩٨، تاريخ حلب للعظيمي ١٨٥، نهاية الأرب ٢٠/٤٨٥، البداية والنهاية ٨/٢١٢.

(٢) الطبري ٥/٤٧٧.

(٣) أنظر عن (علقمة بن قيس) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ١٩٠ - ١٩٣ رقم ٧٤، وفيه مصادر ترجمته.

(٤) أنظر عن (المنذر بن الجارود) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ٢٥٦ رقم ١١١ وفيه مصادر ترجمته.

(٥) أنظر عن (جابر بن عتيك) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ٨٣، ٨٤ رقم ١٤، وفيه مصادر ترجمته.

(٦) ما بين القوسين من (ر).

(٧) أنظر عن (حمزة بن عمرو) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ١٠٩، ١١٠ رقم ٢٧ وفيه مصادر ترجمته.

(٨) أنظر عن (خالد بن عرفطة) في: تاريخ الصحابة لابن حبّان ٨٧ رقم ٣٥٤، والثقات ٣/١٠٤، والطبقات الكبرى ٤/٣٥٥ و٦/٢١، وترتيب أسماء الصحابة ٥١ رقم ١٠٤، وأسد الغابة ٢/٨٧، ٨٨، والإصابة ١/٤٠٩.

(٩) ما بين القوسين من (ر).

٦٢
ثم دخلت سنة اثنتين وستين

ذكر وفد أهل المدينة إلى الشام

لما وليَ الوليدُ الحجازَ أقام يريد غِرّة ابن الزُّبير، فلا يجده إلّا محترزاً ممتنعاً، وثار نَجْدةُ بن عامر النَّخَعيّ باليمامة حين قُتل الحسين، وثار ابن الزّبَير بالحجاز، وكان الوليد يُفيض من المُعَرَّف، ويفيض معه سائرُ الناس، وابن الزُّبير واقف وأصحابه، ونَجْدة[1] واقفٌ في أصحابه، ثمّ يفيض ابن الزبير بأصحابه، ونَجْدة بأصحابه، وكان نَجْدة يلقى ابن الزُّبير فيُكْثر، حتّى ظنّ أكثر الناس أنّه سيبايعه، ثمّ إنّ ابن الزبير عمل بالمكْر في أمر الوليد، فكتب إلى يزيد: إنّك بعثتَ إلينا رجلاً أخرق لا يتّجه لرَشَد، ولا يَرْعوي لعِظَة الحكيم[2]، فلو بعثتَ رجلاً سهل الخُلق، رجوتُ أن يَسْهُل من الأمور ما استوعر منها، وأن يجتمع ما تفرّق[3].

فعزل يزيدُ الوليدَ، وولّى عثمانَ بن محمد بن أبي سفيان، وهو فتى غِرٌّ حَدَث لم يجرّب الأمور، ولم يُحنّكه السّنّ، لا يكاد ينظر في شيءٍ من سُلطانه ولا عمله، فبعث إلى يزيد وفداً من أهل المدينة، فيهم عبد الله بن حنظلة، غسيل الملائكة، وعبد الله بن أبي عَمْرو بن حفص بن المغيرة المخزوميُّ، والمنذر بن الزُّبير، ورجالاً كثيراً من أشراف أهل المدينة، فقدِموا على يزيد، فأكرمهم وأحسن إليهم، وأعظم جوائزهم، فأعطى عبد الله بن حنظلة، وكان شريفاً فاضلاً عابداً سيّداً، مائة ألف درهم، وكان معه ثمانية بنين، فأعطى كلّ ولدٍ عشرة آلاف.

فلمّا رجعوا قدِموا المدينة كلّهم، إلاّ المنذر بن الزبير، فإنّه قدِم العراق على ابن زياد، وكان يزيد قد أجازه بمائة ألف، فلمّا قدِم أولئك النفرُ الوفدُ المدينةَ قاموا فيهم، فأظهروا شتمَ يزيد وعيبه وقالوا: قدِمنا من عند رجلٍ ليس له دِين، يشرب الخمر،

---

(١) في الأصل «ابن نجدة».
(٢) في الأوربية: «لا ينجد لرشد لا يرعوي لفظة الحكيم».
(٣) الطبري ٥/٤٧٨ و ٤٧٩، نهاية الأرب ٢٠/٤٨٥، ٤٨٦.

ويضرب[1] بالطّنابير، ويعزف عنده القِيان، ويلعب بالكلاب، ويسمر عنده الحُرّاب[2]، وهم اللصوص، وإنّا نُشهدكم أنّا قد خلعناه.

وقام عبد الله بن حنظلة الغسيل فقال: جئتكم من عند رجل، لو لم أجد إلّا بنيَّ هؤلاء لجاهدتُهُ بهم، وقد أعطاني وأكرمني، وما قبلتُ منه عطاءه إلّا لأتقوّى به. فخلعه الناس، وبايعوا عبدَ الله بنَ حنظلة الغسيل على خلع يزيد، وولّوه عليهم.

وأمّا المنذربن الزُّبير، فإنّه قدِم على ابن زياد، فأكرمه وأحسن إليه، وكان صديق زياد، فأتاه كتاب يزيد، حيث بلغه أمر المدينة يأمره بحبس المنذر، فكره ذلك، لأنّه ضيفه وصديق أبيه، فدعاه وأخبره بالكتاب، فقال له: إذا اجتمع الناس عندي فقمْ وقل: ائذنْ لي لأنصرف إلى بلادي، فإذا قلتُ: بل أقِمْ[3] عندي، فلك الكرامة والمواساة، فقلْ: إنّ لي ضيعةً[4] وشغلاً، ولا أجد بدّاً لي من الانصراف، فإنّي آذن لك في الانصراف، فتلحق بأهلك.

فلمّا اجتمع الناس على ابن زياد، فعل المنذر ذلك، فأذِن له في الإنصراف، فقدِم المدينة، فكان ممّن يحرّض الناس على يزيد، وقال: إنّه قد أجازني بمائة ألف، ولا يمنعني ما صنع بي أن أخبركم خبره، والله إنّه ليشرب الخمر، والله إنّه لَيَسْكَر، حتّى يدع الصلاة! وعابه بمثل ما عابه به أصحابُه وأشدّ. فبعث يزيدُ: النُّعمانَ بن بشير الأنصاريّ، وقال له: إنّ عدد الناس بالمدينة قومك، فإنّهم ما يمنعهم [شيء] عمّا يريدون، فإنّهم إنْ لم ينهضوا في هذا الأمر، لم يجترىء الناس على (خلافي)[5].

فأقبل النُّعمان، فأتَى قومَه، فأمرهم بلزوم الطّاعة، وخوّفهم الفتنة، قال لهم: إنّكم لا طاقة[6] لكم بأهل الشام. فقال عبد الله بن مُطيع العدويُّ: يا نُعمان، ما يحملك[7] على فساد ما أصلح الله من أمرنا، وتفريق جماعتنا؟ فقال النُّعمان: واللّهِ لكأنّي بك لو نزل بك الجموع، وقامت لك[8] على الرُّكب تضرب مفارق القوم وجِباههم بالسيف، ودارت رَحَا الموت بين الفريقَين، قد ركبتَ بغلتَك إلى مكة، وخلفت[9] هؤلاء المساكين،

(1) في (ب): «ويعزف».
(2) في تاريخ الطبري ٥/٤٨٠ «الخُرّاب» بالخاء المعجمة، وفي نهاية الأرب ٢٠/٤٨٦ «الحُزّاب».
(3) في الأوربية: «تُقِمْ».
(4) في الأوربية: «إنّي لي ضيقةً».
(5) في (ب): «على ذلك».
(6) في الأوربية: «طاعة».
(7) في الأوربية: «عملك».
(8) في (ر): «الرجال».
(9) في (ب): «وطفف»، وفي الأوربية: «وخلف».

يعني الأنصار، يُقْتَلون في سككهم ومساجدهم، وعلى أبواب دُورهم. فعصاه الناس وانصرف، وكان الأمر كما قال[1].

ذكر ولاية عُقْبة بن نافع إفريقية ثانيةً
وما افتتحه فيها وقتله

قد ذكرنا عزل عُقْبَة عن إفريقية وعوده إلى الشام، فلمّا وصل إلى معاوية وعده بإعادته إلى إفريقية، وتوفّي معاوية وعُقبة بالشام، فاستعمله يزيد على إفريقية في هذه السنة وأرسله إليها، فوصل إلى القيروان مجدّاً، وقبض أبا المهاجر أميرها، وأوثقه في الحديد، وترك بالقيروان جُنْداً مع الذّراري والأموال، واستخْلفَ بها زُهَير بن قَيس البَلويَّ[2]، وأحضر أولاده، فقال له: إنّي قد بِعتُ نفسي من الله، عزّ وجلّ، فلا أزال أجاهد من كفر بالله. وأوصى بما يفعل بعده.

ثمّ سار في عسكر عظيم حتّى دخل مدينة باغاية[3]، وقد اجتمع بها خلقٌ كثير من الروم، فقاتلوه قتالاً شديداً، وانهزموا عنه، وقتل فيهم قتلاً ذريعاً، وغنِم منهم غنائم كثيرة، ودخل المنهزمون المدينة وحاصرهم عُقْبة. ثمّ كره المُقام عليهم[4]، فسار إلى بلاد الزّاب، وهي بلاد واسعة، فيها عدّة مدن وقرى كثيرة، فقصد مدينتها العظمى، واسمها أَرَبَة[5]، فامتنع بها مَن هناك من الروم والنّصارى، وهرب بعضهم إلى الجبال، فاقتتل[6] المسلمون ومَنْ بالمدينة من النّصارى عدّة دفعات، ثمّ انهزم النّصارى، وقُتل كثير من فُرسانهم، (ورحل إلى تاهرت)[7].

فلمّا بلغ الرومَ خبرُه استعانوا بالبربر، فأجابوهم ونصروهم، فاجتمعوا في جمْعٍ كثيرٍ، والتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً، واشتدّ الأمر على المسلمين لكثرة العدوّ، ثمّ إن الله

---

(١) الطبري ٥/٤٧٩ ـ ٤٨١، نهاية الأرب ٢٠/٤٨٥ ـ ٤٨٧.

(٢) في فتوح مصر لابن عبد الحكم ١٩٨، ورياض النفوس للمالكي ٢٢ أن عقبة استخلف عمر بن علي القرشي، وزهيراً على القيروان.

(٣) باغاية: بالغين المعجمة، والياء المثنّاة. مدينة كبيرة في أقصى إفريقية بين مجّانة وقسطنطينية الهواء. (معجم البلدان ١/٣٢٥).

(٤) البيان المغرب لابن عذاري ١/٢٤.

(٥) في (ر): «اربة»، والمثبت يتفق مع: معجم البلدان ١/١٤٠ وهي بالتحريك. وانظر: وصف إفريقية للبكري ١٤٤، وتحرّفت في تاريخ ابن خلدون ٤/٣٩٩، ورياض النفوس ٢٣ إلى «أذنة» و «أدنة».

(٦) في الأوربية: «فاقتتلوا».

(٧) ما بين القوسين زيادة من (ر).

تعالى نصرهم، فانهزمت الروم والبربر، وأخذهم السيف، وكثُر فيهم القتْل، وغنِم المسلمون أموالهم وسلاحهم[1].

ثمّ سار حتّى نزل على طَنْجَة، فلقِيه بِطْريق من الروم اسمه يليان، فأهدى له هديّة حسنة، ونزل على حُكمه، ثمّ سأله عن الأندلس، فعظّم الأمر عليه، فسأله عن البربر، فقال: هم كثيرون لا يعلم عددهم إلاّ الله، وهم بالسوس الأدنَى، وهم كُفّار لم يدخلوا في النصرانيّة، ولهم بأس شديد.

فسار عُقْبة إليهم نحو السُّوس الأدنَى، وهي مغرب طَنْجة، فانتهى إلى أوائل البربر، فلقوه في جمعٍ كثير، فقتل فيهم قتلاً ذريعاً، وبعث خيله في كلّ مكانٍ هربوا إليه، وسار هو حتّى وصل إلى السُّوس الأقصى، وقد اجتمع له البربر في عالم لا يُحصَى، فلقِيهم وقاتَلَهم وهزمهم، وقتل المسلمون فيهم حتّى ملّوا، وغنِموا منهم وسَبَوا سبْياً كثيراً، وسار حتّى بلغ ماليان، ورأى البحر المحيط، فقال: يا ربّ، لولا هذا البحر لمضيتُ[2] في البلاد مجاهداً في سبيلك[3].

ثمّ عاد فنفر الروم والبربر عن طريقه خوفاً منه، واجتاز بمكانٍ يُعرَف اليوم بماء الفرس، فنزله، ولم يكن به ماءٌ، فلحِق الناسَ عطشٌ كثير، أشرفوا [منه] على الهلاك، فصلّى عُقْبة ركعتَين ودعا (فبحث فرس له الأرض بيديه، فكشف له عن صفاة)[4] فانفجر الماء، فنادى عُقبة في الناس، فحفروا أحساء كثيرة وشربوا، فسُمّي ماء الفرس[5].

فلمّا وصل إلى مدينة طُبْنة[6]، وبينها وبين القيروان ثمانية أيّام، أمر أصحابه أن يتقدّموا فوجاً فوجاً، ثقةً منه بما نال من العدوّ، وأنّه لم يُبْقِ[7] أحداً يخشاه، وسار إلى تَهُوذَة[8]، لينظر إليها في نفرٍ يسير، فلمّا رآه الروم في قلّة طمعوا فيه، فأغلقوا باب الحصن وشتموه وقاتلوه، وهو يدعوهم إلى الإسلام، فلم يقبلوا منه[9].

---

(١) نهاية الأرب ٢٤/٢٦، ٢٧، البيان المغرب ١/٢٤ باختصار.

(٢) في (ر): «أصبت».

(٣) نهاية الأرب ٢٤/٢٧، ٢٨، وانظر: البيان المغرب ١/٢٦ و٢٧.

(٤) في (ب): «ثم ضرب بدبوس في الأرض».

(٥) نهاية الأرب ٢٤/٢٨، ٢٩.

(٦) في الأصل «طبية».

(٧) في الأوربية: «يثن».

(٨) في (ر): «يهودا»، وتَهُوذَة: بالفتح ثم الضم، وسكون الواو، والذال معجمة. اسم القبيلة من البربر بناحية إفريقية، لهم أرض تُعرف بهم. (معجم البلدان ٢/٦٤) وهي في البيان المغرب ١/٣٠ «تهودا» بالدال المهملة.

(٩) نهاية الأرب ٢٤/٢٩.

ذكر خروج كُسَيْلة بن لمزم[1] البربريّ على عُقْبة

هذا كُسَيْلة بن لمزم[1] البربريُّ كان قد أسلم لما وليَ أبو المهاجر إفريقية، وحسُن إسلامه، وهو من أكابر البربر وأبعدهم صوتاً[2]، وصحِب أبا المهاجر، فلمّا وليَ عُقْبَة عرّفه أبو المهاجر محلّ كسيلة، وأمره بحفظه، فلم يقبل واستخفّ به، وأتى عُقبةُ بغنم، فأمر كسيلةَ بذبْحها وسلخها مع السلّاخين، فقال كسيلة: هؤلاء فتياني وغلماني يكفونني المؤونة. فشتمه وأمره بسلْخها، ففعل، فقبّح أبو المهاجر هذا عند عُقْبة، فلم يرجع، فقال له: أوثِقِ الرجلَ، فإنّي أخاف عليك منه! فتهاون به عُقبة. فأضمر كسيلة الغدر، فلمّا كان الآن، ورأى الروم قلّة مَنْ مع عُقْبة أرسلوا إلى كسيلة، وأعلموه حاله، وكان في عسكر عُقبة مُضمِراً للغدر، وقد أعلم الرومَ ذلك وأطمعهم. فلمّا راسلوه أظهر ما كان يضمره، وجمع أهله وبني عمّه، وقصد عُقبة، فقال أبو المهاجر: عاجِلْه قبل أن يقوى جمعُه. وكان أبو المهاجر موثَقاً في الحديد مع عُقبة. فزحف عُقبة إلى كسيلة، فتنحّى كسيلة عن طريقه ليكثُر جَمْعُه، فلمّا رأى أبو المهاجر ذلك تمثّل بقول أبي مِحْجَن الثقفيّ:

كفى حَزَناً أن تمرغ[3] الخيلُ بالقَنا ... وأُتْركَ مشدوداً عليّ وثاقيا

إذا قمتُ عنّاني الحديدُ وأُغْلِقتْ ... مَصارعُ من دوني تُصِمّ المناديا[4]

فبلغ عُقبة ذلك، فأطلقه، فقال له: الحقْ بالمسلمين وقُمْ بأمرهم، وأنا أغتنم الشهادة. فلم يفعل وقال: وأنا أيضاً أريد الشهادة. فكسر عُقبة والمسلمون أجفان سيوفهم، وتقدّموا إلى البربر وقاتَلوهم، فقُتل المسلمون جميعهم، لم يفلتْ منهم أحد[5]. وأُسر محمد بن أوس الأنصاريُّ في نفرٍ يسير، فخلّصهم صاحب قَفْصة، وبعث بهم إلى القَيْروان[6]. فعزم زُهير بن قيس البلويُّ على القتال، فخالفه حَنَشُ[7] الصنعانيُّ، وعاد إلى

---

(١) في (ب): «المرم» و«لمرم»، وفي طبعة صادر ١٠٧/٤ «كمرم»، والمثبت عن: الحلّة السيراء ٣٢٧/٢ في الحاشية (٣): وفي تاريخ خليفة ٢٥١ «كيزم».

(٢) في الأوربية: «صوبا».

(٣) في الحلّة السيراء «تُقرع»، وفي نهاية الأرب: «تمزع».

(٤) في الأوربية: «مناديا». والبيتان في: الحلّة السيراء ٣٢٨/٢، ورياض النفوس للمالكي ٢٧/١، والأغاني ١٣٩/٢١، ومعالم الإيمان للدباغ ٤٩/١، ونهاية الأرب ٣١/٢٤، وديوان أبي محجن (طبعة بريل ١٨٨٧) - ص ١٦.

(٥) إلى هنا في: نهاية الأرب ٣١/٢٤.

(٦) إلى هنا في: الحلّة السيراء ٣٢٨/٢.

(٧) في طبعة صادر ١٠٨/٤ «جيش»، وهو تصحيف، والتصويب من: الحلّة السيراء ٣٣١/٢، والبيان المغرب ٣١/١.

مصر، فتبعه أكثر الناس، فاضطرّ زُهَير إلى العَوْد معهم، فسار إلى بَرْقة وأقام بها[1].

وأمّا كُسَيلة فاجتمع إليه جميع أهل إفريقية، وقصد إفريقيـة، وبها أصحـاب الأنفال والذّراري من المسلمين، فطلبوا الأمان من كسيلة فآمنهم، ودخل القيـروان واستولى على إفريقية، وأقام بها إلى أن قوي أمر عبد الملك بن مروان، فاستعمل على إفريقية زُهَيـرَ بن قيس البلويَّ، وكان مقيماً ببرقة مرابطاً[2].

ذكر ولاية زُهَير بن قيس إفريقية وقتْله وقتل كسيلة

لمـا ولي[3] عبد الملك بن مـروان، ذُكر عنـده مَنْ بالقَيـروان من المسلمين، وأشـار عليه أصحابه (بإنفاذ الجيوش إلى)[4] إفريقية لاستنقاذهم، فكتب إلى زهير بن قيس البلويّ بولاية إفريقية، وجهّز له جيشاً كثيراً، فسار سنة تسعٍ وستّين إلى إفريقية[5].

فبلغ خبـره إلى كسيلة، فاحتفـل وجمـع وحشـد البـربـر والـروم، وأحضـر أشـراف أصحـابه وقـال: قد رأيتُ أن أرحـل إلى ممش فأنـزلها، فـإنّ بـالقيـروان خلقـاً كثيـراً من المسلمين، ولهم علينا عهدٌ، فلا نغدر بهم، ونخاف إن قاتلنـا زُهَيراً (أن يثب[6] هؤلاء من ورائنـا، فإذا نـزلنا ممش أمِنّـاهم وقاتلنـا زهيراً)[7]، فـإن ظفرنـا بهم تبعناهم إلى طـرابلس وقطعنا أثرهم من إفريقية، وإن ظفروا بنا تعلّقنا بالجبال ونجونا. فأجابوه إلى ذلك، ورحل إلى مَمْش[8]، وبلغ ذلك زهيراً، فلم يدخل القيروان، بل أقـام ظاهـرها ثـلاثة أيّـام، حتّى أراح واستـراح، ورحل في طلب كُسَيْلة، فلمّـا قاربـه نزل، وعبّى أصحـابـه وركب إليـه، فالتقى العسكران، واشتدّ القتال، وكثُر القتلُ في الفريقَين، حتّى آيس الناس من الحيـاة، فلم يزالوا كذلك أكثر النهار، ثمّ نصر اللّهُ المسلمين، وانهزم كسيلة وأصحـابه، وقُتـل هو وجماعة من أعيان أصحابه بمَمْش، وتبع المسلمون البربر والروم، فقتلوا مَنْ أدركـوا منهم فأكثروا، وفي هذه الوقعـة ذهب رجال البـربر والـروم وملوكهم وأشرافهم، وعـاد زهير إلى القيروان[9].

---

(١) نهاية الأرب ٢٤/٣٢، البيان المغرب ١/٣١.

(٢) الحلّة السيراء ٢/٣٣١، البيان المغرب ١/٣١، نهاية الأرب ٢٤/٣٢.

(٣) في (ر): «قوي أمر».

(٤) في (ب): «بتولية زهير بن قيس».

(٥) الحلّة السيراء ٣٣٠ و ٣٣١، نهاية الأرب ٢٤/٣٣، البيان المغرب ١/٣١.

(٦) في الأوربية: «يثبت».

(٧) ما بين القوسين من (ر).

(٨) يقـال: ممش، وممس، بـالمعجمـة والمهملة، أنـظر الحلّة السيـراء ٢/٣٢٨ و ٣٣٠ وفي معجم البلدان ١٩٨/٥ «مَمْسَى» بالفتح ثم السكون والسين المهملة، مقصور، قرية بالمغرب.

(٩) الحلّة السيـراء ٢/٣٣٠، رياض النفـوس ١/٣٠، نهـايـة الأرب ٢٤/٣٢، ٣٣، البيـان المغـرب ١/٣١،

ثمّ إنّ زهيراً رأى بإفريقية مُلْكاً عظيماً، فأبَى أن يقيم وقال: إنّما قدِمتُ للجهاد فأخاف أن أميل إلى الدنيا فأهلك.

وكان عابداً زاهداً، فترك بالقيروان عسكراً، وهم آمنون لخُلُوّ البلاد من عدوٍّ (أو ذي)[1] شوكة، ورحل في جمْعٍ كثير إلى مصر.

وكان قد بلغ الرومَ بالقسطنطينيّة مسيرُ زهير من بَرْقة إلى إفريقية لقتال كسيلة، فاغتنموا خُلُوّها، فخرجوا إليها في مراكب كثيرة، وقوّة قويّة من جزيرة صقلّية، وأغاروا على بَرْقة، فأصابوا منها سبْياً كثيراً، وقتلوا ونهبوا، ووافق ذلك قدوم زهير من إفريقية إلى برقة، فأخبر الخبر، فأمر العسكر بالسرعة والجدّ في قتالهم، ورحل هو ومَنْ معه، وكان الروم خلقاً كثيراً، فلمّا رآه المسلمون استغاثوا به، فلم يمكنه الرجوع، وباشر القتال، واشتدّ الأمر، وعظُم الخطبُ، وتكاثر[2] الروم عليهم، فقتلوا زهيراً وأصحابه، ولم ينجُ منهم أحد، وعاد الروم بما غنِموا إلى القسطنطينيّة[3].

ولما سمع عبد الملك بن مروان بقتل زهير، عظُم عليه واشتدّ، ثمّ سيّر إلى إفريقية حسّانَ بن النُّعمان الغسّانيَّ، وسنذكره سنة أربعٍ وسبعين، إن شاء الله.

وكان ينبغي أن نذكر ولاية زهير وقتْله سنة تسعٍ وستّين، وإنّما ذكرناه ههنا ليتّصل خبر كسيلة ومقتله، فإنّ الحادثة واحدة، وإذا تفرّقت لم تُعْلَم حقيقتها.

ذكر عدّة حوادث

حجّ بالناس هذه السنة الوليد بن عُتْبَة[4].

وفيها وُلد محمّد بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس[5] والد السفّاح والمنصور.

٣٢، وانظر: تاريخ خليفة ٢٥١.

(١) في (ر): «له» بدل «أوذي».

(٢) في الأوربية: «وتكاثروا».

(٣) الحلّة السيراء ٢/٣٣١، نهاية الأرب ٢٤/٣٣، البيان المغرب ١/٣٣، تاريخ ابن خلدون ٤/٤٤٠.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٥٣، المحبّر ٢١، تاريخ الطبري ٥/٤٨١، مروج الذهب ٤/٣٩٨ وفي تاريخ خليفة ٢٣٦، وتاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ) - ص ٢٢ أقام الحج عثمان بن محمد بن أبي سفيان.
وقد علّق الحافظ ابن كثير على هذين القولين فقال: «قال ابن جرير: وحج بالناس في هذه السنة الوليد بن عتبة، كذا قال، وفيه نظر؛ فإنه إن كان في وفد أهل المدينة وقد رجعوا من عند يزيد فإنما وفد عثمان بن محمد بن أبي سفيان، وإن كان قد حج بالناس فيها الوليد، فما قدم وفد المدينة إلى يزيد إلّا في أول سنة ثلاث وستين، وهو أشبه، والله أعلم». (البداية والنهاية ٨/٢١٦).
وجاء في تاريخ حلب للعظيمي بتحقيق إبراهيم زعرور - ص ١٨٦: «وحج بالناس عبد الله بن الزبير، وقتل عثمان بن محمد»، وهذا وهْم.

(٥) في تاريخ الطبري ٥/٤٨١: «محمد بن عبد الله بن العباس».

[الوَفَيَات]

وفيهـا تُـوُفّي عبـد المـطّلب بن ربيعـة[1] بن الحـارث بن عبـد المـطّلب بن هـاشم الهاشميّ، وله صُحبة.

ومَسلمة بن مُخَلَّد[2] الأنصـاريُّ، وكان عمره لما مات النبيُّ ﷺ، عشر سِنين. وتوفّي بمصر مسروق بن الأجدع[3]، وقيل: توفّي سنة ثلاثٍ[4] وستّين.

(مُخَلَّد، بضمّ الميم، وفتح الخاء المعجمة، وفتح اللّام وتشديدها).

---

(١) انظر عن (عبد المطّلب بن ربيعة) في: تاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ـ ص ١٨٠ رقم ٦٧ وفيه مصادر ترجمته.

(٢) انظر عن (مسلمة بن مخلّد) في: تاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ـ ص ٢٤٢ ـ ٢٤٤ رقم ١٠٠ وفيه مصادر ترجمته.

(٣) انظر عن (مسروق بن الأجدع) في: تاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ـ ص ٢٣٥ ـ ٢٤٢ رقم ٩٩، وفيه مصادر ترجمته.

(٤) في (ر): «ثمان».

٦٣
ثم دخلت سنة ثلاث وستين

ذكر وقعة الحَرّة[1]

كان أوّل وقعة الحَرّة ما تقدّم من خلع يزيد، فلمّا كان هذه السنة أخرج أهلُ المدينة عثمان بن محمّد بن أبي سفيان عامل يزيد، وحصروا بني أميّة، (بعد بيعتهم عبدَ الله بن حنظلة، فاجتمع بنو أميّة)[2] ومواليهم ومَن يرى رأيهم في ألف رجل، حتى نزلوا دار مروان بن الحكَم، فكتبوا إلى يزيد يستغيثون به، فقدِم الرسول إليه وهو جالسٍ على كرسيّ، وقد وضع قدمَيه في طشْتٍ فيه ماء لنُقْرُسٍ كان بهما[3]، فلمّا قرأ الكتاب تمثّل:

لقد بدّلوا[4] الحِلْمَ الّذي في سجيّتي فبدّلتُ قومي غِلظةً بلِيانِ[5]

ثمّ قال: أما يكون بنو أميّة ألف رجل؟ فقال الرسول: بلى والله، وأكثر. قال: فما استطاعوا أن يقاتلوا ساعة من النهار! فبعث إلى عَمرو بن سعيد، فأقرأه الكتاب، وأمره أن يسير إليهم في الناس، فقال: قد كنتُ ضبطتُ لك الأمور والبلاد، فأمّا الآن إذ صارت دماءُ قريش تُهرق بالصّعيد، فلا أُحبّ أن أتولّى ذلك.

---

(١) أنظر عن (وقعة الحَرّة) في: تاريخ خليفة ٢٣٦ ـ ٢٥٠، والأخبار الطوال ٢٦٢ ـ ٢٦٩، وأنساب الأشراف ج ٤ ق ٢/٣٠ ـ ٤٦، والفتوح لابن أعثم ٢٧٩/٥ ـ ٣١٢، وتاريخ اليعقوبي ٢/٢٥٠ ـ ٢٥٢، وتاريخ الطبري ٤٨٢/٥ ـ ٤٩٥، ومروج الذهب ٧٩/٣ ـ ٨١، وتاريخ العظيمي ١٨٦، ونهاية الأرب ٤٨٧/٢٠ ـ ٤٩٥، والطبقات الكبرى لابن سعد ٦٦/٥ ـ ٦٨، وأنساب الأشراف ج ٤ ق ٣١٩/١ ـ ٣٣٧، ومعجم البلدان ٢٤٩/٢، وتهذيب تاريخ دمشق ٤١٤/٧ ـ ٤٢٦ في ترجمة عبد الله بن الزبير، والمختصر في أخبار البشر ١٩٢/١، وتاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ـ ص ٢٣ ـ ٣٢، والعقد الفريد ٣٨٧/٤ ـ ٣٩١، والبدء والتاريخ ١٤/٦ ـ ١٦، والبداية والنهاية ٢١٧/٨ ـ ٢٢٤، ومرآة الجنان ١٣٨/١، وشفاء الغرام ـ بتحقيقنا ـ ٢٦٤/٢، والمحاسن والمساوىء ٦٣ ـ ٦٧، والفخري ١١٥، ١١٦، وتاريخ الخلفاء ٢٠٩، وشذرات الذهب ٧٠/١، ٧١.

(٢) ما بين القوسين من (ب).

(٣) في الأوربية: «بها».

(٤) في (ر): «يدبر».

(٥) البيت في: تاريخ الطبري ٤٨٣/٥، والفخري ١١٦.

وبعث إلى عُبيد الله بن زياد، يأمره بالمسير إلى المدينة، ومحاصرة ابن الزُّبَيْر بمكّة، فقال: والله لا جمعتهما للفاسق، قتل ابن رسول الله وغزو الكعبة. ثمّ أرسل إليه يعتذر.

فبعث إلى مسلم بن عُقْبة المُرّيّ، وهو الذي سُمّي مُسْرفاً، وهو شيخ كبير مريض، فأخبره الخبر، فقال: أما يكون بنو أميّة ألف رجل؟ فقال الرسول: بلى. قال: (فما استطاعوا)[1] أن يقاتلوا ساعة من النهار! ليس هؤلاء بأهل أن يُنْصروا، فإنّهم الأذِلّاء، دَعْهم يا أمير المؤمنين حتّى يَجْهدوا أنفسهم في جهاد عدوّهم، ويتبيّن لك مَنْ يقاتل على طاعتك، ومَن يستسلم. قال: ويحك! إنّه لا خير في العيش بعدهم، فاخرجْ بالناس.

وقيل: إنّ معاوية قال ليزيد: إنّ لك من أهل المدينة يوماً، فإنْ فعلوا، فارمِهم بمسلم بن عُقْبَة، فإنّه رجل قد عرفت نصيحته. فلمّا خلع أهلُ المدينة أمر مسلماً بالمسير إليهم، فنادى في الناس بالتّجهُّز إلى الحجاز[2]، وأن يأخذوا عطاءهم ومعونة مائة دينار، فانتدِب لذلك اثنا عشر ألفاً، وخرج يزيد يعرضهم، وهو متقلّدٌ سيفاً، متنكّبٌ قوساً عربيّة، وهو يقول:

أبلِغْ أبا بكْرٍ إذا اللّيلُ سَرَى	وهَبَطَ القَوْمُ على وادي القُرَى
أجَمْعَ سَكرانَ منَ القَوْمِ تَرَى	أم جَمْعَ يَقْظانَ نَفَى عنه الكَرَى
يا عَجَباً مِن مُلحدٍ يا عَجَباً	مُخادعٍ بالدِّينِ يَعفو[3] بالعرَى[4]

وسار الجيش وعليهم مسلم، فقال له يزيد: إن حدث بك حدثٌ فاستخلف الحُصَين بن نُمَير السَّكونيّ، وقال له: ادعُ القوم ثلاثاً، فإن أجابوك وإلّا فقاتلْهم، فإذا ظهرتَ عليهم، فانهبْها ثلاثاً، فكلُّ ما فيها من مالٍ أو دابّةٍ أو سلاحٍ أو طعامٍ فهو للجُنْد، فإذا مضت الثّلاث، فاكففْ عن الناس، وانظرْ عليّ بن الحسين، فاكففْ عنه واستوصِ به خيراً، فإنّه لم يدخل مع الناس، وإنّه قد أتاني كتابه.

وقد كان مروان بن الحكَم كلّم ابن عمر، لمّا أخرج أهلُ المدينة عاملَ يزيد وبني أميّة، في أن يغيّب[5] أهله عنده، فلم يفعل، فكلّم عليَّ بن الحسين، فقال: إنّ لي حُرَماً

---

(١) في الأوربية: «فاستطاعوا».

(٢) في (ب): «الجهاد».

(٣) في (ب): «نفقوا».

(٤) أنظر هذا الرجز باختلاف كثير في الألفاظ، في: تاريخ خليفة ٢٣٨، والأخبار الطوال ٢٦٥، وأنساب الأشراف ج ٤ ق ١/٣٢٢، وج ٤ ق ٢/٣٣، وتاريخ الطبري ٥/٤٨٤، والفتوح لابن أعثم ٥/٢٩٣، ومروج الذهب ٣/٧٩، والتنبيه والإشراف ٣٠٤، ٣٠٥ والبدء والتاريخ ٦/١٤، والبداية والنهاية ٨/٢١٩.

(٥) في (ب): «يبعث».

وحُرَمي تكون مع حُرَمك. فقال: أفعل، فبعث بامرأته، وهي عائشة ابنة عثمان بن عفّان، وحُـرَمه إلى عليّ بن الحسين، فخـرج عَليّ بحُرَمـه وحُرَم مـروان إلى يَنْبع[1]. وقيـل: بل أرسل حُرَم مروان، وأرسل معهم ابنه عبد[2] الله بن عليّ إلى الطائف.

ولمـا سمع عبـد الملك بن مروان أنّ يـزيد قـد سيّر الجنـود إلى المدينـة قال: ليت السماء وقعت على الأرض، إعظاماً لذلك.

ثمّ إنّه ابتُلي بعد ذلك، بأن وجّه الحَجّاج، فحصر مكّة، ورمى الكعبة بالمنجنيق، وقتـل ابن الزُّبيـر. وأمّا مسلم، فـإنّه أقبـل بالجيش، فبلغ أهـلَ المدينـة خبرُهم، فـاشتـدّ حصـارهم لبني أُميّة بـدار مروان، وقـالوا: والله لا نكفّ عنكم حتّى تستنـزلكم، ونضرب أعناقكم، أو تُعْطونـا عهد الله وميثـاقه أن لا تبغـونا غـائلةً، ولا تدلّـوا لنا على عَـورة، ولا تُظاهِروا علينا عدوّاً، فنكفّ عنكم ونُخْرجكم عنّا. فعاهدوهم على ذلك، فأخـرجوهم من المدينة[3].

وكان أهل المدينة قد جعلوا في كلّ منهلٍ بينهم وبين الشام زقّـاً من قطران وعُـوّر، فأرسل الله السماء عليهم فلم يستقوا بدلوٍ حتّى وردوا المدينة.

فلمّا أخرج أهلُ المدينـة بني أُميّة سـاروا بأثقـالهم حتّى لقوا مسلم بن عُقْبـة بوادي القـرى، فدعـا بعَمْرو بن عثمـان بن عفّان أوّل النـاس، فقال لـه: خبّرْني مـا وراءك وأشِرْ عليّ. فقال: لا أستطيع، قد أُخذ علينا العهود والمواثيق أن لا ندلّ على عورة، ولا نُظاهر عـدوّنا. فـانتهره وقـال: والله لولا أنّـك ابن عثمان لضـربتُ عنقـك، وايْمُ اللّهِ (لا أقيلهـا قـرشيّاً)[4] بعـدك! فخرج إلى أصحـابـه فـأخبـرهم خبـره، فقـال مـروان بن الحكَم لابنـه عبـد الملك: ادخلْ قبلي لعلّه يجتـزىء بك عنّي. فـدخل عبـد الملكِ فقال: هـاتِ مـا عنـدك. فقـال: نعم، أرى أن تسيـر بمَن معـك، فـإذا انتهيت إلى ذي نَخْلة، نـزلتَ، فـاستظلّ النـاس في ظلّه، فأكلوا من صَقْـره[5]، فإذا أصبحتَ من الغـد، مضيتَ وتـركتَ المدينة ذاتَ اليسار، ثمّ دُرْتَ بها حتّى تأتيهم من قبل الحَـرّة مشرِّقـاً، ثمّ تستقبل القـوم، فـإذا استقبلتهم وقد أشـرقت عليهم الشمس، طلعتْ بين أكتاف أصحـابـك، فـلا تُؤذيهم ويُصيبهم أذاهـا، ويرون من ائتـلاق بَيْضكم، وأسِنّـة رمـاحكم وسيـوفكم ودروعكم مـا لا ترونه أنتم، ما داموا مغرِّبين، ثمّ قاتِلْهم واستَعِنِ اللّهَ عليهم.

---

(١) الطبري ٥/٤٨٥.

(٢) في (ب): «عبيد».

(٣) الطبري ٥/٤٨٥، أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/٣٢٢ رقم ٨٣٤.

(٤) في (ب): «لو أقيلهم قريباً»، وفي الأوربية: «قريشاً».

(٥) الصّقر: الدبس، وهو عسل التمر وعُصارته.

فقال له مسلم: لله أبوك، أيَّ امرئٍ وَلَدَ[1]!

ثمّ إنّ مروان دخل عليه فقال له: إيهٍ! فقال: أليس قد دخل عليك عبد الملك؟ قال: بلى، وأيّ رجل عبد الملك! قلّ ما كلّمتُ من رجال قريش رجلاً به شبيهاً. فقال مروان: إذا لقيتَ عبد الملك فقد لَقيتني. ثمّ (إنّه صار في كلّ مكان يصنع)[2] ما أمر به عبد الملك، فجاءهم من قِبَل المشرق، ثمّ دعاهم مسلم فقال: إنّ أمير المؤمنين يزعم أنّكم الأصل، وإنّي أكره إراقة دمائكم، وإنّي أؤجّلكم ثلاثاً، فمَنِ ارعوى[3] وراجع الحقّ قبِلنا منه، وانصرفتُ عنكم، وسرتُ إلى هذا المُحِلّ الذي بمكّة، وإن أبيتم كنّا قد أعذرنا[4] إليكم.

فلمّا مضت الثلاث قال: يا أهل المدينة ما تصنعون، أتُسالمون أم تحاربون؟ فقالوا: بل نحارب. فقال لهم: لا تفعلوا بل ادخلوا في الطّاعة، ونجعل جدّنا وشوكتنا على أهل هذا المُلْحد الّذي قد جمع إليه المُرّاق والفُسّاق من كلّ أوْب، يعني ابن الزُّبَيْر. فقالوا له: يا أعداء الله، لو أردتم أن تجوزوا إليه ما تركناكم، نحن ندعُكم[5] أن تأتوا بيت الله الحرام، فتُخيفوا أهله، وتُلْحدوا فيه، وتستحلّوا حُرمته! لا والله لا نفعل[6].

وكان أهل المدينة قد اتّخذوا خندقاً، وعليه جمْعٌ منهم، وكان عليه عبد الرحمن بن زُهير بن عبد عوف، وهو ابن عمّ عبد الرحمن بن عوف، وكان عبد الله بن مُطيع على رُبع آخر، وهم قريش في جانب المدينة، وكان مَعقِل بن سِنان الأشجعيُّ، وهو من الصّحابة، على رُبع آخر، وهم المهاجرون، وكان أمير جماعتهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الأنصاريّ في أعظم تلك الأرباع، وهم الأنصار[7].

وصمد مسلم فيمَن معه، فأقبل من ناحية الحَرّة حتّى ضرب فُسطاطه على طريق الكوفة، وكان مريضاً، فأمر فوُضع له كرسيٌّ بين الصّفّين وقال: يا أهل الشام قاتِلوا عن أميركم وادعوا. فأخذوا لا يقصدون رُبعاً من تلك الأرباع إلاّ هزموه، ثمّ وجّه الخيل نحو ابن الغسيل، فحمل عليهم ابن الغسيل فيمَنْ معه فكشفهم، فانتهوا إلى مسلم، فنهض في وجوههم بالرجال وصاح بهم، فقاتلوا قتالاً شديداً[8].

---

(١) أنظر نحوه في: أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/٣٢٣ رقم ٨٣٦.
(٢) في (ر): «ارتحل من مكانه وصنع».
(٣) في (ب): «أذعن».
(٤) في الأوربية: «اعتذرنا».
(٥) في الأوربية: «نحن قد نعلم».
(٦) الطبري ٥/٤٨٧.
(٧) الطبري ٥/٤٨٧.
(٨) الطبري ٥/٤٨٧، ٤٨٨.

ثمّ إنّ الفضل بن عبّاس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطّلب جاء إلى ابن الغسيل، فقاتل معه في نحوٍ من عشرين فارساً قتالاً حسناً، ثمّ قال لابن الغسيل: مَنْ كان معك فارساً فلْيأتني فليقِفْ معي، فإذا حملتُ فلْيحملوا، فَوَاللَّهِ لا أنتهي حتّى أبلغ مسلماً، فأقتله أو أُقْتَل دونه. ففعل ذلك وجمع الخيلَ إليه، فحمل بهم الفضلُ على أهل الشام فانكشفوا، فقال لأصحابه: احملوا أخرى جُعلتُ فِداكم، فَوَاللَّهِ لئن عاينتُ أميرهم لأقتلنّه أو أُقتَل دونه. إنّه ليس بعد الصّبر إلاّ النّصر! ثمّ حمل وحمل أصحابه، فانفرجت[1] خيلُ الشام عن مسلم بن عُقْبَة، ومعه نحو خمسمائة راجل جُثاة على الرُّكَب، مُشْرعي الأسنّة نحو القوم، ومضى الفضل كما هو نحو راية مسلم، فضرب رأس صاحبها، فقطّ المِغْفَر، وفلق هامته وخرّ ميتاً[2]، وقال: خذها منّي وأنا ابن عبد المطّلب! وظنّ أنّه مسلم، فقال: قتلتُ طاغية القوم وربِّ الكعبة! فقال: أخطأتِ استُك الحُفْرةَ[3]!

وإنّما كان ذلك غلاماً روميّاً، وكان شجاعاً، فأخذ مسلم رايته وحرّض أهل الشام وقال: شدّوا مع هذه الراية. فمشى برايته، وشدّت تلك الرجال أمام الراية، فصُرع الفضل بن عبّاس، فقُتل وما بينه وبين أطناب مسلم بن عُقْبة إلاّ نحو من عشرة أذرع، وقُتل معه زيد بن عبد الرحمن بن عوف[4].

وأقبلتْ خيل مسلم ورَجّالته نحو ابن الغسيل، وهو يحرّض أصحابه ويذمّ أهل المدينة، ويُقْدم الخيلَ[5] إلى ابن الغسيل [وأصحابه]، فلم تقدم[6] عليهم للرماح الّتي بأيديهم والسيوف، وكانت تتفرّق عنهم، فنادى مسلمٌ الحُصَينَ بن نُمَير وعبد الله بن عِضاه الأشعريّ، وأمرهما أن ينزلا في جُندهما، ففعلا وتقدّما إليهم، فقال ابن الغسيل لأصحابه: إنّ عدوّكم قد أصاب وجه القتال الذي كان ينبغي أن يقاتلكم به، وإنّي قد ظننتُ ألاّ يلبثوا إلاّ ساعةً، حتّى يفصل الله بينكم وبينهم، إمّا لكم وإمّا عليكم، أما إنّكم أهل النُّصرة ودار الهجرة، وما أظنّ ربّكم أصبح عن أهل بلدٍ من بلدان المسلمين بأرضى منه عنكم، ولا على أهل بلدٍ من بلدان العرب بأسخط منه على هؤلاء الّذين يقاتلونكم، وإنّ لكلّ امرىء منكم مِيتة هو ميّتٌ بها لا محالة، ووَاللَّهِ ما [من] مِيتةٍ أفضل من مِيتة الشهادة، وقد ساقها الله إليكم فاغتنموها[7].

---

(١) في الأوربية: «فانفجرت».
(٢) في (ر): «مغشياً».
(٣) مجمع الأمثال للميداني ١/٤٤٤، تاريخ الطبري ٥/٤٨٨،
(٤) وقُتل معه إبراهيم بن نعيم العدوي. (الطبري ٥/٤٨٩).
(٥) في الأوربية: «أصحابه».
(٦) في الأوربية: «يقدم».
(٧) الطبري ٥/٤٩٠.

ثمّ دنا بعضهم من بعض، فأخذ أهل الشام يرمونهم بالنَّبل، فقال ابن الغسيل لأصحابه: علامَ[1] تستهدفون لهم! مَنْ أراد التعجيل إلى الجنّة، فلْيلزمْ هذه الراية. فقام إليه كلّ مستميت، فنهض بعضهم إلى بعض، فاقتتلوا أشدّ قتال رؤي لأهل هذا القتال، وأخذ ابن الغسيل يُقَدِّم بنيه واحداً واحداً، حتّى قُتلوا بين يديه، وهو يضرب [بسيفه] ويقول:

بُعداً لمنْ رامَ الفسادَ وطَغى[2] وجانَبَ الحقَّ وآياتِ الهدى
لا يُبعِدِ الرّحمنُ إلاّ مَن عَصى[3]

ثمّ قُتل وقُتل معه أخوه لأمّه محمّد بن ثابت بن قيس بن شَمّاس، فقال: ما أُحبّ أن الدَّيلم قتلوني مكان هؤلاء القوم! وقُتل معه عبد الله بن زيد بن عاصم، ومحمّد بن عَمْرو بن حزم الأنصاريُّ. فمرّ به مروان بن الحكَم فقال: رحِمك الله! رُبَّ سارية[4] قد رأيتُك تُطيل القيام في الصَّلاة إلى جنْبها. وانهزم الناس، وكان فيمَن انهزم محمّد بن سعد بن أبي وقّاص بعدما أبلى.

وأباح مسلم المدينة ثلاثاً، يقتلون الناس ويأخذون المتاع والأموال، فأفزع ذلك من بها من الصّحابة. فخرج أبو سعيد الخُدْريُّ حتّى دخل في كهف الجبل، فتبِعه رجلٌ من أهل الشام، (فاقتحم عليه الغار، فانتضى أبو سعيد سيفه يخوّف به الشاميَّ)[5]، فلم ينصرف عنه، فعاد أبو سعيد وأغمد سيفه وقال: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾[6]. فقال: من أنت؟ قال: أنا أبو سعيد الخُدْريُّ. قال: صاحب رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. فتركه ومضى[7].

وقيل: إنّ مسلماً لما نزل بأهل المدينة (خرج إليه أهلُها)[8] بجموعٍ كثيرة وهيئةٍ حسنة، فهابهم أهلُ الشام، وكرهوا أن يُقاتلوهم، فلمّا رآهم مسلم، وكان شدِيد الوجع، سبّهم وذمّهم وحرّضهم، فقاتلوهم.

---

(١) في الأوربية «عليهم».
(٢) في الأوربية: «بعد المنّ دام الفساد وطغى».
(٣) الرجز في: أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/٣٢٦، والسمهودي ٩٣ باختلاف في الألفاظ، وتاريخ الطبري ٥/٤٩٠.
(٤) في الأوربية: «السارية».
(٥) ما بين القوسين من (ب).
(٦) سورة المائدة ٥، الآية ٢٨.
(٧) الطبري ٥/٤٩١، أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/٣٣٥ رقم ٨٦٤.
(٨) ما بين القوسين من (ب).

فبينما الناس في قتالهم، إذ سمعوا تكبيراً من خلفهم في جوف المدينة، وكان سببه أنّ بني حارثة أدخلوا أهل الشام المدينة، فانهزم الناس، فكان مَن أُصيب في الخندق أكثر ممّنْ قُتل.

ودعا مسلم الناس إلى البيعة ليزيد، على أنّهم خَوَل له، يحكم في دمائهم وأموالهم وأهليهم مَنْ شاء، فمَن امتنع من ذلك قتلَه، وطُلب الأمان ليزيد بن عبد الله بن ربيعة بن الأسود، ولمحمّد بن أبي الجَهم بن حُذَيْفة، ولمَعْقِل بن سِنان الأشجعيّ، فأُتي بهم بعد الوقعة بيوم، فقال: بايعوا على الشرط.

فقال القُرَشيّان: نبايعك على كتاب الله وسُنّة رسوله. فضرب أعناقهما. فقال مروان: سبحان الله! أتقتل رجلَين من قريش أتيا بأمان؟ فطعن بخاصرته بالقضيب، فقال: وأنتَ والله لو قلتَ بمقالتهما لقتلتُك! [1]

وجاء معقل بن سِنان، فجلس مع القوم، فدعا بشراب ليُسقَى، فقال [له] مسلم: أيّ الشراب أحبّ إليك؟ قال: العسل. قال: اسقوه، فشرب حتّى ارتوى، فقال له: أرَويتَ؟ قال: نعم. قال: والله لا تشرب بعدها شربة إلاّ في نار جهنّم. فقال: أنشُدك اللّهَ والرَّحِم! فقال له: أنت الذي لقيتني بطبريّة ليلةَ خرجتَ من عند يزيد فقلتَ: سرنا شهراً، ورجعنا شهراً، وأصبحنا صفْراً، نرجع إلى المدينة، فنخلع هذا الفاسق ابن الفاسق، ونبايع لرجلٍ من المهاجرين (أو الأنصار! فيمَ غطفان وأشجع من الخلق والخلافة! إنّي آليتُ بيمينٍ لا ألقاك في حرب أقدر منه على قتلك إلاّ فعلتُ) [2]. ثمّ أمر به فقُتل [3].

وأُتي بيزيد بن وهْب، فقال له: بايعْ. قال: أبايعك على الكتاب والسُّنّة. قال: اقتلوه. قال: أنا أبايعك! قال: لا والله، فتكلّم فيه مروان لصِهرٍ كان بينهما، (فأمر بمروان فوُجئتْ عنقه) [4]، ثمّ قُتل يزيد [5]،

ثمّ أتى مروان بعليّ بن الحسين، (فجاء يمشي بين مروان وابنه عبد الملك) [6] حتّى جلس بينهما عنده، فدعا مروان بشراب ليتحرّم [7] بذلك [من مسلم]، فشرب منه يسيراً،

(١) الطبري ٥/٤٩٢ وفيه: «لو قلت بمقالتهما ما رأيت السماء إلاّ برقة».

(٢) ما بين القوسين من (ب).

(٣) أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/٣٢٨، ٣٢٩، الأخبار الطوال ٢٦٦.

(٤) العبارة بين القوسين ليست في الطبعة الأوربية، ومكانها: أنفه».

(٥) العبارة في (ب): «فلم يقبل وأمر بقتله فقتل».

(٦) ما بين القوسين من (ر).

(٧) في الأوربية: «ليحترم».

ثمّ ناوله عليّ بن الحسين، فلمّا وقع في يده قال له مسلم: لا تشرب من شرابنا! فارتعدت كفّه، ولم يأمنه على نفسه، وأمسك القدح، فقال له: أجئتَ تمشي بين هؤلاء لتأمن عندي؟ والله لو كان إليهما أمر لقتلتُك! ولكنّ أمير المؤمنين أوصاني بك، وأخبرني أنّك كاتبتَه، فإنْ شئتَ فاشربْ. فشرب ثمّ أجلسه معه على السرير، ثمّ قال له: لعلّ أهلك فزعوا؟ قال: إي والله. فأمر بدابّة فأسرجتْ له، فحمله عليها، فردّه ولم يُلزمه بالبيعة ليزيد، على ما شرط على أهل المدينة[1].

وأُحْضر عليّ بن عبد الله بن عبّاس ليبايع، فقال الحُصَين بن نُمَير السَّكونيّ: لا يبايع ابن أختنا إلّا كبيعة عليّ بن الحسين، وكانت أمّ عليّ بن عبد الله كِنديّة، فقامت كِندة مع الحُصَين، فتركه مسلم، فقال عليٌّ:

أبي العَبّاسُ قَرمُ بني قُصَيٍّ[2] ... وأخوالي المُلوكُ بنو وَليعَهْ
هُمُ مَنعوا ذِماري يَوْمَ جاءتْ ... كتائبُ مُسرِفٍ وبنو[3] اللكيعَهْ
أرادوني[4] التي لا عزّ[5] فيها ... فحالَتْ دونَهُ أيْدٍ سريعَهْ[6]

يعني بقوله مسرف: مسلمَ بنَ عُقْبة، فإنّه سُمّي بعد وقعة الحَرّة مُسرِفاً، وبنو وَلِيعة بطن من كِنْدة، منهم أمّه، واللّكيعة أمّ أمّه.

وقيل: إنّ عمرو بن عثمان بن عفّان لم يكن فيمَنْ خرج من بني أُميّة، فأُتي به يومئذ إلى مسلم فقال: يا أهل الشام تعرفون هذا؟ قالوا: لا. قال: هذا الخبيث ابن الطيّب، هذا عَمرو بن عثمان، هيه يا عمرو، إذا ظهر أهل المدينة قلتَ: أنا رجل منكم، وإنْ ظهر أهل الشام، قلتَ: أنا ابن أمير المؤمنين عثمان. فأمر به فنُتفتْ لحيته، (ثمّ قال: يا أهل الشام إنّ أمّ هذا كانت تُدخل الجُعَل في فيها ثمّ تقول: يا أمير المؤمنين حاجيتك ما في فمي؟ وفي فمها ما شاها وباها[7]. وكانت من دَوْس)[8]. ثمّ خلّى سبيله[9].

---

(١) الطبري ٥/٤٩٣، ٤٩٤.
(٢) في أنساب الأشراف: «لؤيّ»، وكذا في: مروج الذهب.
(٣) في الأنساب، والمروج: «وبني».
(٤) في (ب): «الزموني»، وفي الأنساب: «أراد بي». وفي المروج: «أرادني».
(٥) في (ب): «عذر».
(٦) في (ب): «الشريعة»، وفي الأنساب: «رفيعه»، وفي المروج «أيدي ربيعة». والأبيات في: أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/٣٣٠ وبه زيادة بيتين، وج ٤ ق ٢/٤٠، ومروج الذهب ٣/٨٠، وأخبار العباس ١٣٧، والبيت الثاني فقط في: لسان العرب ١٠/١٩٩.
(٧) في الطبري: «ما ساءها وناءها».
(٨) ما بين القوسين من (ب) و (ر) وقد كتبت: «دَوْس»: «دوس» (مهملة).
(٩) الطبري ٥/٤٩٤، أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/٣٢٩.

وكانت وقعة الحَرّة لليلتين بقِيتا من ذي الحجّة سنة ثلاثٍ وستّين[1].

قال محمّد بن عمّارة: قدِمتُ الشام في تجارةٍ، فقال لي رجل: من أين أنت؟ فقلتُ: من المدينة. فقال: خبيثة. فقلت: يسمّيها رسول الله ﷺ، طَيْبة، وتسمّيها خبيثة! فقال: إنّ لي ولها لشأناً، لما خرج الناس إلى وقعة الحَرّة، رأيتُ في المنام أنّي قتلتُ رجلاً اسمه محمد أدخُلُ بقتله النار، فاجتهدتُ في أنّي لا أسير معهم، فلم يُقْبَل منّي، فسرتُ معهم، ولم أُقاتل حتّى انقضت الوقعة، فمررتُ برجل في القتلى به رَمَق فقال: تَنَحَّ[2] يا كلب! فأنِفتُ من كلامه وقتلته، ثمّ ذكرتُ رؤياي، فجئتُ برجلٍ من أهل المدينة يتصفّح القتلى، فلمّا رأى الرجل الذي قتلتُهُ قال: إنّا لله، لا يدخل قاتل هذا الجنّة. قلتُ: ومَن هذا؟ قال: هو محمّد بن عمرو بن حَزْم، وُلد على عهد رسول الله ﷺ، فسمّاه محمّداً، وكنّاه أبا عبد الملك؛ فأتيتُ أهلَه فعرضتُ عليهم أن يقتلوني، فلم يفعلوا، وعرضتُ عليهم الديةَ، فلم يأخذوا.

وممّنْ قُتل بالحَرّة عبد الله (بن عاصم الأنصاريُّ، وليس بصاحب الأذان، ذاك)[3] ابن زيد بن ثعلبة. وقُتل أيضاً فيها عبيد الله (بن عبد الله بن موهب. ووهْب بن عبد الله بن زَمْعة بن الأسود. وعبد الله بن عبد الرحمن بن حاطب. وزُبير بن عبد الرحمن بن عوف. وعبد الله)[4] بن نَوْفل بن الحارث بن عبد المطّلب.

ذكر عدّة حوادث

وفي هذه السنة تُوُفّي الربيع بن خُثَيْم[5] الكوفيُّ الزاهد[6].

وحجّ بالناس هذه السنة عبد[7] الله بن الزبير[8]، وكان يسمّى يومئذ العائذ[9]، ويرون

(١) الطبري ٥/٤٩٤، أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/٣٣٢.
(٢) في الأوربية: «تنحب».
(٣) من (ب).
(٤) من (ب).
(٥) في الأوربية: «خيثم».
(٦) أنظر عن (الربيع بن خثيم) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ١١٥ رقم ٣٢ وفيه مصادر ترجمته.
(٧) في الأوربية: «عبيد».
(٨) تاريخ خليفة ٢٥١، المحبّر ٢١، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٦٨، تاريخ الطبري ٥/٤٩٤، مروج الذهب ٤/٣٩٨، تاريخ العظيمي ١٨٦، نهاية الأرب ٢٠/٤٩٦، البداية والنهاية ٨/٢٢١، شفاء الغرام ٢/٣٤٠، تاريخ دمشق ٤٥٤ و ٤٥٥.
(٩) في الأوربية: «العابد».

الأمر شورى، وأتاه الخبر بوقعة الحَرّة هلال المحرّم مع [سعيد مولى] المِسْوَر بن مَخْرمة، (فجاءه أمر عظيم، فاستعدَّ هو وأصحابه، وعرفوا)[1] أنّ مسلماً نازل بهم[2]

(١) العبارة في الأوربية: «فاستعدّ فجاؤوه بأمر عظيم، فأعدّ هو وأصحابه واستعاروا وعرفوا».
(٢) الطبري ٥/٤٩٤.

٦٤
ثم دخلت سنة أربع وستين

ذكر مسير مُسْلم لحصار ابن الزُّبَير وموته

فلمّا فرغ مُسْلم من قتال أهل المدينة ونهبها، شخص بمَن معه نحو مكّة يريد[1] ابنَ الـزُّبير ومن معـه، واستخلف على المدينـة رَوْحَ بن زِنْبـاع الجُـذاميَّ، وقيـل: استخلف عَمرَو بن مَخْرَمة الأشجعيَّ، فلمّا انتهَى إلى المُشَلَّل[2] نزل به المـوتُ، وقيل: مـات بثنيّة هَرْشَى[3]، فلمّا حضره الموت أحضر الحُصَين بن النُّمَير[4] وقال له: يابن بَرْذَعة الحمار! لو كان الأمر إليّ مـا ولّيتُك هـذا الجُنْد، ولكنّ أميـر المؤمنين ولّاك. خذ عنّي أربعـاً: اسرع السير، وعجِّل المناجزة، [وعمِّ الأخبـارَ]، ولا تمكّنْ قُرَشيّـاً[5] من أذنك. ثمّ قـال: اللهم إنّي لم أعمل قطّ بعد شهادة أنْ لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً عبده ورسـوله عمـلاً أحبّ إليّ من قتلي أهل المدينة، ولا أرجى عندي في الآخرة[6].

فلمّا مات سـار الحُصَين بالنـاس، فقدِم مكّـة لأربعٍ بقيـن من المحـرّم سنة أربـعٍ وستّين، وقـد بايـع أهلُها وأهـلُ الحجاز عبـدَ الله بن الزبيـر، واجتمعوا عليـه، ولحِق بـه المنهزمون من أهـل المدينـة، وقدِم عليـه نَجْدة بن عـامر الحنفيُّ في النـاس من الخوارج يمنعون البيت، وخرج ابن الزُّبيرِ إلى لقاء أهل الشـام، ومعه أخـوه المُنذر، فبـارز المُنذرُ رجلاً من أهل الشام، فضرب كلّ واحدٍ منهمـا صاحبـه ضربـةً مات منهـا، ثمّ حمل أهـلُ الشام عليهم حملةً انكشف منها أصحابُ عبد الله، وعثرتْ بغلة عبد الله فقال: تَعْساً! ثمّ

---

(١) في (ر): «لقتال».

(٢) المُشَلَّل: بضم أوله، وفتح ثانيه، وفتح اللام وتشديدها، وهي ثنيّة مشرفة على قُـديد. (معجم مـا استعجم ١٢٣٣/٤).

(٣) ثنيّة هَرْشَى: بالفتح ثم السكون، وشين معجمة، والقصر. وهي ثنيّة في طريق مكة قريبة من الجحفـة يُرى منها البحر. (معجم البلدان ٣٩٧/٥).

(٤) في (ب): «المنذر».

(٥) في الأوربية: «قريشاً».

(٦) الطبري ٤٩٦/٥، ٤٩٧.

نزل فصاح بأصحابه، فأقبل إليه المِسْوَر بن مَخْرَمة، ومُصْعَب بن عبد الرحمن بن عوْف، فقاتلا حتّى قُتلا جميعاً، وضاربهم[1] ابنُ الزّبير إلى الليل، ثمّ انصرفوا عنه.

هذا في الحصر الأوّل، ثمّ أقاموا عليه يقاتلونه بقيّة المحرّم وصفر كلّه، حتّى إذا مضتْ ثلاثة أيّام من شهر ربيع الأوّل سنة أربعٍ وستّين رموا البيت بالمجانيق، وحرّقوه بالنار، وأخذوا يرتجزون ويقولون:

خطّارةٌ مثْلُ الفنيق[2] المزبدِ   نرمي بها أعوادَ هذا المسجدِ[3]

وقيل: إنّ الكعبة احترقت من نارٍ كان يوقدها أصحاب عبد الله حول الكعبة، وأقبلت شَرَرَةٌ هبّت بها الريح، فاحترقت ثيابُ الكعبة، واحترق خشبُ البيت[4]. والأوّل أصحّ، (لأنّ البخاريَّ قد ذكر في «صحيحه» أنّ ابن الزّبير ترك الكعبة ليراها الناس محترقةً، يحرّضهم على أهل الشام)[5].

وأقام أهل الشام يحاصرون ابن الزُّبير، حتّى بلغهم نعي يزيد بن معاوية لهلال ربيع الآخر[6].

ذكر وفاة يزيد بن معاوية

وفي هذه السنة تُوُفّي يزيد بن معاوية بحُوَّارين[7] من أرض الشام، لأربع عشرة خلتْ من شهر ربيع الأوّل، وهو ابن ثمانٍ وثلاثين سنة، (في قول بعضهم، وقيل: تسع وثلاثين، وكانت ولايته ثلاث سنين وستّة أشهر)[8]، وقيل: ثمانية أشهر. وقيل: تُوُفّي في ربيع الأوّل سنة ثلاثٍ وستّين، وكان عمره خمساً وثلاثين سنة، وكانت خلافته سنتين وثمانية أشهر، والأوّل أصحّ. وأمّه مَيْسون بنت بَحْدَل بن أُنَيف الكلبيّة[9].

---

(١) في (ر): «وصابر».

(٢) في نسخة المتحف البريطانية «التفتيق»: والفنيق هو الفحل المكرم من الإبل، والخطّارة: الناقة تخطر بذَنَبها في السير نشاطاً.

(٣) تاريخ الطبري ٤٩٨/٥، أنساب الأشراف ج ٤ ق ٣٣٩/١، نهاية الأرب ٤٩٧/٢٠، العقد الفريد ٤١٧/٤، الأخبار الطوال ٣١٤ وفيه:

خطّارة مثل الفنيق المُلْبِدِ   نرمي بها عُوَّاذ أهل المسجد

(٤) الطبري ٤٩٨/٥، أنساب الأشراف ج ٤ ق ٣٤٥/١ رقم ٨٩٢ و ٣٤٨/١ رقم ٨٩٨.

(٥) ما بين القوسين من (ر).

(٦) نهاية الأرب ٤٩٧/٢٠.

(٧) في الأوربية: «بحوران».

(٨) ما بين القوسين من (ب).

(٩) الطبري ٤٩٩/٥.

وكان له من الولد معاوية، وكنيته أبو عبد الرحمن وأبو ليلى، وهو الذي وليَ بعده، وخالد ويكنّى أبا هاشم، يقال إنّه أصاب[1] عمل[2] الكيميا، ولا يصحّ ذلك لأحد، وأبو سفيان، وأمّهم أمّ هاشم بنت [أبي هاشم بن] عُتْبَة بن ربيعة، تزوّجها بعده مروان بن الحكَم؛ وله أيضاً عبد الله بن يزيد، كان أرْمى العرب، وأمّه أمّ كلثوم بنت عبد الله بن عامر، (وهو الأسوار، وعبد الله الأصغر، وعمر)[3]، وأبو بكر، وعُتْبة، وحرب، وعبد الرحمن، ومحمّد، لأمّهات شتّى[4].

ذكر بعض سيرته وأخباره

قال محمّد بن عُبيد الله بن عَمرو العُتْبيُّ: نظر معاوية ومعه امرأته ابنة قَرَظة إلى يزيد وأمّه تُرَجّله[5]، فلمّا فرغت منه قبّلته، فقالت ابنةُ قَرَظة: لعن الله سواد ساقَيْ أمّك! فقال معاوية: أما واللّهِ لما تفرّجتْ عنه وِرْكاها خيرٌ ممّا تفرّجتْ عنه وِرْكاك! وكان لمعاوية من ابنة قَرَظَة: عبد الله، وكان أحمق، فقالت: لا والله، ولكنّك تؤثر هذا. فقال: سوف أبيّن لكِ ذلك، فأمر فدُعِي له عبد الله، فلمّا حضر قال: أي بنيَّ، إنّي أردتُ أن أعطيكَ[6] ما أنتَ أهله، ولستَ بسائلٍ شيئاً إلّا أجبتكَ إليه. فقال: حاجتي أن تشتري [لي] كلْباً فارهاً وحماراً. فقال: أي بنيَّ، أنتَ حمار وأشتري لك حماراً! قُم فاخرجْ. ثمّ أحضر يزيد وقال له مثل قوله لأخيه، فخرّ ساجداً، ثمّ قال حين رفع رأسه: الحمد لله الذي بلّغ أمير المؤمنين هذه المدّة، وأراه فيَّ هذا الرأي، حاجتي أن تُعتِقني من النار، لأنّ مَن ولي أمر الأمّة ثلاثة أيّام أعتقه الله من النار، فتعقد لي العهد بعدك، وتولّيني العام الصائفةَ، وتأذن لي في الحجّ إذا رجعتُ، وتولّيني الموسم، وتزيد لأهل الشام كلّ رجلٍ عشرة دنانير، (وتفرض لأيتام بني جُمَح[7]، وبني سَهْم، وبني عَديّ، لأنّهم حُلفائي)[8]. فقال معاوية: قد فعلتُ، وقبّل وجهه. فقال لامرأته ابنة قَرَظَة: كيف رأيتِ؟ قالت: أوصِه[9] به يا أمير المؤمنين. ففعل.

---

(١) في (ب): «الباحث».
(٢) في الأوربية: «على».
(٣) ما بين القوسين من (ب)، وفي طبعة صادر ١٢٥/٤ «عمرو» وهو غلط، والمثبت عن الطبري ٥/٥٠٠، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ١١٢، وأنساب الأشراف ج ٤ ق ١/٣٥٥.
(٤) الطبري ٥/٥٠٠.
(٥) في (ب): «أخذ برجله».
(٦) في (ر): «أردت أن أصنع بك».
(٧) في الأوربية: «جميح».
(٨) ما بين القوسين من (ب) وفيها: «خلفائي».
(٩) في الأوربية: «أوصيه».

وقال عمر بن شُبّة: حجّ يزيد في حياة أبيه، فلمّا بلغ المدينة جلس على شرابٍ له، فاستأذن عليه ابن عبّاس والحسين، فقيل له: إنّ ابن عبّاس إنْ وجد ريحَ الشراب (عرفه، فحَجَبَه وأذِن للحسين، فلمّا دخل وجد رائحة الشراب)[1] مع الطِّيب، فقال: لله دَرّ طيبك ما أطيبه! فما هذا؟ قال: هو طِيبٌ يُصْنَع بالشام، ثمّ دعا بقدح فشربه، ثمّ دعا بآخر فقال: اسقِ أبا عبد الله. فقال له الحسين: عليك شرابك أيّها المرء، لا عينَ عليك منّي، فقال يزيد:

ألا يا صاحِ لَلْعجبْ دعوتُك ولم تُجبْ
إلى الفتياتِ والشّهوا تِ والصَّهباء والطَّرَبْ
باطية[2] مُكَلّلَه عليها سادَةُ العرَبْ
وفيهنّ الّتي تبلَتْ فؤآدَكَ ثمّ لم تشبْ

فنهض الحسين وقال: بل فؤآدك يا ابن معاوية تبلت.

وقال شقيق بن سَلَمَة[3]: لما قُتل الحسين ثار عبدُ الله بن الزُّبير، فدعا ابنَ عبّاس إلى بيعته، فامتنع وظنّ يزيد أنّ امتناعه تمسّك منه ببيعته، فكتب إليه: أمّا بعد، فقد بلغني أنّ الملحد ابن الزّبير دعاك إلى بيعته، وأنّك اعتصمتَ ببيعتنا وفاءً منك لنا، فجزاك الله من ذي رحِم (خير ما يجزي الواصلين لأرحامهم، الموفين بعهودهم، فما أنسَ من الأشياء)[4]، فلستُ بناسٍ بِرّك وتعجيل صِلتك بالّذي أنت له أهل، فانظرْ مَن طلع عليك من الآفاق، ممّن سحرهم ابن الزّبير بلسانه، فأعلمهم بحاله، فإنّهم منك أسمع الناس، ولك أطْوَع منهم للمُحِلّ.

فكتب إليه ابنُ عبّاس: أمّا بعدُ، فقد جاءني كتابك، فأمّا تَرْكي بيعة ابن الزّبير، فواللهِ ما أرجو بذلك بِرّك ولا حمْدك، ولكنّ الله بالّذي أنوي عليمٌ، وزعمتَ أنّك لستَ بناسٍ بِرّي، فاحبسْ أيّها الإنسان برّك عنّي، فإنّي حابسٌ عنك برّي[5]، وسألتَ أن أحبّبَ الناسَ إليك وأبغّضهم، وأخذّلهم لابن الزّبير، فلا، ولا سرور ولا كرامة، كيف وقد قتلتَ حسيناً وفتيان عبد المطّلب مصابيحَ الهُدى، ونجوم الأعلام، غادرَتْهم خيولك بأمرك في صعيدٍ واحد، مرمَّلين بالدّماء، مسلوبين بالعراء، (مقتولين بالظّماء؛ لا مكفّنين ولا

(١) ما بين القوسين من (ب).
(٢) في الأصل: «وباطية».
(٣) في (ر): «مسلمة».
(٤) ما بين القوسين من (ب).
(٥) في (ب): «ودي».

موسَّدين)[1]، تسفي عليهم الرياح، وينشى بهم عَرْج البطاحِ، حتّى أتاح الله بقومٍ لم يشركوا في دمائهم، كفّنوهم وأجنوهم، وبي وبهم لو عززت وجلستَ مجلسك الّذي جلستَ، فما أنسَ من الأشياء، فلستُ بناسٍ اطّرادك حُسيناً من حرم رسول الله ﷺ، إلى حرمِ الله، وتسييرك الخيول إليه، فما زلتَ بذلك حتّى أشخصْتَه إلى العراق، فخرج خائفاً يترقّب، فنزلت به خيلُك عداوةً منك لله ولرسوله، ولأهل بيته الّذين أذهبَ الله عنهم الرِّجس وطهّرهم تطهيراً، فطلب إليكم الموادعة، وسألكم الرجعة، فاغتنمتم قلّة أنصاره، واستئصال أهل بيته، وتعاونتم عليه، كأنّكم قتلتم أهلَ بيتٍ من الشِّرْك[2] والكُفْر، فلا شيء أعجب عندي من طلْبتك ودّي، وقد قتلتَ ولد أبي، وسيفك يقطر من دمي، وأنت أحد ثأري، ولا يعجبك أن ظفرتَ بنا اليوم، فلنظفرنّ بك يوماً، والسلام.

(قال الشريف أبو يَعْلَى حمزة بن محمد بن أحمد بن جعفر العلويُّ، وقد جرى عنده ذكر يزيد: أنا لا أُكفِّر يزيد لقول رسول الله ﷺ: إنّي سألتُ الله أن لا يسلّط على بنيَّ[3] أحداً من غيرهم، فأعطاني ذلك)[4].

ذكر بيعة معاوية بن يزيد بن معاوية وعبد الله بن الزُّبَير

في هذه السنة بويع لمعاوية بن يزيد بالخلافة بالشام، ولعبد الله بن الزُّبير بالحجاز، ولما هلك يزيد بلغ الخبر عبد الله بن الزبير بمكّة قبل أن يعلم الحُصَين بن نُمير، ومَن معه من عسكر الشام، وكان الحصار قد اشتدّ من الشاميّين على ابن الزّبير، فناداهم ابن الزّبير وأهل مكّة: علامَ تقاتلون وقد هلك طاغيتكم؟ فلم يصدّقوهم.

فلمّا بلغ الحصينَ خبرُ موته بعث إلى ابن الزّبير فقال: موعد[5] ما بيننا الليلة الأبْطح؛ فالتقيا وتحادثا، فراثَ فَرَس الحُصَين، فجاء حمام الحَرَم يلتقط رَوْث الفرس، فكفّ الحُصَين فرسه عنهنّ وقال: أخاف أن يَقتل فرسي حمامَ الحَرَم. فقال ابن الزّبير: تتحرّجون من هذا، وأنتم تقتلون المسلمين في الحرم؟ فكان فيما قال له الحصين: أنت أحقّ بهذا الأمر، هلُمّ فلْنُبايعك، ثمّ اخرجْ معنا إلى الشام، فإنّ هذا الجُنْد الذين معي هم وجوه الشام وفُرسانهم، فوالله لا يختلف عليك اثنان، وتؤمِّن الناس، وتُهْدر هذه الدماء الّتي كانت بيننا وبينك وبين أهل الحرم[6]. فقال له: أنا لا أُهدر الدماء، والله لا

---

(١) ما بين القوسين من (ر).

(٢) في الأوربية: «الترك».

(٣) في الأوربية: «ابني».

(٤) ما بين القوسين من (ر).

(٥) في الأوربية: «يوعد».

(٦) في (ب): «الحرة».

أرضى[1] أن أقتل بكلّ رجل منهم عشرة منكم. وأخذ الحُصَين يكلّمه سرّاً، وهو يجهر ويقول: والله لا أفعل. فقال له الحصين: قبّح الله من يَعُدُّكَ بعدُ (داهياً وأريباً)[2]، قد كنتُ أظنّ أنّ لك رأياً، وأنا أكلّمك سرّاً وتكلّمني جَهْراً، وأدعوك إلى الخلافة (وأنت لا تريد إلّا)[3] القتل والهَلَكة. ثمّ فارقه ورحل هو وأصحابه نحو المدينة، وندِم ابن الزّبير على ما صنع، فأرسل إليه: أمّا المسير إلى الشام فلا أفعله، ولكن بايعوا لي هناك، فإنّي مؤمِّنكم وعادل فيكم. فقال الحُصَين: إنْ لم تقدم بنفسك لا يتمّ الأمر، فإنّ هناك ناساً من بني أميّة يطلبون هذا الأمر.

وسار الحُصَين إلى المدينة، فاجترأ أهل المدينة على أهل الشام، فكان لا ينفرد منهم أحد إلّا أُخذتْ دابّته، فلم يتفرّقوا، وخرج معهم بنو أميّة من المدينة إلى الشام، ولو خرج معهم ابن الزُّبير لم يختلف عليه أحد.

فوصل أهل الشام دمشق، وقد بويع معاوية بن يزيد، فلم يمكث إلّا ثلاثة أشهر حتّى هلك، وقيل: بل ملك أربعين يوماً ومات. وعمره إحدى وعشرون سنة وثمانية عشر يوماً[4].

ولما كان في آخر إمارته أمر فنُودي: الصلاة جامعة، فاجتمع الناسُ، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أمّا بعدُ، فإنّي ضعفتُ عن أمركم فابتغيتُ لكم مثلَ عمر بن الخطّاب حين استخلفه أبو بكر فلم أجده، فابتغيتُ ستّة مثل [ستّة] الشورى، فلم أجدهم، فأنتم أَوْلَى بأمركم، فاختاروا له مَنْ أحببتم. ثمّ دخل منزله وتغيّب حتّى مات[5].

وقيل: إنّه مات مسموماً، وصلّى عليه الوليد بن عُتْبَة بن أبي سفيان، ثمّ أصابه الطاعون من يومه فمات أيضاً[6]، وقيل: لم يمُت، وكان معاوية أوصى أن يصلّي الضحّاك بن قيس بالناس، حتّى يقوم لهم خليفة، وقيل لمعاوية: لو استخلفتَ؟ فقال: لا أتزوّد مرارتها، وأترك لبني أميّة حلاوتها[7].

---

(١) في الأوربية: «لأرضى».
(٢) في (ب): «هذا». وفي الأوربية: «ذاهباً وآئباً».
(٣) في (ر): «وقعدني إلى»؛ والقول في: مروج الذهب ٣/٩١.
(٤) الطبري ٥/٥٠١ - ٥٠٣ وفيه: وتوفي وهو ابن ثلاث عشرة سنة وثمانية عشر يوماً.
(٥) نهاية الأرب ٢٠/٥٠٠، وانظر: تاريخ اليعقوبي ٢/٢٥٤.
(٦) مروج الذهب ٣/٨٢.
(٧) مروج الذهب ٣/٨٢.

ذكر حال ابن زياد بعد موت يزيد

لما مات يزيد، وأتى الخبرُ عُبيدَ الله بن زياد مع مولاه حُمران، وكان رسوله إلى معاوية بن أبي سفيان، ثمّ إلى يزيد بعده، فلمّا أتاه الخبر أسرّه إليه، وأخبره باختلاف الناس في الشام، فأمر فنودي: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، وصعِد المنبر، فنعى يزيد (وثلّبه[١])، فقال الأحنف: إنّه قد كانت ليزيد في أعناقنا بيعة، ويقال في المثل: أَعْرض عن ذي فَنَن[٢]، وأعرضَ عنه عُبيد الله)[٣]، وقال: يا أهل البصرة، إنّ مُهاجَرَنا إليكم، ودارنا فيكم، ومولدي فيكم، ولقد وليتُكم، وما يُحْصي ديوان مقاتلتكم إلاّ سبعين ألفاً، ولقد أحصى اليوم مائة[٤] ألف، وما كان يُحصي ديوان عمّالكم إلاّ تسعين ألفاً، ولقد أحصى اليوم مائة وأربعين ألفاً، وما تركتُ لكم ذا ظِنّةٍ[٥] أخافه عليكم، إلاّ وهو في سجنكم، وإنّ يزيد قد توفّي، وقد اختلف الناس بالشّام، وأنتم اليوم أكثر الناس عدداً، وأعرضهم فِناءً[٦] وأغناهم[٧] عن الناس، وأوسعهم بلاداً، فاختاروا لأنفسكم رجلاً ترضونه لدينكم وجماعتكم، (فأنا أوّل راضٍ مَنْ رضيتموه، فإنِ اجتمع أهلُ الشام على رجلٍ ترضَوْنه لِدينكم وجماعتكم)[٨]، دخلتم فيما دخل فيه المسلمون، وإن كرهتم ذلك كنتم (على جديلتكم حتى تُعْطَوا)[٩] حاجتكم، فما بكم إلى أحد من أهل البلدان حاجة، ولا يستغني الناس عنكم. فقام خُطباء أهل البصرة وقالوا: قد سمعنا مقالتك، وما نعلم أحداً أقوى عليها منك، فهلُمّ فلْنبايعك. فقال: لا حاجة لي في ذلك. فكرّروا عليه، فأبَى عليهم ثلاثاً، ثمّ بسط يده فبايعوه، ثمّ انصرفوا، ومسحوا أيديهم بالحيطان وقالوا: أيظنّ ابن مَرجانة أنّنا ننقاد[١٠] له في الجماعة والفُرقة!

فلمّا بايعوه أرسل إلى أهل الكوفة مع عَمْرو بن مِسْمع، وسعد بن القرحاء[١١] التميميّ يُعْلم أهلَ الكوفة ما صنع أهل البصرة، ويدعوهم إلى البيعة له، فلمّا وصلا إلى الكوفة،

---

(١) في الأوربية: «وثلّثه».

(٢) في الأوربية: «فترة».

(٣) ما بين القوسين من (ب).

(٤) في (ر): «ثمانين».

(٥) في الأوربية: «لكم قاطنة».

(٦) في (ب) «غناء»، وفي الأوربية «قناء».

(٧) في الأوربية: «وأغنى».

(٨) ما بين القوسين من (ر).

(٩) في الأوربية: «على أحد يليكم حتى تقضوا». (والجديلة: الطريقة والشاكلة).

(١٠) الطبري ٥/٥٠٥ «تستقاد».

(١١) في (ب): «القرظ».

وكان خليفته عليها عَمْرو بن حُرَيْث، جمع الناس وقام الرسولان فخطبا أهل الكوفة، وذكرا لهم ذلك، فقام يزيد بن الحارث بن يزيد الشيبانيُّ، وهو ابن رُوَيْم، فقال: الحمد لله الذي أراحنا من ابن سُمَيَّة! أنحن نبايعه؟ لا ولا كرامة! وحصبهما أوّل الناس، ثمّ حصبهما الناس بعده، فشرّفت تلك الفعلة يزيد بن رُوَيْم في الكوفة ورفعته.

ورجع الرسولان إلى البصرة فأعلماه الحال، فقال أهل البصرة: أيخلعه أهل الكوفة ونولّيه نحن! فضعُف سلطانه عندهم، فكان يأمر بالأمر فلا يُقضى، ويرى الرأي فيُردّ عليه، ويأمر بحبس المخطىء، فيُحال بين أعوانه وبينه[1].

ثمّ جاء إلى البصرة سَلِمة بن ذُؤيب الحنظليُّ التميميُّ، فوقف في السوق وبيده لواءٌ وقال: أيّها الناس هلمّوا إليّ، إنّي أدعوكم إلى ما لم يدعُكم إليه أحد، أدعوكم إلى العائذ بالحرم، يعني عبد الله بن الزُّبَير. فاجتمع إليه ناس[2]، وجعلوا يصفّقون على يديه يبايعونه. فبلغ الخبرُ ابنَ زياد، فجمع الناس فخطبهم، وذكر لهم أمره معهم، وأنّه دعاهم إلى مَن يرتضونه، فبايعه منهم[3] أهل البصرة، وأنّهم أبَوا غيره، وقال: إنّي بلغني أنّكم مسحتم أكُفَّكم بالحيطان وباب الدار، وقلتم ما قلتم، وإنّي آمر بالأمر، فلا ينفذ ويُرَدّ عليّ رأيي، ويُحال بين أعواني وبين طَلَبتي، ثمّ إنّ هذا سَلِمة بن ذُؤَيب يدعو إلى الخلاف عليكم، ليفرّق جماعتكم، ويضرب بعضكم رِقاب بعض بالسيف.

فقال الأحنف والناس: نحن نأتيك بسَلِمة، فأتوه بسَلِمة، فإذا جمعُه قد كُثف، والفتْق قد اتّسع، فلمّا رأوا ذلك قعدوا عن ابن زياد، فلم يأتوه. فدعا عُبيدُ الله رؤساء محاربة السلطان[4]، وأرادهم ليقاتلوا معه، قالوا: إن أمرَنا فؤادُنا فعلنا. فقال له إخوته: ما من خليفة فتقاتل عنه[5]، فإن هُزمتَ رجعتَ إليه فأمدّك، ولعلّ الحرب تكون عليك (وقد اتّخذنا بين هؤلاء القوم أموالاً)[6]، فإن ظفروا بنا أهلكونا وأهلكوها، فلم تبقَ لك بقيّة.

فلمّا رأى ذلك أرسل إلى الحارث بن قيس بن صهباء الجَهْضَميّ الأزديّ فأحضره، وقال له: يا حارث، إنّ أبي أوصاني أنّي إن احتجتُ إلى الهرب[7] يوماً أن أختاركم. فقال الحارث: إنّ قومي قد اختبروا أباك، فلم يجدوا عنده مكاناً، ولا عندك مكافأة، ولا أردّك

---

(١) نهاية الأرب ٢٠/٥٠٢، ٥٠٣، الطبري ٥/٥٢٤، ٥٢٥.

(٢) الطبري ٥/٥٠٧ «فتجمّع إليه نُوَيس».

(٣) في (ر): «معهم».

(٤) تحرّفت في نسخة المتحف البريطاني إلى «الشيطان».

(٥) في الأوربية: «ما لنا خليفة فنقاتل عنه».

(٦) ما بين القوسين من (ب).

(٧) في الأوربية «العرب».

إذا اخترتنا[1]، وما أدري كيف أماني لك، إن أخرجتُك نهاراً أخاف أن تُقْتَل وأُقتَل، ولكنّي أقيم معك إلى الليل، ثمّ أُرْدِفك خلفي لئلاّ تُعْرَف. فقال عُبيد الله: نِعْمَ ما رأيتَ. فأقام عنده فلمّا كان الليل حمله خلفه.

وكان في بيت المال تسعة[2] عشر ألف ألف، ففرّق ابنُ زياد بعضها في مواليه، وادّخر الباقي، فبقي لآل زياد.

وسار الحارث بُعبيد الله بن زياد، فكان يمرّ به على الناس وهم يتحارسون مخافة الحَرُوريّة، وعُبيد الله يسأله: أين نحن؟ والحارث يُخبره، فلمّا كانوا في بني سُلَيم قال: أين نحن؟ قال: في بني سُلَيم. قال: سلِمنا إن شاء الله. فلمّا أتى بني ناجية قال: أين نحن؟ قال: في بني ناجية. قال: نجونا إن شاء الله[3]. فقال بنو ناجية: مَنْ أنت؟ قال: الحارث بن قيس، وكان يعرف رجلٌ منهم عُبيد الله، فقال: ابن مَرْجانة! وأرسل سهماً فوقع في عمامته.

ومضى به الحارث، فأنزله في دار نفسه في الجهاضم، فقال له ابن زياد: يا حارث، إنّك أحسنتَ فاصنع ما أشيرُ به عليك، قد علمت منزلة مسعود بن عَمرو في قومه وشرفه وسنّه، وطاعة قومه له، فهل لك أن تذهب بي إليه، فأكون في داره، فهي في وسط الأزد، فإنّك إن لم تفعل[4] فرّق عليك أمر قومك. فأخذه الحارث فدخلا على مسعود، ولم يشعر وهو جالس يصلح خُفّاً له، فلمّا رآهما عرفهما فقال للحارث: أعوذ بالله من شرِّ طرقتَني به! قال: ما طرقتُك إلاّ بخير، (قد علمتَ أنّ قومك أنجوا زياداً ووفوا له، فصارتْ مكرُمة يفتخرون بها على العرب)[5]، وقد بايعتم عُبيد الله بيعةَ الرِّضى عن مشورة، وبيعة أخرى قبل هذه، يعني بيعة الجماعة. قال مسعود: أترى لنا أن نعادي أهل مِصْرنا في عُبيد الله، ولم نجد من أبيه مكافأة ولا شكراً فيما صنعنا معه؟ قال الحارث: إنّه لا يعاديك[6] أحد على الوفاء على بيعتك، حتّى تبلّغه مأمنه، أفتُخْرجه من بيتك بعدما دخله عليك؟

وأمره مسعود فدخل بيت أخيه عبد الغافر بن عَمرو، ثمّ ركب مسعود من ليلته ومعه الحارث وجماعة من قومه، فطافوا في الأزد فقالوا: إنّ ابن زياد فُقد، وإنّا لا نأمن أن

---

(١) في (ب): «اختبرتنا». والخبر في تاريخ الطبري ٥/٥٠٨ ـ ٥١٠.

(٢) في الطبري ٥/٥١١ «ستة»، والمثبت يتفق مع: نهاية الأرب ٢٠/٥٠٤.

(٣) أنظر: الأخبار الطوال ٢٨٢.

(٤) في الأوربية: «يفعل».

(٥) ما بين القوسين من (ر).

(٦) في (ب): «يقارضك».

تُلْحظوا به. فأصبحوا في السلاح. وفقد الناس ابن زياد فقالوا: ما هو إلاّ في الأزد.

وقيل: إنّ الحارث لم يكلّم مسعوداً بل أمر عُبيدَ الله، فحمل معه مائة ألف، وأتى بها أمّ بِسْطام امرأة مسعود، (وهي بنت عَمْرو بن الحارث، ومعه عُبيد الله، فاستأذن عليها، فأذِنت له، فقال لها: قد أتيتُك بأمر تسودين[1] به نساء العرب، وتتعجّلين به الغِنى. وأخبرها الخبر[2]، وأمرها أن تُدْخلَ ابن زياد البيت، وتُلْبسه ثوباً من ثياب مسعود، ففعلت، ولما جاء مسعود أخذ برأسها يضربها، فخرج عُبيد الله والحارث عليه وقال له: قد أجارتني، وهذا ثوبك عليّ، وطعامك في بطني. وشهد الحارث وتلطّفوا به حتّى رضي[3]، فلم يزل ابن زياد في بيته حتّى قُتل مسعود، فسار إلى الشام.

ولما فُقد ابن زياد بقي أهل البصرة في غير أمير، فاختلفوا فيمَن يؤمّرون عليهم، ثمّ تراضوا بقيس بن الهيثم السُّلَميّ، وبالنُّعمان بن سُفيان الراسبيّ الحرميّ، ليختارا مَنْ يرضيان لهم، وكان رأي قيس في بني أميّة، ورأي النُّعمان في بني هاشم، فقال النُّعمان: ما أرى أحداً أحقّ بهذا الأمر من فلان، لرجلٍ من بني أميّة، وقيل: بل ذكر له عبدَ الله بن الأسود الزُّهْريَّ، وكان هوى قيس فيه، وإنّما قال النّعمان ذلك خديعةً ومكراً بقيس، فقال قيس: قد قلّدتك أمري، ورضيتُ مَن رضيتَ، ثمّ خرجا إلى الناس، فقال قيس: قد رضيتُ من رضي النُّعمان[4].

ذكر ولاية عبد الله بن الحارث البصرة

لما اتّفق قيس والنُّعمان، ورضي قيس بمن يؤمّره النُّعمان، أشهد عليه النُّعمانُ بذلك، وأخذ على قيس وعلى الناس العهود بالرِّضى، ثمّ أتى عبدَ الله بن الأسود، وأخذ بيده واشترط عليه (حتّى ظنّ الناس أنّه بايعه، ثمّ تركه وأخذ بيد عبد الله بن الحارث بن نَوْفل بن الحارث بن عبد المطّلب الملقّب بِبَبَّة واشترط عليه)[5] مثل ذلك، ثمّ حمد الله وأثنى عليه، وذكر النبيَّ ﷺ، وحقّ أهل بيته وقرابته وقال: أيّها الناس ما تنقمون من رجل من بني عمّ نبيّكم، وأمّه هند بنت أبي سفيان قد كان الأمر فيهم، فهو ابن أختكم، ثمّ أخذ بيده وقال: رضيتُ لكم به، فنادوه: قد رضينا، وبايعوه وأقبلوا به إلى دار الإمارة حتّى نزلها، وذلك أوّل جُمادى الآخرة سنة أربعٍ وستّين. وقال الفرزدق في بيعته:

---

(١) في الأوربية «تؤسدين».

(٢) ما بين القوسين من (ر).

(٣) الطبري ٥/٥١٣.

(٤) الطبري ٥/٥١٣، ٥١٤ نهاية الأرب ٢٠/٥٠٥.

(٥) ما بين القوسين من (ر).

وبـايعتُ أقـوامـاً وفيتُ بعهـدِهـم   وبَبَّـة قـد بـايَعتُـه غيـر نـادِمِ[1]

ذكر هرب ابن زياد إلى الشام

ثمّ إنّ الأزد وربيعة جدّدوا الحلف الذي كان بينهم وبين الجماعة، وأنفق ابنُ زياد مالاً كثيراً فيهم، حتّى تمّ الحلف، وكتبوا بذلك بينهم كتابَين، فكان أحدهما عند مسعود بن عَمْرو. فلمّا سمع الأحنف أن الأزد طلبت إلى ربيعة ذلك، قال: لا يزالون لهم أتباعاً إذا أتوهم. فلمّا تحالفوا اتّفقوا على أن يردّوا ابن زياد إلى دار الإمارة، فساروا، ورئيسهم مسعود بن عَمْرو، وقالوا لابن زياد: سِرْ معنا، فلم يفعل، وأرسل معه مواليه على الخيل، وقال لهم: لا تتحدّثوا[2] بخير ولا بشرّ إلّا أتيتموني به، فجعل مسعود لا يأتي سكّة ولا يتجاوز قبيلة إلّا أتى بعضُ أولئك الغلمان ابنَ زياد بالخبر، وسارت ربيعة، وعليهم مالك بن مِسْمَع، فأخذوا سِكّة المِرْبد، وجاء مسعود فدخل المسجد، فصعِد المنبر وعبدُ الله بن الحارث في دار الإمارة، فقيل له: إنّ مسعوداً وأهل اليمن وربيعة قد ساروا، وسيُهيَّج بين الناس شرٌّ، فلو أصلحتَ بينهم، أو ركبت[3] في بني تميم [عليهم]. فقال: أبعدهم الله، لا والله لا أُفسدنّ نفسي في إصلاحهم! وجعل رجل من أصحاب مسعود يقول:

لأُنْكِحَنَّ بَبَّهْ[4] جارِيَةً في قُبَّهْ[5]
تَمْشُطُ رأس لَعْبَهْ[6]

هذا قول الأزد، وأمّا قول مُضَر فيقولون: إنّ أمّه كانت ترقّصه[7]، وتقول هذا.

وصعِد مسعود المنبر، وسار مالك بن مِسْمع نحو دُور بني تميم حتّى دخل سكّة بني العدويّة، فحرَّق دُورهم لِما في نفسه لاستعراض[8] ابن خازم[9] ربيعة بهَرَاة. وجاء بنو

---

(١) تاريخ الطبري ٥/٥١٤، أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/٤٠٥، نقائض جرير والفرزدق ١١٢ و٧٣٧، لسان العرب ١/٢١٥.

(٢) في (ب): «يتحدثون».

(٣) في الأوربية: «وركبت».

(٤) في الأوربية: «لئن ينكحن بَبّهْ».

(٥) في نسخة الأستانة «حدبه».

(٦) الطبري ٥/٥١٧، أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/٤٠٧، الاشتقاق لابن دريد ٤٤، الصحاح للجوهري ١/٣٢، لسان العرب ١/٣١٥ و٣٣٥ و٣٧٧، تاج العروس ١/١٥٢.

(٧) في (ر): «توقظه».

(٨) في (ب): «لاستغراق».

(٩) في الأوربية: «بني حازم».

تميم إلى الأحنف فقالوا: يا أبا بحر، إنّ ربيعة والأزد قد تحالفوا، وقد ساروا إلى الرَّحَبة فدخلوها. فقال: لستم بأحقّ بالمسجد منهم. فقالوا: قد دخلوا الدّار. فقال: لستم بأحقّ بالدّار منهم. فأتته امرأة بمِجْمَر وقالت له: ما لك وللرياسة، إنّما أنت امرأة تتجمّر! فقال: استُ المرأة[1] أحقّ بالمِجْمَر، فما سُمع منه كلمة أسوأ[2] منها، ثمّ أتوه فقالوا: إنّ امرأة منّا قد سُلبت[3] خلخالها[4]، وقد قتلوا الصَّبّاغ الذي على طريقك وقتلوا[5] المُقْعَد الذي على باب المسجد، وقد دخل مالك بن مِسمع سكّة بني العدويّة فحرّق. فقال الأحنف: أقيموا البيّنة على هذا، ففي دون هذا ما يحلّ قتالهم. فشهدوا عنده على ذلك. فقال الأحنف: أجاء عبّاد بن الحُصَين؟ قالوا: لا، وهو عبّاد بن الحصَين بن يزيد بن عَمرو بن أوْس من بني عَمْرو بن تميم، ثمّ قال: أجاء عبّاد؟ قالوا: لا. قال: أهاهنا عبس[6] بن طلْق بن ربيعة الصُّرَيْميُّ من بني سعد بن زيد مَناة بن تميم؟ قالوا: نعم، فدعاه فانتزع مِعْجراً في رأسه، فعقده في رُمح، ثمّ دفعه إليه وقال: سِرْ، فلمّا ولّى قال: اللهمّ لا تُخزها اليوم، فإنّك لم تُخْزها[7] فيما مضى، وصاح الناس: هاجت زبراء[8]! وهي أمَة للأحنف[9] كنوا بها عنه[10].

فسار عبس إلى المسجد، فلمّا سار عبس جاء عبّاد فقال: ما صنع الناس؟ فقيل: سار بهم عبس. فقال: لا أسير تحت لواء عبس، وعاد إلى بيته ومعه ستون فارساً. فلمّا وصل عبس إلى المسجد قاتل الأزد على أبوابه، ومسعود على المِنْبر يحضّض الناس، فقاتل غطفانُ بن أُنيف التميميُّ وهو يقول:

يالَ تَميمٍ إنّها مَذكورَهْ إنْ فاتَ[11] مسعودٌ بها مشهورَهْ
فاستمسِكوا بجانبِ المَقصُورَهْ[12]

---

(1) في الأوربية: «لستُ امرأة».
(2) في الأوربية: «سواء»، وفي أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/ ٣٩٨ «أرفث».
(3) في الأوربية: «نزعت».
(4) في نسخة الأستانة: «جلالة خيلها».
(5) في الأوربية: «وقد قفلوا الضباع الذي على طريقك وقفلوا».
(6) تحرّفت في (ب) إلى «عيسى».
(7) في الأوربية: «اللهمّ إن لم تخزها اليوم فإنّك لم تخزها».
(8) في (ر) بياض.
(9) في الأوربية: «هاجت زيرا وهي أمّ الأحنف».
(10) أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/ ٤٠٨.
(11) في (ب): «خاف».
(12) اطبري ٥/ ٥٢٠.

أي لا يهرب [فيفوت]. وأتوا مسعوداً وهو على المنبر، فاستنزلوه فقتلوه، وذلك أوّل شوّال سنة أربعٍ وستّين، وانهزم أصحابه، وهربَ أشْيَم بن شَقيق بن ثَوْر، فطعنه أحدهم فنجا بها، فقال الفرزدق:

لَوْ أنّ أشْيَمَ لم يَسبقْ أسِنَّتَنا … وأخطأ البابَ إذْ نيرانُنا تَقِدُ
إذاً لَصاحَبَ مسعوداً وصاحِبَهُ … وقد تهافَتَت الأعفاجُ والكَبِدُ[1]

ولما صعِد مسعود المِنْبر أُتيَ ابنُ زياد، فقيل له ذلك، فتهيّأ ليجيء إلى دار الإمارة، فأتوه وقالوا له: إنّه قُتل مسعود، فركب ولحِق بالشام[2].

فأمّا مالك بن مِسمع فأتاه ناس من مُضر، فحصروه في داره وحرَّقوا داره.

ولما هرب ابن زياد تبِعوه، فأعجزهم، فنهبوا ما وجدوا له، (ففي ذلك يقول واقد بن خليفة التميميُّ:

يا رُبَّ جبّار شديد كَلَبُهْ … قد صار فينا تاجُهُ وسَلَبُهْ
منهم عُبيدُ الله يومَ نسلُبُهْ … جيادَه وبَزَّه ونَنهَبُهْ[3]
يوْمَ التَقى مِقْنَبُنا ومِقْنَبُهْ[4] … لو لم يُنَجّ ابنَ زيادٍ هرَبُهْ)[5]

وقد قيل في قتل مسعود ومسير ابن زياد غير ما تقدّم، وهو أنّه لما استجار ابنُ زياد بمسعود بن عَمْرو أجاره، ثمّ سار ابن زياد إلى الشام، وأرسل معه مسعود مائة من الأزد، حتّى قدِموا به إلى الشام. فبينما هو يسير ذات ليلة قال: قد ثقل عليّ ركوب الإبل، فوطّئوا لي على ذي حافر؛ فجعلوا له قطيفةً على حمار، فركبه ثمّ سار، وسكت طويلاً.

قال مُسافر بن شُرَيح اليشكريُّ: فقلتُ في نفسي: لئن كان نائماً لأُنَغِّصَنَّ[6] عليه نومه، [فدنوتُ منه] فقلتُ: أنائمٌ أنت؟ قال: لا، كنتُ أحدّث نفسي. قلتُ[7]: أفلا

---

(١) في ديوان الفرزدق ١٩٣: «كلاهما خارج الأعفاج والكبد». والبيتان عند الطبري ٥/٥٢٠، والبلاذري في أنساب الأشراف ج ٤ ق ٤٠٩/١، وفيه: «وقد تماءت له الأعفاج والكبد».

(٢) أنساب الأشراف ج ٤ ق ٤٠٩/١.

(٣) في الأوربية: «تسلبه... وتنهبه».

(٤) في الأوربية: «مقبتنا ومقبته». (والمقنب، جمعها مقانب: جماعة من الخيل تجتمع للغارة».

(٥) ما بين القوسين من (ب).
والبيت الأول في: أنساب الأشراف ج ٤ ق ٤١٢/١، وكلها في تاريخ الطبري ٥/٥٢١، والنقائض ٧٣٥، وعند الطبري أن القائل هو «وافد» بالفاء، والمثبت يتفق مع بقية المصادر، ونهاية الأرب ٢٠/٥٠٨.

(٦) في الأوربية: «لأيقظنّ».

(٧) في (ب) قال. والمثبت من (ر).

أحدّثك بما كنتَ تحدّث به نفسك؟ قال: هات. قلتُ[1]: كنتَ تقول: ليتني كنتُ لم أُقتل حسيناً. قال: وماذا؟ قلتُ: تقول: ليتني لم أكن قتلتُ مَنْ قتلتُ. قال: وماذا؟ قلتُ: تقول: ليتني لم أكن بنيتُ[2] البيضاء. قال: وماذا؟ قلتُ: تقول: ليتني لم أكن استعملتُ الدهاقين. قال: وماذا؟ قلتُ: تقول: ليتني كنتُ أسخى ممّا كنتُ.

قال: أمّا قتلي الحسين، فإنّه أشار إليّ يزيد بقتله أو قتلي، فاخترتُ قتله، وأمّا البيضاء فإنّي اشتريتها من عبد الله بن عثمان الثقفيّ، وأرسل إليّ يزيد بألف ألف، فأنفقتها عليها، فإن بقيتُ فلأهلي، وإن هلكتُ لم آسَ عليها، وأمّا استعمال الدّهاقين فإنّ عبد الرحمن بن أبي بَكْرة (وزاذان فرّوخ وقعا فيّ عند معاوية [حتى ذكرا قشور الأرزّ] فبلغا بخراج[3] العراق مائة ألف ألف فخيّرني معاوية[4] بين العزل والضمان، فكرهتُ العزل، فكنتُ إذا استعملتُ العربيَّ كسر الخراج، فإنْ أغرمتُ عشيرته أو طالبتُهُ أوغرت صدورهم، وإن تركته تركتُ مال الله، وأنا أعرف مكانه، فوجدتُ الدّهاقين أبصر بالجباية، وأوفى بالأمانة، وأهون بالمطالبة منكم، مع أنّي قد جعلتكم أُمناء عليهم[5] لئلّا يظلموا أحداً. وأمّا قولك في السخاء فما كان لي مال فأجود به عليكم، ولو شئتُ لأخذتُ بعضَ مالكم، فخصصتُ به بعضكم دون بعض، فيقولون: ما أسخاه. وأمّا قولك: ليتني لم أكن قتلتُ من قتلتُ، فما عملتُ بعد كلمة الإخلاص عملاً هو أقرب إلى الله عندي من قتل مَنْ قتلتُ من الخوارج، ولكنّي سأخبرك [بما حدّثتُ به نفسي]، قلتُ: ليتني كنتُ قاتلتُ أهل البصرة، فإنهم بايعوني طائعين، ولقد حرصتُ على ذلك، ولكنّ بني زياد قالوا: إن قاتلتهم فظهروا عليك لم يُبْقوا منّا أحداً، وإن تركتَهم تغيّب الرجل منّا عند أخواله وأصهاره، فوقعتَ بهم، فكنتُ أقول: ليتني أخرجت أهل السجن فضربتُ أعناقهم، وأمّا إذ فاتت هاتان، فلَيتني أقدم الشام ولم يُبرموا أمراً.

قال: فقدِم الشام ولم يُبرموا أمراً، [فكأنّما] كانوا معه صبياناً[6]، وقيل: بل قدِم وقد أبرموا، فنقض عليهم ما أبرموا[7].

فلمّا سار من البصرة استخلف مسعوداً عليها، فقال بنو تميم وقيس: لا نرضى به،

---

(١) في (ب) قال.

(٢) في نسخة الأستانة (آ) و(ب): «زاد في الخراج ومقامي».

(٣) في الأوربية: «أراد أنّ فرّوخ وقع فيّ عند معاوية وبلغ خراج».

(٤) في (ب): «يزيد».

(٥) في الأوربية: «عليه».

(٦) في الأوربية: «فكانوا معه صبيان».

(٧) الطبري ٥/٥٢٢، ٥٢٣، أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/٤١٠، ٤١١.

ولا نولّي إلّا رجلاً ترضاه جماعتنا. فقال مسعود: قد استخلفني ولا أدع ذلك أبداً.

وخرج حتّى انتهَى إلى القصر ودخله، واجتمعت تميم إلى الأحنف فقالوا له: إنّ الأزد قد دخلوا المسجد. قال: إنّما هو لهم ولكم. قالوا: قد دخلوا القصر، وصعِد مسعود المنبر، وكانت خوارج قد خرجوا، فنزلوا نهر الأساورة حين خرج عُبيد الله إلى الشام، فزعم الناس أنّ الأحنف بعث إليهم أنّ هذا الرجل الذي قد دخل القصر هو لنا ولكم عدوٌّ، فما يمنعكم عنه! فجاءت عصابة منهم حتّى دخلوا المسجد، ومسعود على المنبر يبايع مَن أتاه، فرماه عِلْجٌ يقال له مسلم من أهل فارس، دخل البصرة فأسلم، (ثمّ دخل في الخوارج، فأصاب قلبه)[1] فقتله، فقال الناس: قتله الخوارج، فخرجت الأزد إلى تلك الخوارج، فقتلوا منهم وجرحوا، فطردوهم عن البصرة.

ثمّ قيل للأزد: إنّ تميماً قتلوا مسعوداً، فأرسلوا يسألون، فإذا ناس من تميم تقوله: فاجتمعت الأزد عند ذلك، فرأسّوا عليهم زياد بن عَمْرو أخا مسعود بن عَمْرو، ومعهم مالك بن مِسْمع في ربيعة، وجاءت تميم إلى الأحنف يقولون: قد خرج القوم، وهو يتمكّث لا يخفّ للفتنة، فجاءته امرأة بمِجْمَر فقالت: اجلسْ على هذا، أي إنّما أنت امرأة[2].

فخرج الأحنف في بني تميم، ومعهم مَنْ بالبصرة من قيس، فالتقوا، فقُتل بينهم قتلى كثيرة، فقال لهم بنو تميم: اللَّهَ اللَّهَ يا معشر الأزد في دمائنا ودمائكم! بيننا وبينكم القرآن ومَنْ شئتم من أهل الإسلام، فإنّ لكم علينا بيّنة، فاختاروا أفضل رجل فينا فاقتلوه، وإن لم تكن لكم بيّنة، فإنّا نحلف بالله ما قتلنا ولا أمرنا، ولا نعلم له قاتلاً، وإن لم تريدوا ذلك، فنحن نَدِي صاحبكم بمائة ألف درهم. وأتاهم الأحنف واعتذر إليهم ممّا قيل، وسفر بينهم عمر[3] بن عُبيد الله بن مَعْمر، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فطلبوا عشر دِيات، فأجابهم إلى ذلك واصطلحوا عليه[4].

وأمّا عبد الله بن الحارث بَبَّةُ، فإنّه أقام يصلّي بهم حتّى قدِم عليهم عمر بن عُبيد الله بن مَعْمر أميراً من قِبل ابن الزّبير[5]. وقيل: بل كتب ابن الزُّبير إلى عمر بعهده على البصرة، فأتاه الكتاب وهو متوجّه إلى العُمْرة، فكتب عمر إلى أخيه عُبيد الله يأمره أن يصلّي بالناس، فصلّى بهم حتّى قدِم عمر، فبقي عمر أميراً شهراً حتّى قدِم

(١) ما بين القوسين من (ب).
(٢) أنساب الأشراف ج ٤ ق ٤٠٨/١، الطبري ٥٢٦/٥.
(٣) في (ر): «عمرو».
(٤) الطبري ٥٢٦/٥.
(٥) الطبري ٥٢٧/٥.

الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزوميُّ بعزله، ووُلّيها الحارث، وهو القُباع[1].

وقيل: اعتزل عبد[2] الله بن الحارث بَبَّةُ أهل البصرة بعد قتْل مسعود، بسبب العصبيّة وانتشار الخوارج، فكتب أهل البصرة إلى ابن الزُّبير، فكتب ابن الزّبير إلى أنس بن مالك يأمره أن يصلّي بالناس، فصلّى بهم أربعين يوماً، وكان عبد الله بن الحارث يقول: ما أُحبّ أن أُصلح الناس بفساد نفسي، وكان يتديّن[3].

وفي أيّامه سار نافع بن الأزرق إلى الأهواز من البصرة[4].

وأمّا أهل الكوفة فإنّهم لما ردّوا رُسُل ابن زياد، على ما ذكرناه قبلُ، عزلوا خليفته عليهم، وهو عَمْرو بن حُرَيث، واجتمع الناس وقالوا: نؤمّر علينا رجلاً، إلى أن يجتمع الناس على خليفة، فاجتمعوا على عمر بن سعد، فجاءت نساء همدان يبكين الحسين، ورجالهم متقلّدو السيوف، فأطافوا بالمنبر، فقال محمّد بن الأشعث: جاء أمرٌ غير ما كنّا فيه. وكانت كِنْدة تقوم بأمر عمر بن سعد، لأنّهم أخواله، فاجتمعوا على عامر بن مسعود بن أُميّة بن خَلَف بن وهْب بن حُذافة الجُمحيّ، فخطب أهلَ الكوفة فقال: إنّ لكلّ قوم أشرِبة ولذّات، فاطلبوها في مظانّها، وعليكم بما يحلّ ويحمد، واكسروا[5] شرابكم بالماء، وتواروا عنّي بهذه الجدران؛ فقال ابن همّام:

اشرَبْ شرابك وانعمْ غير محسودِ ... واكسرْه[6] بالماء لا تعصِ ابن مسعود
إنّ الأميرَ له في الخمر مأربةٌ ... فاشرَبْ هنيئاً مريئاً غيرَ مرْصُودِ[7]
(مَنْ ذا يحرّمُ ماءَ المُزْنِ خالَطَهُ ... في قعرِ خابيةٍ ماءُ العناقيدِ
إنّي لأكرهُ تَشديدَ الرُّواةِ لَنا ... فيها، ويعجبني قولُ ابن مَسعودِ)[8]

ولما بايعه أهل الكوفة وكتبوا بذلك إلى ابن الزّبير أقرّه[9] عليها، وكان يلقّب

---

(1) الطبري ٥/٥٢٧.
(2) في الأوربية: «عبيد».
(3) الطبري ٥/٥٢٨، أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/٤٠٧.
(4) الطبري ٥/٥٢٨.
(5) في الأوربية: «وأكثر».
(6) في الأوربية: «وأكثره».
(7) في نهاية الأرب ٢٠/٥١١ «تصريد».
(8) ما بين القوسين من (ب): والأبيات في: نهاية الأرب ٢٠/٥١١، ٥١٢، وفيه قال النويري: «وكثير من الناس يظن أن ابن مسعود المذكور في هذا الشعر هو عبد الله بن أم عبد صاحب رسول الله ﷺ، وليس كذلك.
(9) في الأوربية: «فأقرّه».

دُحْرُوجَة الجُعَل[1]، وكان قصيراً، فمكث ثلاثة أشهر من مهلك يزيد بن معاوية، ثمّ قدِم عليهم عبد الله بن يزيد الخَطْميُّ الأنصاريّ على الصلاة، وإبراهيم بن محمّد بن طَلْحة على الخراج من عند ابن الزُّبير، واستعمل محمّد بن الأشعث بن قيس على الموصل، فاجتمع لابن الزّبير أهلُ الكوفة والبصرة، ومَنْ بالقِبلة من العرب وأهل الجزيرة وأهل الشام، إلّا أهل الأردنّ في إمارة عمر بن عُبيد الله بن مَعْمَر[2].

وكان طاعون الجارف بالبصرة، فماتت أمّه، فما وُجد لها مَنْ يحملها، حتّى استأجروا لها أربعة أعلاج، فحملوها.

ذكر خلاف أهل الرّيّ[3]

في هذه السنة بعد موت يزيد خالف أهلُ الريّ، وكان عليهم الفرُّخان الرّازيّ، فوجّه إليهم عامرُ بن مسعود، وهو أمير الكوفة، محمّدَ بن عُمَير بن عُطارد بن حاجب بن زُرارة بن عُدَس التّميميَّ، فلقِيه أهلِ الرّيّ، فانهزم محمّد، فبعث إليهم عامرٌ عتّابَ بن ورقاء الرياحيَّ التميميَّ، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقُتل الفرُّخان وانهزم المشركون، وكان هذا محمد بن عُمَير مع عليّ بصِفّين على تميم الكوفة، ثمّ عاش بعد ذلك، فلمّا ولِيَ الحجّاجُ الكوفةَ فارقها، وسار إلى الشام لكراهته[4] ولاية الحجّاج[5].

ذكر بيعة مروان بن الحكَم

في هذه السنة بويع مروان بن الحكَم بالشام.

وكان السبب فيها أنّ ابن الزّبير لما بويع له بالخلافة ولّى عبيدَة[6] بن الزبير المدينة، وعبدَ الرحمن بن جَحْدَم الفِهْريَّ مصر، وأخرج بني أميّة ومروان بن الحكَم إلى الشام، وعبد الملك بن مروان يومئذ ابن ثمانٍ وعشرين سنة، فلمّا قدِم الحُصَين بن نُمَير ومَنْ معه إلى الشام، أخبر مروان بما كان بينه وبين ابن الزُّبير، وقال له ولبني أميّة: نراكم في اختلاط، فأقيموا أميركم قبل أن يدخل عليكم شأمكم[7]، فتكون فتنة عمياء صمّاء. وكان

---

(١) وفيه يقول عبد الله بن همّام السلولي:

اشدُد يديك بزيدٍ إنْ ظفِرتَ به ... واشْفِ الأراملَ من دُحروجَة الجُعَلِ

(الطبري ٥/٥٢٩).

(٢) الطبري ٥/٥٢٩، ٥٣٠، نهاية الأرب ٢٠/٥١٢.

(٣) العنوان من (ب).

(٤) في الأوربية: «لإكراهه».

(٥) أنظر الخبر باختصار في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ٣٨، ٣٩.

(٦) في الأوربية: «عبيد الله».

(٧) في الأوربية: «شأنكم».

من رأي مروان أن يسير إلى ابن الزّبير، فيبايعه بالخلافة، فقدِم ابن زياد من العراق، وبلغه ما يريد مروان أن يفعل، فقال له: قد استحييتُ لك من ذلك، أنت كبير قريش وسيّدها تمضي إلى أبي خُبَيْب فتُبايعه، يعني ابن الزّبير، لأنّه كان يكنّى بابنه خُبَيْب! فقال: ما فات شيء بعدُ، فقام معه[1] بنو أميّة ومواليهم، وتجمّع إليه أهل اليمن، فسار إلى دمشق وهو يقول: ما فات شيء بعدُ، فقدِم دمشق والضّحّاك بن قيس قد بايعه أهلها على أن يصلّي بهم، ويقيم لهم أمرهم حتّى يجتمع الناس، وهو يدعو إلى ابن الزّبير سرّاً[2].

وكان زُفَر بن الحارث الكلابيُّ[3] بِقِنَّسرين يبايع لابن الزّبير، والنُّعمان بن بشير بحمص يبايع له أيضاً، وكان حسّان بن مالك بن بَحْدل الكلبيُّ بفلسطين عاملاً لمعاوية، ولابنه يزيد، وهو يريد بني أميّة، فسار إلى الأردنّ، واستخلف على فلسطين رَوْح بن زِنْباع الجُذاميَّ، فثار ناتل بن قيس بِرَوح، فأخرجه من فلسطين، وبايع لابن الزّبير[4].

وكان حسّان في الأردنّ يدعو إلى بني أُميّة، فقال لأهل الأردنّ: ما شهادتكم على ابن الزُّبير وقَتْلى الحَرّة؟ قالوا: نشهد أنّه منافق، وأنّ قتلى الحَرّة في النار. قال: فما شهادتكم على يزيد وقتلاكم بالحَرّة؟ قالوا: نشهد أنّه على الحقّ، وأنّ قتلانا في الجنّة. قال: فأنا أشهد لئن كان يزيد وشِيعته على حقّ، إنّهم اليوم على حقّ، ولئن كان ابن الزُّبير وشيعته على باطل، إنّهم اليوم عليه. قالوا له: صدقتَ، نحن نبايعك على أن نقاتل مَنْ خالفك وأطاع ابن الزّبير، على أن تُجَنِّبنا هذَين الغلامَين، يعنون ابنَيْ يزيد: عبدَ الله وخالداً، فإنّا نكره أن يأتينا الناس بشيخ، ونأتيهم بصبيّ[5].

وكتب حسّان إلى الضّحاك كتاباً يعظّم فيه حقّ بني أميّة وحُسن بلائهم عنده، ويذمّ ابن الزّبير، وأنّه خلع خليفتَين، وأمره أن يقرأ كتابه على الناس، وكتب كتاباً آخر وسلّمه إلى الرسول، واسمه باغضة[6]، وقال له: إن قرأ كتابي على الناس، وإلاّ فاقرأ هذا الكتاب عليهم. وكتب حسّان إلى بني أميّة يأمرهم أن يحضروا ذلك، فقدِم باغضة[6]، فدفع كتاب الضّحّاك إليه وكتاب بني أميّة إليهم، فلمّا كانت الجمعة صعِد الضّحَاك المنبر، فقال له باغضة[6] ليقرأ كتاب حسّان على الناس. فقال له الضّحّاك: اجلسْ، فقام

---

(١) في الأوربية: «فأقام إليه».
(٢) الطبري ٥/٥٣٠.
(٣) في طبعة صادر ٤/١٤٥ «الكلائي».
(٤) الطبري ٥/٥٣١.
(٥) الطبري ٥/٥٣١، ٥٣٢.
(٦) الطبري ٥/٥٣٢ «ناغضة».

إليه الثانية والثالثة وهو يقول له: اجلسْ، فأخرج باغضة الكتاب، وقرأه على الناس، فقال الوليد بن عُتْبَة بن أبي سفيان: صدق حسّان وكذب ابن الزبير، وشتمه.

وقيل: كان الوليد قد مات بعد موت معاوية بن يزيد، وقام يزيد بن أبي الغمس[1] الغسّانيُّ، وسُفيان بن الأبرد الكلبيُّ، فصدّقا حسّاناً وشتما ابن الزُّبير، وقام عَمْرو بن يزيد الحكميُّ، فشتم حسّاناً وأثنى على ابن الزّبير، فأمر الضحّاك بالوليد ويزيد بن أبي الغمس[1] وسُفيان فحبُسوا، وجال الناس، ووثبت كلْب على عَمْرو بن يزيد الحكميّ، فضربوه ومزّقوا[2] ثيابه، وقام خالد بن يزيد فصعِد مرقاتَين من المنبر، وسكّن الناس، ونزل الضّحّاك فصلّى الجمعة، ودخل القصر. فجاءت كلب فأخرجوا سُفيان، وجاءت غسّان فأخرجوا يزيد، وجاء خالد بن يزيد وأخوه عبد الله، معهما أخوالهما من كلب، فأخرجوا الوليد بن عُتْبَة، وكان أهل الشام يسمّون ذلك اليوم يوم جَيرون الأوّل[3].

ثمّ خرج الضّحّاك إلى المسجد، فجلس فيه، وذكر يزيد بن معاوية فسبّه، فقام إليه شابٌ من كلب، فضربه بعصاً، فقام الناس بعضهم إلى بعض فاقتتلوا، قيس تدعو إلى ابن الزّبير ونُصرة الضّحّاك، وكلب تدعو إلى بني أُميّة، ثمّ إلى خالد بن يزيد لأنّه ابن أختهم.

ودخل الضّحّاك دار الإمارة، ولم يخرج من الغد إلى صلاة الفجر، وبعث إلى بني أُميّة، فاعتذر إليهم، وأنّه لا يريد ما يكرهون، وأمرهم أن يكتبوا إلى حسّان، ويكتب معهم ليسير من الأردنّ إلى الجابية، ويسيرون هم من دمشق فيجتمعون معه بالجابية، ويبايعون لرجل من بني أُميّة، فرضوا وكتبوا إلى حسّان، وسار الضّحّاك وبنو أُميّة نحو الجابية، فأتاه ثَوْر بن مَعن السُّلَميُّ فقال: دعوتَنا إلى ابن الزّبير فبايعناك على ذلك، وأنت تسير إلى هذا الأعرابيّ من كلب تستخلف ابن أخته خالد بن يزيد! قال الضّحّاك: فما الرأي؟ قال: الرأي أن تُظْهر ما كنّا نكتم، وتدعو إلى ابن الزُّبير.

فرجع الضّحّاك ومَن معه من الناس، فنزل بمرج راهط ودمشق بيده، واجتمع بنو أميّة وحسّان وغيرهم بالجابية، فكان حسّان يصلّي بهم أربعين يوماً، والناس يتشاورون، وكان مالك بن هُبَيرة السَّكونيُّ يهوى خالد بن يزيد، (والحُصَين بن نُمَير يميل إلى مروان، فقال مالك للحصين: هل نبايع هذا الغلام الذي نحن ولدنا أباه، وقد عرفت منزلتنا)[4]

---

(١) في (ب): «النمس».
(٢) في (ر) والطبري ٥/٥٣٣ «وخرّقوا».
(٣) الطبري ٥/٥٣٣.
(٤) ما بين القوسين من (ب).

من أبيه، فإنّه يحملنا على رقاب العرب غداً؟ يعني خالداً. فقال الحُصَين: لا والله لا تأتينا العرب بشيخ ونأتيها بصبيّ. فقال مالك: واللّهِ لئن استخلفت مروان ليحسدك على سوطك، وشِراك نَعْلك، وظلّ شجرةٍ تستظلّ بها، إنّ مروان أبو عشيرة وأخو عشيرة، فإنْ بايعتموه كنتم عبيداً لهم، ولكنْ عليكم بابن أختكم، فقال الحصين[1]: إنّي رأيتُ في المنام قنديلاً معلّقاً من السماء، وأنّ مَن يلي الخلافة يتناوله، فلم ينلْهُ أحد إلّا مروان، والله لنستخلفنّه.

وقام رَوْح بن زِنباع الجُذاميُّ فقال: أيّها الناس إنّكم تذكرون عبدَ الله بن عمر، وصُحْبته وقِدَمه في الإسلام، وهو كما تذكرون، ولكنّه ضعيف، وليس بصاحب أمّة محمد الضعيفُ، وتذكرون ابن الزُّبير، وهو كما تذكرون أنّه ابن حواريّ رسول الله ﷺ، وأنّه ابن ذات النطاقَين، ولكنّه منافق قد خلع خليفتَين: يزيدَ وابنَهُ معاويةَ، وسفك الدّماء، وشقّ عصا المسلمين، وليس المنافق بصاحب أمّة محمد، وأمّا مروان بن الحكَم فوالله ما كان في الإسلام صَدْعٌ إلّا كان ممّن يشعبه، وهو الذي قاتل عليّ بن أبي طالب يوم الجمل، وإنّا نرى للناس أن يبايعوا الكبير ويستشيروا[2] الصغير، يعني بالكبير مروان، وبالصغير خالد بن يزيد.

فاجتمع رأيهم على البيعة لمروان بنِ الحكَم، ثمّ لخالد بن يزيد، ثمّ لعَمرو بن سعيد بن العاص من بعد خالد، على أنّ إمرة دمشق لعَمرو، وإمرة حِمْص لخالد بن يزيد.

فدعا حسّان خالداً فقال: يا ابن أختي إنّ الناس قد أَبَوْك لحداثة سنّك، وإنّي والله ما أريد هذا الأمر إلّا لك ولأهل بيتك، وما أبايع مروان إلّا نظراً لكم. فقال خالد: بل عجزتَ عنّا. قال: والله ما عجزتُ عنكم، ولكنّ الرأي لك ما رأيت.

ثمّ بايعوا مروان لثلاثٍ خَلَوْن من ذي القعدة سنة أربعٍ وستّين؛ وقال مروان حين بويع له:

لمّا رأيتُ الأمرَ أمراً نَهْبَا ... يَسَّرْتُ غَسّانَ[3] لهُمْ وكلْبَا
والسَّكْسَكيّينَ رجالاً غُلْبَا ... وطَيِّئاً تأباهُ إلّا ضَرْبا[4]

---

(١) في الأصل: «فقال ابن الحصين».

(٢) في (ر) «ويستنبوا».

(٣) في الأوربية: «سرتُ عناة».

(٤) في الأوربية: «وطيّاً يأبا إلّا ضرْبا».

والقَين تمشي في الحديد نُكْبَا ومن تنوخ مُشمَخِراً[1] صَعبَا
لا يأخذونَ المُلكَ إلاّ غَصْبَا فإنْ دنتْ قيسٌ فقلْ لا قُربَا[2]

(خُبَيْب: بضمّ الخاء المعجمة، وفتح الباء الموحّدة، وسكون الياء تحتها نقطتان، وآخره باء موحدة).

ذكر وقعة مرج راهط وقتْل الضّحّاك والنُّعمان بن بشير

ثمّ إنّ مروان لما بايعه الناس سار من الجابية إلى مرج راهط، وبه الضّحّاك بن قيس، ومعه ألف فارس، وكان قد استمدّ الضّحّاكُ النعمانَ بن بشير وهو على حِمْص، فأمدّه بشُرَحْبيل بن ذي الكَلاع، واستمدّ أيضاً زُفَر بن الحارث وهو على قِنّسرين، فأمدّه بأهل قِنّسرين، وأمدّه ناتل بأهل فلسطين، فاجتمعوا عنده، واجتمع على مروان كلب وغسّان والسَّكاسك والسَّكون، وجعل على ميمنته عَمرو بن سعيد، وعلى ميسرته عُبيد الله بن زياد، وكان يزيد بن أبي الغمس[3] الغسّاني مختفياً بدمشق لم يشهد الجابية، فغلب على دمشق، وأخرج عامل الضّحّاك بن قيس، وغلب على الخزائن وبيت المال، وبايع لمروان وأمدّه بالأموال والرجال والسلاح، فكان أوّل فتحٍ على بني أميّة.

وتحارب مروان والضّحّاك بمرج راهط عشرين ليلة، واقتتلوا قتالاً شديداً، فقُتل الضّحّاك، قتله دِحْية بن عبد الله، وقُتل معه ثمانون رجلاً من أشراف أهل الشام، وقُتل أهل الشام مقتلةً عظيمة، وقُتلت قيس مقتلة لم يُقتل مثلها في موطن قطّ، وكان فيمَنْ قُتل هانىء بن قَبيصة النُّميريُّ سيّد قومه، كان مع الضّحّاك، قتله وازع بن ذؤالة الكلبيُّ، (فلمّا سقط جريحاً قال:

تَعِستَ ابن ذات النَّوْف أجهِزْ على فتًى[4] يرَى الموْتَ خيراً مِن فرارٍ وألْزَمَا
ولا تتركَنّي بالحُشاشةِ إنّني صَبورٌ إذا [ما] النِّكس مثلكَ أحجَمَا

فعاد إليه وازع فقتله)[5].

---

(1) في الأوربية: «مشمخرّ».
(2) الأبيات من (ب)، وهي عند الطبري ٥/٥٣٨، وفي مروج الذهب ٣/٩٦ باختلاف واضح.
(3) في (ب): «النمس».
(4) في الأوربية: «فيء».
(5) ما بين القوسين من (ب)، والبيتان في: أنساب الأشراف ٥/١٣٧ هكذا:
ألا يا ابن ذات النوف أجهز على امرىءٍ يرى الموت خيراً من فرارٍ وأكرما
ولا تتركنّي بالحُشاشة أنّني أكُرُّ إذا ما الناس مثلُك أحجما

وكانت الوقعة في المحرّم سنة خمس وستّين، وقيل: بل كانت في آخر سنة أربعٍ وستّين[1].

ولما رأى مروان رأس الضحّاك ساءه ذلك وقال: الآن حين كَبِرتْ سنّي، ودقّ عظمي، وصرتُ في مثل ظِمْء[2] الحمار، أقبلتُ بالكتائب أضرب بعضها ببعض![3]

ولما انهزم الناس من المرج لحِقوا بأجنادهم، فانتهى أهلُ حِمْص إليها وعليها النُّعمان بن بَشير، فلمّا بلغه الخبر خرج هارباً ليلاً ومعه امرأته نائلة بنت عُمارة الكلبيّة وثَقَله وأولاده، فتحيّر ليلته كلّها، وأصبح أهل حمص فطلبوه، وكان الذي طلبه عَمرو بن الجليّ[4] الكَلاعيُّ، فقتله، وردّ أهله والرأس معه، وجاءت كلب من أهل حمص، فأخذوا نائلة وولدها معها.

ولما بلغت الهزيمةُ زُفَرَ بن الحارث الكلابيَّ بقِنّسرين، هرب منها فلحِق بقَرْقِيسيا، وعليها عِياض الحَرَشيُّ[5]، وكان يزيد ولّاه إيّاها، فطلب منه أن يدخل الحمّام، ويحلف له بالطّلاق والعتاق، على أنّه حينما[6] يخرج من الحمّام لا يقيم بها، فأذِن له، فدخلها فغلب عليها وتحصّن بها، ولم يدخل حمّامها، فاجتمعت إليه قيس.

وهرب ناتل بن قيس الجُذاميُّ عن فلسطين، فلحِق بابنَ الزُّبير بمكّة، واستعمل مروانُ بعده على فلسطين رَوْح بن زِنْباع، واستوثَق[7] الشام لمروان، واستعمل عمّاله عليها[8].

وقيل: إنّ عبيد الله بن زياد إنّما جاء إلى بني أُميّة وهم بتَدْمُر، ومروان يريد أن يسير إلى ابن الزّبير ليبايعه، ويأخذ منه الأمان لبني أميّة، فردّه عن ذلك، وأمره أن يسير بأهل تدمر إلى الضّحّاك فيقاتله، ووافقه عَمْرو بن سعيد، وأشار على مروان بأن يتزوّج أمّ خالد بن يزيد، ليسقط من أعيُن الناس، فتزوّجها، وهي فاختة ابنة أبي هاشم بن عُتْبة، ثمّ جمع بني أُميّة فبايعوه، وبايعه أهل تدمر، وسار إلى الضّحّاك في جمْعٍ عظيم، فخرج الضّحّاك إليه فتقاتلا، فانهزم الضّحّاك ومَنْ معه، وقُتل الضّحّاك[9].

---

(1) طبقات ابن سعد ٧/٤١١.

(2) في الأوربية: «طمّ». (أي لم يبقَ من عمره إلّا اليسير، يقال إنّه ليس شيء من الدوابّ أقصر ظمأ من الحمار).

(3) الطبري ٥/٥٣٥ - ٥٣٨.

(4) في (ر): «الجبل»، وفي تاريخ الطبري ٥/٥٣٩ «الخليّ».

(5) الطبري «الجُرَشي»، والمثبت يتفق مع تاريخ اليعقوبي ٢/٢٥٦.

(6) في الأوربية: «لما».

(7) في (ر): «واستوسق»، ومعناها: اجتمع.

(8) الطبري ٥/٥٣٩، ٥٤٠، وانظر تاريخ اليعقوبي ٢/٢٥٦، ٢٥٧.

(9) الطبري ٥/٥٤٠، ٥٤١.

وسار زُفر بن الحارث إلى قَرقيسيا، واجتمعت عليه قيس، وصَحِبه في هزيمته إلى قرقيسيا شابّان من بني سُلَيم، فجاءت خيل مروان تطلبهم، فقال الشابّان لزُفر: انجُ بنفسك، فإنّا نحن نُقْتَل، فمضى زُفَر وتركهما فقُتلا؛ (وقال زُفر في ذلك:

أريني سلاحي لا أبا لكِ إنّني ... أرى[1] الحرْبَ لا تزدادُ إلّا تماديَا

أتاني عن مروانَ بالغيبِ أنّهُ ... مُقيدٌ دمي أوْ قاطعٌ مِن لِسانِيَا

ففي العِيس[2] منجاةٌ وفي الأرض مهرَبٌ ... إذا نحنُ رَفّعنا لهنّ المَثانِيَا[3]

فلا تحسِبوني إنْ تَغَيّبتُ غافِلاً ... ولا تَفرَحوا إنْ جئتُكم بلِقائِيَا

فقد ينبتُ المرعى على دِمَن الثّرَى ... له وَرَقٌ من تحتِهِ الشّرُّ بادِيَا

ونَمضي ولا يبقى على الأرض دمنةٌ ... وتبقى حزازاتُ النّفوس كما هِيَا[4]

لَعَمْري لقد أبقتْ وقيعةُ راهِطٍ ... لحسّانَ صَدْعاً بَيّناً مُتَنائِيَا[5]

فلم تُرَ منّي نَبوَةٌ[6] قبلَ هذهِ ... فِراري وتَرْكي صاحبَيّ ورائِيَا

عَشيّةَ أدعو في القِرانِ[7] فلا أرَى ... مِنَ النّاسِ إلّا مَن عَليّ وَلا ليَا

أيَذهَبُ يَوْمٌ واحدٌ إنْ أسأتُهُ ... بصالحِ أيّامي وحُسنِ بَلائِيَا

فلا صُلْحَ حتى تَنْحِطَ[8] الخيلُ بالقَنَا ... وتثأرَ من نسوان كلْبٍ نِسائِيَا

ألا لَيتَ شِعْري هل تُصِيبَنّ غارَتي ... تَنُوخاً وَحَيّي طيّءٍ من شِفائِيَا[9]

---

(١) في الأوربية: «إذا».

(٢) في الأوربية: «العيش».

(٣) في الأوربية: «المبانيا».

(٤) في تاريخ الطبري:

فقد ينبت المرعى على دِمَن الثرى ... وتبقى حزازات النفوس كما هِيا

أتذهب كلبٌ لم تنلْها رِماحنا ... وتترك قتلى راهط هي ماهيا

(٥) في الأوربية: «مُتَبائِنَا»، وفي الطبري بيت بعده:

أبَعْد ابن عمرٍو وابن معنٍ تتابعا ... ومقتل همّامٍ أُمَنّي الأمانيا

(٦) في العقد الفريد: «زلّة».

(٧) الطبري: «عشيّة أعدو بالقِران»، وفي الحماسة بشرح التبريزي «عشية أجري بالصعيد ولا أرى».

(٨) في الأوربية: «شحط».

(٩) في الأوربية:

ألا ليت شعري هل تفتنين غارتي ... منوحاً واحبي طيّء من سقائيا

والأبيات في: تاريخ الطبري ٥/٥٤١، ٥٤٢، وفي تهذيب تاريخ دمشق ٥/٣٨٠ تسعة أبيات، وثلاثة أبيات في الجزء السابع - ص ٤١٥، وأربعة أبيات في الأغاني ١٩/١٩٦، ١٩٧، وثمانية أبيات في مروج الذهب ٣/٩٦، وسبعة في التنبيه والإشراف ٢٦٨، وهي في: «ديوان الحماسة» بشرح التبريزي ١/١٥٣. وتاريخ خليفة ٢٦٠، والعقد الفريد ٤/٣٩٧، وثلاثة أبيات في: تاريخ دمشق ٤٧٥، وكلها في =

فأجابه جَوّاس بن القَعْطَل[1]:

لَعَمْري لقد أبقَتْ وقيعةُ راهِطٍ ... على زُفَرٍ مُرّاً منَ الدّاءِ باقِيا[2]

مقيماً ثَوَى بينَ الضّلوعِ مَحَلّهُ ... وبينَ الحشا أعيا الطّبيبَ المداوِيا

تُبَكِّي على قَتْلَى سُلَيْمٍ وعامِرٍ ... وذُبْيانَ مَعذوراً[3] وتُبْكي البَواكِيا

دعا بالسِّلاحِ[4] ثمّ أحجمَ إذْ رَأى ... سيوفَ جنابٍ والطِّوالَ المذاكِيا

علَيها كأُسْدِ الغابِ فِتيانُ نَجْدَةٍ ... إذا شرَعوا نحوَ الطِّعانِ[5] العوالِيا[6]

وقال عَمْرو بن الجليّ الكلبيُّ:

بكى زُفَرُ القَيْسيُّ[7] من هُلْكِ قومِهِ ... بعَبرَةِ عَينٍ ما يَجِفّ سُجُومُها

يُبكّي[8] على قَتْلَى أُصيبَتْ براهِطٍ ... تجاوِبُهُ هامُ القِفارِ وبُومُها

أَبَحْنا[9] حِمًى للحَيّ قيسٍ براهِطٍ ... وولّتْ شِلالاً واستُبيحَ حَريمُها

يُبكّيهمُ حرّانَ تجري دُمُوعُهُ ... يُرجّيْ[10] نِزاراً أن تؤوبَ حُلومُها

فمُتْ كَمَداً أوْ عِشْ ذَليلاً مهضّماً ... بحسرَةِ نَفسٍ لا تَنامُ هُمومُها

في أبيات[11].

(يزيد بن أبي الغمس[12]: بالسّين المهملة، وقيل بالشين المعجمة، وكان قد ارتدّ

= نهاية الأرب ٢١/٩٢، ٩٣ وسبعة أبيات في أنساب الأشراف ٥/١٤١، ١٤٢.

(١) في الأغاني: ابن المِخْلاة الكلبي.

(٢) في: تاريخ الطبري، والتنبيه والإشراف، والأغاني:

على زُفَر داءً من الداء باقيا

(٣) في الأغاني «مغروراً».

(٤) الطبري: دعا بسلاح، وكذا في: التنبيه والإشراف.

(٥) في الأوربية: «الطوال».

(٦) في التنبيه والإشراف: «إذا ما انتضوا عند النزال العواليا»، والأبيات عند الطبري ٥/٥٤٢، ٥٤٣، وكلها ما عدا الثالث في: التنبيه والإشراف ٢٦٨، والبيتان الأول والثالث في الأغاني ١٩/١٩٧، وكلها في نهاية الأرب ٢١/٩٣، وفي أنساب الأشراف ٥/١٤٢ دون الثاني.

(٧) في الأوربية: «لقيس».

(٨) في الأوربية: «نُبكّي».

(٩) في الأوربية: «أبحي».

(١٠) في الأوربية: تُبكّيهم حرّان تجري دموعها ... تُرَجّى

(١١) الطبري ٥/٥٤٢، ٥٤٣ وفيه بيتان آخران.

(١٢) في (ب): «النمس».

عن الإسلام ودخل الرومَ مع جَبَلة بن الأيْهم، ثمّ عاود الإسلام، وشهد صِفّين مع معاوية، وعاش إلى أيّام عبد الملك بن مروان وناتل: بالنّون، والتّاء المعجمة من فوق باثنتين).

ذكر فتح مروان مصر

فلمّا قُتل الضّحّاك وأصحابه، واستقرّ الشام لمروان سار إلى مصر، فقدِمَها وعليها عبد الرحمن بن جَحْدم القُرَشيّ يدعو إلى ابن الزُّبير، فخرج إلى مروان فيمَن معه، وبعث مروان عَمْرو بن سعيد من ورائه حتّى دخل مصر، فقيل لابن جَحْدَم ذلك، فرجع وبايع الناس مروان ورجع إلى دمشق. فلمّا دنا منها بلغه أنّ ابن الزّبير قد بعث إليه أخاه مُصْعَباً في جيش، فأرسل إليه مروان عَمْرو بن سعيد قبل أن يدخل الشام، فقاتله، فانهزم مُصْعَب وأصحابه، وكان مُصْعَب شجاعاً. ثمّ عاد مروان إلى دمشق واستقرّ بها[1].

وقد كان الحُصَين بن نُمَير، ومالك بن هُبَيرة قد اشترطا على مروان شروطاً لهما ولخالد بن يزيد، فلمّا توطّن مُلْكه قال ذات يوم ومالك عنده: إنّ قوماً يدّعون شروطاً، منهم عطّارة مكحلة، يعني مالكاً، وكان يتطيّب ويتكحّل[2]، فقال مالك: هذا ولمّا تَرِدِي تِهامة ويبلغ الحِزامُ الطُّبْيين. فقال مروان: مهلاً يا أبا سليمان، إنّما داعبناك! فقال: هو ذاك[3].

ذكر بيعة أهل خُراسان سَلْم[4] بن زياد وأمر عبد الله بن خازم

ولما بلغ سَلْمَ بن زياد، وهو بخُراسان، موتُ يزيد كتم ذلك؛ (فقال ابن عَرادة:

يا أيّها الملكُ المغلّقُ بابَهُ ... حَدَثَتْ أُمورٌ شأنُهُنّ عظيمُ
قَتْلَى بحَرّةَ[5] والذينَ بكابُلٍ ... ويزيدُ أُعْلِنَ شأنُهُ[6] المَكتومُ
أَبَني أُمَيّةَ إنّ آخرَ مَلْكِكُمْ ... جسَدٌ بحُوّارينَ ثَمّ مُقيمُ
طَرَقَتْ مَنِيّتُهُ وعندَ وِسادِهِ ... كُوبٌ وزِقٌّ راعِفٌ مرثومُ[7]

---

(١) نهاية الأرب ٢١/٩٤.
(٢) في الطبري: «ويكتحل».
(٣) الطبري ٥/٥٤٤.
(٤) العنوان حتى هنا من نسخة (شفر) ورقة ٩٥.
(٥) الطبري: «بجُنْزة».
(٦) في الأوربية: «أغلق بابه».
(٧) في الأوربية: «مرقوم».

ومُـرِنَّـةٌ[1] تَبكي على نَشـوانِـهِ　　بـالصّبـح تقعـدُ مـرّةً[2] وتَـقومُ[3]

فلمّا أظهر شِعره أظهر سلْمٌ مـوتَ يزيـد بن معاويـة وابنه معـاوية بن يـزيد[4]، ودعـا الناس إلى البيعة على الرضى حتّى يستقيم أمر الناس على خليفة، فبايعوه ثمّ نكثوا به بعد شهـرين، وكان مُحسِنـاً إليهم محبوبـاً فيهم، فلمّا خُلع عنهم استخلف عليهم المهلّب بن أبي صُفْرة، ولما كان بسَرْخَس لِقيه سليمان بن مَرْثَد، أحـد بني قيس بن ثعلبة بن ربيعـة، فقال له: ضاقتْ عليك نـزار حتّى خلّفتَ على خُراسـان رجلاً من اليمن؟ يعني المهلّب، وكـان أزْديّاً والأزْد من اليمن، فـولاّه مَرْوَ الـرُّوذ والفاريـاب والطّالَقـان والجُوزجـان، وولّى أوْس بن ثعلبة بن زُفَر، وهو صاحب قصر أوس بالبصـرة، هَراة، فلمّـا وصلِ إلى نَيْسـابور لقِيه عبد الله بنِ خازم فقال: مَنْ ولّيتَ خراسان؟ فأخبره، فقال: أما وجـدتَ في المصر[5] من تستعمله حتّى فـرّقتَ خُـراســان بين بكـر بن وائــل واليمن[6]؟ اكتبْ لي عهـداً على خُراسان. فكتب له وأعطاه مائة ألف درهم.

وسـار ابن خازم إلى مَـرْو، وبلغ خبـرُه المهلّبَ، فـأقبـل واستخلف رجـلاً من بني جُشَم بن سعد بن زيد مَناة بن تميم، فلمّا وصلها ابن خازم منعه الجُشَميُّ، وجرتْ بينهمـا مناوشة، فأصابت الجُشَميَّ رميةٌ بحجر في جبهته، وتحاجـزوا، ودخلها ابن خـازم، ومات الجُشَميُّ بعد ذلك بيومَين[7].

ثمّ سار ابن خازم إلى سليمان بن مَرْثَد بمَرْو الرُّوذ، فقاتلـه أيّامـاً فقُتل سليمـان، ثمّ سار إلى عَمْرو بن مَـرْثد وهـو بالـطّالَقان، فـاقتتلوا طويـلاً، فقُتلِ عَمْـرو بن مَرْثـد، وانهزم أصحابه، فلحِقوا بهَراة بأوْس بن ثعلبة، ورجع ابن خازم إلى مَـرْو، وهرب مَنْ كـان بمَرْو الـرُّوذ من بكر بن وائـل إلى هَراة، وانضمّ إليهـا مَنْ كان بكُـوَر خُرَاسـان من بكـر، وكثُـر جَمْعُهم، وقـالوا لأوْس بن ثعلبـة: نبايعـك على أن تسير إلى ابن خـازم وتُخْرج مُضَـر من خُراسان، فأبَى عليهم، فقال له بنو صُهَيب، وهم موالي بني جَحْدم: لا نـرضى أن نكون نحن ومُضَر في بلدٍ واحد، وقد قتلوا سليمان وعَمراً ابنَيْ مَرْثـد، فإمّـا أن تبايْعنـا على هذا وإلاّ بـايعنا غيـرك. فأجـابهم، فبايعـوه، فسار إليهم ابن خـازم، فنزل على وادٍ بينـه وبين

---

(١) في الأوربية: «ومرمّة».

(٢) الطبري: «بالصُّنج تقعد تارةً».

(٣) الطبري ٥/٥٤٥، نهاية الأرب: ٢/٥١٢، ٥١٣.

(٤) العبارة في (ب): «وبعد مدة أظهر موت يزيد وابنه معاوية».

(٥) الطبري ٥/٥٤٦ «في مُضر».

(٦) الطبري: «ومَزُون عمان».

(٧) الطبري ٥/٥٤٦، نهاية الأرب ٢٠/٥١٣.

هَراة، فأشار البكريّون بالخروج من هَراة وعَمَل خندق، فقال أوْس: بل نلزم المدينة، فإنّها حصينة، ونطاول ابن خازم ليضْجَر ويُعطينا ما نريد. فأبَوا عليه، فخرجوا وخندقوا خندقاً، وقاتلهم ابن خازم نحو سنة[1]، وقال له هلال الضَّبّيُّ: إنّما تقاتل إخوتك وبني أبيك، فإنْ نلتَ منهم الّذي تريد فما في العيش خير، فلو أعطيتَهم شيئاً يرضون به وأصلحتَ هذا الأمر. قال: والله لو خرجنا لهم من خُراسان ما رضوا. قال هلال: والله لا أقاتل معك أنا ولا رجل، أو تُطيعني حتّى تعتذر إليهم. قال: فأنت رسولي إليهم فأرضِهم.

فأتَى هلالٌ أوسَ بن ثعلبة، فناشده اللّهَ والقرابةَ في نزار، وأن يحفظ ولاءها[2]. فقال: هل لقيتَ بني صُهَيْب؟ قال: لا. قال: فالقَهم. قال: فخرج فلقي جماعة من رؤساء أصحابه، فأخبرهم ما أتَى له. فقالوا له: هل لقيت بني صُهيب؟ فقال: لقد عظُم أمر بني صُهَيب عندكم، فأتاهم فكلّمهم، فقالوا: لولا أنّك رسول لقتلناك. قال: فهل يرضيكم شيء؟ قالوا: واحدة من اثنتَين: إمّا أن تخرجوا من خُراسان، وإمّا أن تقيموا وتخرجوا لنا عن كلّ سلاحٍ وكُراعٍ وذهب وفضّة.

فرجع إلى ابن خازم، فقال: ما عندك؟ فأخبره. فقال: إنّ ربيعة لم تزل غِضاباً على ربّها منذ بعث نبيّه من مُضر[3]. وأقام ابن خازم يقاتلهم، فقال يوماً لأصحابه: قد طال مُقامنا، وناداهم: يا معشر ربيعة أرَضِيتم من خراسان بخندقكم! فأحفظهم ذلك، فتنادوا للقتال، فنهاهم أوْس بن ثعلبة عن الخروج بجماعتهم، وأن يقاتلوا كما كانوا يقاتلون، فعَصَوْه. فقال ابن خازم لأصحابه: اجعلوه يومكم، فيكون الملك لمَن غلب، وإذا لقيتم الخيل فاطعنوها في مناخرها. فاقتتلوا ساعة، وانهزمت بكر بن وائل حتّى انتهوا إلى خندقهم، وتفرّقوا يميناً وشمالاً، وسقط الناس في الخندق، وقُتلوا قتلاً ذريعاً، وهرب أوْس بن ثعلبة إلى سِجِسْتان، فمات بها أو قريباً منها، وقُتلٍ من بكر يومئذٍ ثمانية آلاف، وغلب ابن خازم على هَراة، واستعمل عليها ابنَه محمّداً، وضمّ إليه شمّاس بن دِثار العُطارديَّ، وجعل بُكَير بن وَسّاج الثّقفيَّ على شُرطته، ورجع ابن خازم إلى مَرْو.

وأغارت التُّرْك على قصر اسغاد، وابن خازم على هَراة، وكان فيه ناس من الأزد، فحصروهم، فأرسلوا إلى ابن خازم، فوجّه إليهم زُهَير بن حَيّان في بني تميم، وقال له: إيّاك ومناوأة التُّرْك، إذا رأيتموهم فاحملوا عليهم. فوافاهم في يومٍ بارد، فلمّا التقوا حمل

---

(١) الطبري ٥/٥٤٦ ـ ٥٤٨.

(٢) في (ر): «دماءها».

(٣) الطبري ٥/٥٤٨، نهاية الأرب ٢٠/٥١٤، ٥١٥.

عليهم، فانهزمت التُّركُ، واتّبعوهم حتّى مضى عـامّة اللّيـل، فرجـع زهير وقـد يبست يده على رُمحه من البرد، فجعلوا يسخنون الشَّحْم، فيضعه على يده ودهنوه، وأوقدوا له ناراً، فانتفخت يده، ثمّ رجع إلى هَراة؛ (فقال في ذلك ثابت قُطْنَة[1]:

فَـدَتْ نَـفسـي فـوارِسَ مـن تَـمـيـمٍ ... على مـا كـان من ضَـنْـكِ المُـقـامِ
بـقَـصـرِ الـبـاهـليّ وقَـد أرانـي ... أُحـامي حينَ قَـلّ بـهِ المُـحـامي
بسَيفي بَعْـدَ كسـرِ الـرُّمْـح فيهـمْ ... أذودُهُـمُ بـذي شُـطَبٍ حُـسـامِ
أكُـرُّ عـلَيـهـمُ الـيَـحـمـومَ كَـرّاً ... كـكَـرِّ الشَّـرْبِ آنـيَـةَ الـمُـدامِ
فـلَوْلا الـلّهُ لـيسَ لـهُ شَـريـكٌ ... وضـرْبي قَـوْنَسَ[2] المَلكِ الهُـمَـامِ
إذاً فـاظـتْ[3] نِـسـاءُ بَـنـي دِثَـارٍ ... أمـامَ الـتُّـرْكِ بـاديـةَ الـخِـدامِ[4]) [5]

ذكر أمر التوّابين

قيل: لما قُتل الحسين ورجع ابن زياد من معسكره بالنّخَيْلَة ودخل الكـوفة تـلاقت[6] الشيعة بالتّلاوم والتندُّم[7]، ورأت أن قـد أخطأت خـطأً كبيراً بـدعائهم الحسين، وتـرْكهم نُصْرته وإجابته، حتّى قُتـل إلى جانبهم، ورأوا أنّـه لا يغسل عـارهم والإثم عليهم إلاّ قتْل مَنْ قتله أو القتـل فيهم، فـاجتمعـوا بـالكـوفـة إلى خمسـة نفـرٍ من رؤسـاء الشيعـة: إلى سليمان بن صُرَد الخُزاعيّ، وكانت له صُحبة، وإلى المُسيّب بن نَجَبة الفزاريّ، وكان من أصحاب عليّ، وإلى عبد الله بن سعد بن نُفَيْل[8] الأزديّ، وإلى عبد الله بن والٍ التَّيميّ، تيم بكر بن وائل، وإلى رِفاعة بن شدّاد البَجَليّ، وكانوا من خيار أصحاب عليّ، فاجتمعوا في منزل سليمان بن صُرَد الخزاعيّ، فبدأهم المسيّب بن نَجَبة فقال بعد حمد الله:

أمّـا بعدُ فـإنّا ابتُلينـا بطول العُمـر، والتعرُّض لأنـواع الفِتَن، فنرغب إلى ربّنـا أن لا يجعلنا ممّنْ يقول له غداً: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّـرَ﴾[9]، فإنّ أميـر المؤمنين

---

(١) في الأوربية: «ثابت بن قطبة».
(٢) في نسخة (آ): «قيرنس».
(٣) في الأوربية: «فاضت».
(٤) في الأوربية: «الخدام».
(٥) ما بين القوسين من (ب)، والأبيات عند الطبري ٥/٥٤٩، ٥٥٠.
(٦) في الأوربية: «تلاقته».
(٧) في الأوربية: «والمنادمة»، وفي مروج الذهب ٣/١٠٠ «والتنادم»؛ وفي الفتوح لابن أعثم ٦/٤٧ «الندم».
(٨) في (ب): نوفل.
(٩) سورة فاطر، الآية ٣٧.

عليّاً قال: العُمر الذي أعذر اللّـهُ فيه إلى ابن آدم ستّون سنة، وليس فينا رجل إلاّ وقد بلغه، وقد كنّا مُغْرَمين[1] بتزكية أنفُسِنا، فوجَدَنا اللّهُ كاذبين في كلّ موطنٍ من مواطن ابن بنت نبيّه[2] ﷺ، وقد بلغنا[3] قبل ذلك كُتُبه ورُسُلُه، وأعذر إلينا، فسألنا[4] نصره عَوْداً وبدءاً وعلانيةً[5]، فبخِلْنا عنه بأنفسنا، حتّى قُتل إلى جانبنا، لا نحن نصرناه بأيدينا، ولا جادلْنا[6] عنه بألسنتنا، ولا قوّيناه بأموالنا، ولا طلبنا له النُّصْرة إلى عشائرنا، فما عُذرنا عند ربّنا، وعند لقاء نبيّنا، وقد قُتل فينا ولد حبيبه[7]، وذُرّيّته ونسله؟ لا واللّهِ لا عُذْر دون أن تقتلوا قاتله والمُوالين عليه، أو تُقْتَلوا في طلب ذلك، فعسى ربّنا أن يرضى عنّا عند ذلك، (ولا أنا[8] بعد لقائه لعقوبته بآمن)[9]. أيّها القوم ولّوا عليكم رجلاً منكم، فإنّه لا بدّ لكم من أميرٍ تفزعون إليه، وراية تحفّون بها[10].

وقام رِفاعة بن شدّاد وقال: أمّا بعدُ، فإنّ الله قد هداك لأصوب القول، وبدأتَ بأرشد الأمور[11] بدُعائك إلى جهاد الفاسقين، وإلى التّوبة من الذَّنْب العظيم، فمسموعٌ منك، مستجابٌ إلى قولك[12]، وقلتَ: ولّوا أمركم رجلاً تفزعون إليه، وتحفّون برايته، وقد رأينا مثل الذي رأيتَ، فإن تكنِ أنتَ ذلك الرجل تكن عندنا مرضيّاً، وفينا منتصحاً، وفي جماعتنا محبوباً[13]، وإن رأيتَ ورأى[14] أصحابنا ذلك، ولّينا هذا الأمر شيخَ الشّيعة وصاحبَ رسول الله ﷺ، وذا السّابقة والقَدَم سليمان بن صُرَد الخزاعيَّ، المحمود في بأسه ودينه، الموثوق[15] بحزمه[16].

---

(1) في الأوربية: «معزمين».
(2) الطبري ٥٥٢/٥ «ابن ابنة نبيّنا».
(3) الطبري «بلغتنا».
(4) الطبري: «يسألنا».
(5) زاد الطبري: «وسرّاً».
(6) في (ر): «خذلنا».
(7) الطبري: «ولده وحبيبه».
(8) في (آ): «ولما أتى»، و(ر): «ولا أنار».
(9) ما بين القوسين من (ب).
(10) الطبري ٥٥٢/٥، ٥٥٣.
(11) الطبري: «ودعوت إلى أرشد الأمور».
(12) الطبري: «مستجاب لك، مقبول قولك».
(13) الطبري: «محبّاً».
(14) الطبري: «وإن رأيت رأى».
(15) في (ر): «الموقوف».
(16) الطبري ٥٥٣/٥.

وتكلّم عبد الله بن سعد بنحو ذلك، وأثنيا على المسيّب وسليمان. فقال المسيّب: قد أصبتم، فولّوا أمركم سليمان بن صُرَد.

فتكلّم سليمان، فقال بعد حمد الله: أمّا بعدُ، فإنّي لخائف ألّا يكون آخرنا إلى هذا الدّهر الذي نكدتْ فيه المعيشة، وعظُمت فيه الرّزيّة، وشَمِل فيه الجورُ أولي الفضل من هذه الشيعة لما هو خير، إنّا كنّا نمدّ أعناقنا إلى قدوم آل بيت نبيّنا ﷺ، نُمنّيهم النصر، ونحثُّهم على القدوم، فلمّا قدِموا ونينا[1] وعجزنا، وأدهنّا[2]، وتربّصنا حتّى[3] قُتل فينا وَلَدُ نبيّنا وسُلالته وعُصارته[4] وبَضْعةٌ من لحمه ودمه، إذ جعل يستصرخ[5]، ويسأل النَّصَف فلا يُعْطى[6]، اتّخذه الفاسقون غرضاً[7] للنَّبل، ودريئة[8] للرماح حتّى أقصدوه، وعَدَوْا عليه (فسلبوه. ألا)[9] انهضوا، فقد سخِط عليكم ربّكم، ولا ترجعوا إلى الحلائل والأبناء حتّى يرضى الله، واللّهِ ما أظنّه راضياً دون أن تناجِزوا مَنْ قتله[10]، ألا لا تهابوا[11] الموت، فما هابه أحدٌ قطّ[12] إلّا ذلّ، وكونوا كبني إسرائيل[13]، إذ قال لهم نبيّهم: **﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾**[14] ففعلوا، وجَثَوْا على الرُّكَب، ومدّوا الأعناق[15] حين علموا أنّهم لا يُنْجيهم من عظيم الذّنب إلّا القتل[16]، فكيف بكم لو دُعيتم إلى ما دُعوا[17] أحدّوا[18] السيوف، وركّبوا الأسنّة **﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ**

(١) في (ب): «أو بنيا»، وفي الأوربية «وثبنا».
(٢) في الأوربية: «وأذهلنا».
(٣) الطبري: «وانتظرنا ما يكون حتى».
(٤) في (ب): «عصابته».
(٥) الطبري: «يستصرخ فلا يُصرخ».
(٦) الطبري: «يعطاه».
(٧) في الأوربية: «عرضاً».
(٨) الطبري: «ودريّة».
(٩) في الأوربية: «فسابّوه النَّصَف إلى أن».
(١٠) زاد الطبري: «أوتبيروا».
(١١) في الأوربية: «تهابون».
(١٢) الطبري: «فوالله ما هابه امرو قط».
(١٣) الطبري: «وكونوا كالأولى من بني إسرائيل».
(١٤) سورة البقرة ٢، الآية ٥٤.
(١٥) زاد الطبري: «ورضوا بالقضاء حتى».
(١٦) الطبري: «إلا الصبر على القتل».
(١٧) الطبري: «لو دُعيتم إلى مثل ما دُعي القوم إليه».
(١٨) الطبري: «اشحذوا».

﴿قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾[1] حتّى تُدْعَوا وتُستنفروا.

فقال خالد بن سعد بن نُفَيْل: أمّا أنا فواللَّهِ لو أعلم أنّه يُنْجيني من ذنبي ويُرضي ربّي عنّي قتْلي نفسي لقتلتُها، وأنا أُشهد كلّ مَنْ حضر أنّ كلّ ما أصبحتُ أملكه سوى سلاحي الذي أقاتل به عدوّي صدقةً على المسلمين، أقوّيهم به على قتال الفاسقين[2]. قال أبو المعتمر بن حنش[3] بن ربيعة الكِنانيُّ مثل ذلك. فقال سليمان: حسبكم، مَنْ أراد من هذا شيئاً فليأتِ به عبدَ الله بن والٍ التَّيْميّ، فإذا اجتمع عنده كلُّ ما تريدون إخراجه جهّزنا به ذوي الخَلّة والمَسْكنة من أشياعكم.

وكتب سليمان بن صُرَد إلى سعد بن حُذَيفة بن اليمان يُعْلمه بما عزموا عليه، ويدعوه إلى مساعدتهم ومَنْ معه من الشيعة بالمدائن، فقرأ سعد بن حُذَيفة الكتابَ على مَن بالمدائن من الشيعة، فأجابوا إلى ذلك، فكتبوا إلى سليمان بن صُرَد يُعْلمونه أنّهم على الحركة إليه والمساعدة له.

وكتب سليمان أيضاً كتاباً إلى المثنّى بن مُخَرِّبَة العبديّ بالبصرة مثل ما كتب إلى سعد بن حُذَيفة، فأجابه المثنّى: إنّنا معشر الشيعة حمدْنا الله على ما عزمتم عليه، ونحن موافوك[4] إن شاء الله للأجل الذي ضربتَ. وكتب في أسفل الكتاب:

تبَصَّرْ كأنّي قد أتيتُكَ مُعلِماً ... على أتْلَعِ الهادي أجَشَّ هزيمِ[5]
طويلِ القَرا نَهْدِ الشَّواةِ مُقلَّصٍ ... مُلِحٍّ على فأسِ اللِّجامِ أزُومِ[6]
بكلِّ فتًى لا يَملأُ الرَّوْعُ قلْبَهُ ... مِحَشٍّ لنارِ الحرْبِ غيرِ سَؤومِ[7]
(أخي ثقةٍ يَنوي[8] الإلَهَ بسَعيهِ ... ضَرُوبٍ بنَصْلِ السّيفِ غيرِ أثيمِ)[9]

فكان أوّل ما ابتدأوا به أمرهم بعد قتل الحسين سنة إحدى وستّين، فما زالوا بجمع

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٦٠.

(٢) الطبري ٥/٥٥٤، ٥٥٥ وفيه زيادة يسيرة في قول ابن نُفَيل.

(٣) في (ر): «حسن»، وفي طبعة صادر ٤/١٦١ «أبو المعتمر بن حبس»، والمثبت عن: الفتوح لابن أعثم ٦/٥١.

(٤) في (ر): «موافقون».

(٥) في الأوربية: «ألا أبلغ الهادي أحَشّ هذيم».

(٦) في الأوربية:
طويل القَرى يهدأ حقّ مقلّص ... مُلاح على قاس اللّجام اروم»

(٧) في الأوربية: «مجشّ لنار الحرب غير مسموم». والطبري: «نحره ... محسّن لعضّ الحرب غير سئووم».

(٨) في الأوربية: «يثوي».

(٩) البيت الأخير من (ب)، والأبيات عند الطبري ٥/٥٥٨.

آلـة الحرب ودعـاء الناس في السـرّ إلى الطّلب بـدم الحسين، فكـان يُجيبهم النفرُ، ولم يزالوا على ذلك إلى أن هلك يزيد بن معاوية سنة أربع وستّين، فلمّا مـات يزيـد جاء إلى سليمـان أصحابـه فقالـوا: قد هلك هـذا الطاغيـة، والأمرُ ضعيف، فـإن شئتَ وثَبنـا على عَمْرو بن حُرَيث، وكـان خليفة ابن زيـاد على الكوفـة، ثمّ أظهرنـا الطلب بـدم الحسين، وتتبّعنا قَتَلَتَه، ودعونا الناس إلى أهل هذا البيت المستأثَر عليهم، المدفوعين عن حقّهم.

فقـال سليمان بن صُـرَد: لا تُعجّلوا، إنّي قد نـظرتُ فيمـا ذكـرتم، فـرأيتُ أنّ قَتَلَة الحسين هم أشـراف الكوفـة، وفُرسـان العرب، وهم المـطالَبون بـدمه، ومتى علمـوا مـا تريدون كانوا أشدّ الناس عليكم، ونـظرتُ فيمن تبِعَني منكم، فعلمتُ أنّهم لو خـرجوا لم يدركوا ثأرهم، ولم يَشْفوا[1] نفوسهم، وكانـوا جَزَراً لعـدوّهم، ولكن بُثّوا دُعـاتكم، وادعوا إلى أمركم. ففعلوا واستجاب لهم ناس كثير بعد هلاك يزيد[2].

ثمّ إنّ أهـل الكوفـة أخرجـوا عُمـرو بن حُـرَيث، وبـايعـوا لابن الـزّبيـر، وسليمـان وأصحابُه يدعون الناس.

فلمّـا مضت ستّة أشهـر بعد هـلاك يزيـد، قدِم المختـار بن أبي عُبيـد الكـوفـةَ في النصف من رمضـان، (وقدِم عبـد الله بن يزيـد الأنصاريّ أميـراً على الكوفـة من قِبَل ابن الـزّبير، لثمـانٍ بقين من رمضان)[3]، وقـدِم إبراهيم بن محمّـد بن طَلْحة معـه على خـراج الكوفة. فـأخذ المختـار يـدعـو النـاس إلى قتـال قَتلَة الحسين ويقـول: جئتُكم من عنـد المهديّ محمّد بن الحنفيّة وزيراً أميناً. فرجـع إليه طـائفةٌ من الشيعـة، وكان يقـول: إنّما يـريد سليمـان أن يخرج فيقتـل نفسه ومَنْ معـه، وليس لـه بَصَـرٌ بـالحـرب. وبلغ الخبرُ عبدَ الله بنَ يزيد بالخروج عليه بالكوفة في هذه الأيّام، وقيل له ليحبسه[4]، وخُـوّف عاقبـة أمره إن تركه.

فقال عبد الله: إنْ هم قـاتلونا قـاتلناهم، وإن تـركونـا لَمْ نطلبهم. إنّ هؤلاء القـوم يـطلبـون بـدم الحسين بن عليّ، فـرحِم اللّهُ هؤلاء القـوم، [إنّهم] آمنـون، فلْيخـرجـوا ظـاهرين، وليسيـروا إلى مَن قاتَـل الحسين، فقد أقبـل إليهم، يعني ابن زيـاد، وأنـا لهم ظهير، هذا ابن زياد قاتل الحسين وقاتل أخياركم وأماثلكم[5] قد توجّه إليكم، وقـد فارقـوه

(١) في (ر): «يستبقوا».
(٢) الطبري ٥/٥٥٨، ٥٥٩.
(٣) ما بين القوسين من (ب).
(٤) في (ر): «ليجنبه».
(٥) في الأوربية: «وأمثالكم».

على ليلةٍ من جسر مَنْبج، فقتاله[1] والاستعداد إليه أَوْلى من أن تجعلوا بأسكم بينكم، فيقتل بعضكم بعضاً، فيلقاكم عدوّكم وقد ضعفتم[2]، وتلك أمنيته، وقد قدِم عليكم أعدى خلْق الله لكم، مَنْ ولي عليكم هو وأبوه سبْعَ سِنين، لا يُقلعان عن قتل أهل العفاف والدّين، (هو الذي قتلكم)[3]، ومن قِبَله أُتيتم، والذي قتل مَن تنادون بدمه قد جاءكم)[4] فاستقبلوه بحدّكم وشوكتكم، واجعلوها به، ولا تجعلوها بأنفسكم، إنّي لكم ناصحٌ[5].

وكان مروان قد سيّر ابن زياد إلى الجزيرة، ثمّ إذا فرغ منها سار إلى العراق.

فلمّا فرغ عبد الله بن يزيد من قوله، قال إبراهيم بن محمد بن طلحة: أيّها الناس لا يغرنّكم من السيف والغشم مقالةُ هذا المداهن[6]، والله لئن خرج علينا خارجٌ لَنَقتُله[7]، ولئن استيقنّا أن قوماً يريدون الخروج علينا لنأخُذَنّ الوالد بولده، والمولود بوالده، والحميمَ بالحميم، والعريف بما في عرافته، حتّى يدينوا للحقّ، ويذلّلوا[8] للطاعة.

فوثب إليه المسيّب بن نَجَبة، فقطع عليه مَنطقه، ثمّ قال: يا ابن الناكثين[9]! أنت تهدّدنا بسيفك وغشمك! أنتَ والله أذلّ من ذلك! إنّا لا نلومك على بَغضنا، وقد قتلنا أباك وجَدّك، وأمّا أنتَ أيّها الأمير فقد قلتَ قولاً سديداً.

فقال إبراهيم: والله لَتُقْتَلَنّ وقد أدهن[10] هذا، يعني عبد الله بن يزيد. فقال له عبد الله بن وال: ما اعتراضك فيما بيننا وبين أميرنا؟ ما أنت علينا بأمير، إنّما أنت أمير هذه الجِزْية، فأقبِلْ على خراجك، ولئن أفسدتَ أمر هذه الأمّة فقد أفسده والداك، وكانت عليهما دائرة السَّوْء! فشتمهم جماعةٌ ممّن مع إبراهيم فشاتموه، فنزل الأمير من على المنبر، وتهدّده إبراهيم بأنّه يكتب إلى ابن الزّبير يشكوه. فجاءه عبد الله في منزله واعتذر إليه، فقبِل عُذْره. ثمّ إنّ أصحاب سليمان خرجوا ينشرون[11] السلاح ظاهرين ويتجهّزون[12].

(١) في الأوربية: «فقتال».
(٢) في (ر): «رفعتم».
(٣) في الأوربية: «قبله».
(٤) ما بين القوسين من (ب).
(٥) الطبري ٥/٥٦٢: «إني لم آلُكم نُصحا».
(٦) في الأوربية: «الداهن».
(٧) الطبري: «لنقتلنّه».
(٨) الطبري: «ويذلّوا».
(٩) في الأوربية: «الساكنين».
(١٠) في الأوربية: «أوهن».
(١١) في الأوربية «يشترون».
(١٢) الطبزي ٥/٥٦٢، ٥٦٣.

ذكر فراق الخوارج عبدَ الله بن الزّبَير وما كان منهم

وفي هذه السنة فارق الخوارج الذين كانوا قدموا مكّة عبدَ الله بن الزُّبير، وكانوا قد قاتلوا معه أهل الشام.

وكان سبب قدومهم عليه أنّهم لما اشتدّ عليهم ابنُ زياد بعد قتل أبي بلال اجتمعوا فتذاكروا ذلك، فقال لهم نافع بن الأزْرق: إنّ الله قد أنزل عليكم الكتاب، وفرض عليكم الجهاد، واحتجّ عليكم [بالبيان]، وقد جرّد أهلُ الظلم فيكم السيوفَ، فاخرجوا بنا إلى هذا الذي قد ثار بمكّة، فإنْ كان على رأينا جاهدنا معه، وإن يكن على غير رأينا دافعناه عن البيت. وكان عسكر الشام قد سار نحو ابن الزّبير.

فسار الخوارج حتّى قدِموا على ابن الزّبير، فسُرّ بمقدمهم، وأخبرهم أنّه على مثل رأيهم من غير تفتيش. فقاتلوا معه أهلَ الشام حتّى مات يزيد بن معاوية، وانصرف أهل الشام.

ثمّ إنّهم اجتمعوا وقالوا: إنّ الذي صنعتم أمس لَغير رأي، تقاتلون مع رجلٍ لا تدرون لعلّه ليس على مثل رأيكم، وقد كان أمس يقاتلكم هو وأبوه وينادي: يا ثارات عثمان! فأْتوه واسْألوه عن عثمان، فإنْ بريء منه كان وليّكم، وإن أبَى كان عدوّكم. فأتوه فسألوه، فنظر فإذا أصحابه حوله قليل، فقال: إنّكم أتيتموني حين أردتُ القيام، ولكن روحوا [إليَّ] العشيّة حتى أُعلمكم.

فانصرفوا، وبعث إلى أصحابه، فجمعهم حوله بالسلاح، وجاءت الخوارج وأصحابه حوله وعلى رأسه، وبأيديهم العَمَد، فقال ابن الأزرق لأصحابه: إنّ الرجل قد أزمع خلافكم، فتقدّم إليه نافع بن الأزرق وعُبَيدة بن هلال، فقال عُبَيدة بعد حمد الله:

أمّا بعد، فإنّ الله بعث محمّداً يدعو إلى عبادته وإخلاص الدّين[1] له، فدعا إلى ذلك، فأجابه المسلمون، فعمل فيهم بكتاب الله حتّى قبضه الله، واستخلف الناس أبا بكر، واستخلف أبو بكر عمَر، فكلاهما عمل بكتاب الله وسُنّة نبيّه، ثمّ إنّ الناس استخلفوا عثمان، فحمى الأحماءَ، وآثر القربَى، واستعمل الفتى[2]، ورفع الدِّرَّة، ووضع السَّوْط، ومزّق الكتاب، وضرب مُنْكر[3] الجور، وآوى طريد رسول الله ﷺ، وضرب السّابقين بالفضل[4]، وحرمهم، وأخذ فَيْءَ الله الذي أفاء عليهم، فقسّمه في فُسّاق

---

(١) في الأوربية: «الذي».

(٢) في الأوربية: «الغنيّ».

(٣) الطبري ٥/٥٦٥، ٥٦٦: «وحقّر المسلم وضرب مُنكري»

(٤) زاد الطبري: «وسيّرهم».

قريش، ومُجّان العرب، فسارت إليه طائفة فقتلوه[1]، فنحن لهم أولياء، ومن ابن عفّان وأوليائه بُرَآء، فما تقول أنتَ يا ابن الزُّبير؟ فقال: قد فهمتُ الّذي ذكرتَ به النبيّ ﷺ، فهو فوق ما ذكرتَ وفوق ما وصفتَ، وفهمتُ ما ذكرتَ به أبا بكر وعمر، وقد وُفّقتَ وأصبتَ، وفهمتُ الذي ذكرتَ به عثمان، وإنّي لا أعلم مكان أحدٍ من خلق الله اليوم أعلم بابن عفّان وأمره منّي، كنتُ معه حيث نقم [القومُ] عليه، واستعتبوه، فلم يدع شيئاً إلّا أعتبهم، ثمّ رجعوا إليه بكتابٍ له يزعمون أنّه كتبه يأمر فيه بقتلهم، فقال لهم: ما كتبتُه، فإنْ شئتم فهاتوا بيّنتكم، فإن لم تكن حلفتُ لكم، فواللّهِ ما جاؤوه ببيّنة، ولا استحلفوه، ووثبوا عليه فقتلوه، وقد سمعتُ ما عتبته[2] به، فليس كذلك، بل هو لكلّ خيرٍ أهل، وأنا أُشهدكم ومن حضرني أنّي وليٌّ لابن عفّان، وعدوّ أعدائه، فبرىء الله منكم.

وتفرّق القوم، فأقبل نافع بن الأزرق الحنظليُّ، وعبد الله بن الصّفّار السّعديُّ، وعبد الله بن إباض، وحنظلة بن بَيْهس، وبنو الماحوز: عبد الله، وعُبَيد الله، والزّبير من بني سَليط بن يربوع، وكلّهم من تميم، حتّى أتوا البصرة، وانطلق أبو طالوت[3]، من بني بكر بن وائل، وأبو فُدَيك[4] عبد الله بن ثَوْر بن قيس بن ثعلبة، وعطيّة بن الأسود اليشكُريّ إلى اليمامة، فوثبوا بها مع أبي طالوت، ثمّ أجمعوا بعد ذلك على نَجْدة بن عامر الحنفيّ، وتركوا أبا طالوت[5].

فأمّا نافع وأصحابه، فإنّهم قدِموا البصرة وهم على رأي أبي بلال، واجتمعوا وتذاكروا فضيلة الجهاد، فخرج نافع على ثلاثمائة، وذلك عند وثوب الناس بابن زياد، وكسر الخوارج باب السجن، وخرجوا، واشتغل الناس عنهم بحرب الأزد وربيعة وتميم، فلمّا خرج نافع تبعوه، واصطلح أهل البصرة على عبد الله بنِ الحارث، فتجرّد الناس للخوارج وأخافوهم، فلحِق نافع بالأهواز في شوّال سنة أربعٍ وستّين، وخرج مَنْ بقي منهم بالبصرة إلى ابن الأزرق، إلّا من لم يُرِد الخروج يومه ذلك، منهم: عبد الله بن الصّفّار، وعبد الله بن إباض، ورجال معهما على رأيهما، ونظر نافع فرأى أنّ ولاية مَنْ تخلّف عن الجهاد من الذين قعدوا من الخوارج لا تحلّ له، وأنّ مَنْ تخلّف عنه لا نجاة له، فقال لأصحابه ذلك، ودعاهم إلى البراءة منهم وأنّهم لا يحلّ لهم مُناكحتهم ولا أَكْل ذبائحهم،

---

(١) الطبري: «فسارت إليه طائفة من المسلمين أخذ الله ميثاقهم على طاعته، لا يبالون في الله لومة لائم، فقتلوه».

(٢) الطبري ٥/٥٦٦ «عِبْته».

(٣) في الأصل: «طالب».

(٤) في (ب): «قدميك».

(٥) في الأصل «طالب».

ولا يجوز قبول شهادتهم، وأخْذ عِلم الدّين عنهم، ولا يحلّ ميراثهم، ورأى قتلَ الأطفـال والاستعراض، وأنّ جميع المسلمين كُفّار مثل كُفّـار العرب، لا يُقبـل منهم إلاّ الإسلام أو القتل.

فأجابه إلى ذلك بعضهم، وفارقه بعضهم، وممّنْ فـارقه نَجْـدةُ بن عامـر، وسار إلى اليمامة، فأطاعه الخوارج الذين بها، وتركوا أبا طالـوت، فكتب نافـع إلى ابن إباض وابن الصّفّار يدعوهما ومَنْ معهما إلى ذلك، فقرأ ابن الصّفّار الكتابَ، ولم يقرأه على أصحـابه خشية أن يتفرّقوا ويختلفوا، فأخذه ابن إباض فقرأه، فقال: قاتله الله أيّ رأي رأى! صدق نافع، لو كان القوم مشركين كان أصوب النـاس رأياً، وكـانت سيرتـه[1] كسيرة [النبيّ ﷺ] في المشركين، ولكنّه قد كذب فيما يقول، إنّ القوم بُرَآء من الشرك، ولكنّهم كفّار بـالنّعم والأحكام، ولا يحلّ لنا إلاّ دماؤهم، وما سوى ذلك فهو حرام علينا.

فقال له ابنُ الصّفّار: بريء الله منك فقد قصـرتَ، وبريء الله من ابن الأزرق فقـد غلا. فقال الآخر: بريء الله منك ومنه.

فتفرّق القوم، واشتـدّت شوكـةُ ابن الأزرق وكثُرت جمـوعه، وأقـام بالأهـواز يجبي الخراجَ ويتقوّى بـه، ثمّ أقبل نحـو البصرة، حتّى دنـا من الجسر، فبعث إليـه عبدُ الله بن الحارث مسلمَ بن عُبَيْس بن كُرَيْز بن ربيعة من أهل البصرة[2].

(عُبَيْس: بالعين المهملة المضمومـة، والباء المـوحّدة، واليـاء المعجمة المثنّـاة من تحت، وبالسين المهملة وعُبَيْدة بن بلال: بضمّ العين المهملة، والباء الموحّدة).

ذكر قدوم المختار الكوفة

كانت الشيعة تسبّ المختـار وتعيبه لِمـا كان منـه في أمر الحسن بن عليّ حين طُعِنَ في سـابـاط، وحُمـل إلى أبيض المـدائن، حتّى [إذا] كـان زمن الحسين، بعث الحسينُ مسلمَ بن عَقيل إلى الكوفة، وكان المختار في قرية له تُدعَى لفغا[3]، فجاءه خبرُ ابن عَقيل عند الظُّهر أنّه قد ظهر، ولم يكن خروجه عن ميعادٍ كما سبق، فـأقبل المختـار في مواليه، فـانتهى إلى باب الفيـل بعـد المغـرب، وقـد أقعـد عبيـدُ الله بن زيـاد عَمـرَو بن حُـرَيث بـالمسجد ومعـه راية، فـوقف المختار لا يـدري ما يصنـع، فبلغ خبره عَمـراً، فاستـدعاه وآمنه، فحضر عنده.

---

(١) في الأوربية: «سيرة».

(٢) الطبري ٥/٥٦٣ـ ٥٦٩، نهاية الأرب ٢٠/٥٢١ـ ٥٢٣.

(٣) في (ر): «لقفا»!

فلمّا كان الغد ذكر عُمارة بن الوليد بن عُقْبَة أمره لعبيد الله، فأحضره فيمَنْ دخل وقال له: أنت المقبل في الجموع لتنصر ابن عَقيل؟ قال: لم أفعلْ، ولكنّي أقبلتُ ونزلتُ تحت راية عَمرو، فشهد له عَمْرو، فضرب وجه المختار فشتر عينه وقال: لولا شهادة عَمرو لقتلتك! ثمّ حبسه حتّى قُتل الحسين.

ثمّ إنّ المختار بعث إلى عبد الله بن عمر بن الخطّاب يسأله أن يشفع فيه[1]، وكان ابن عمر تزوّج أخت المختار صفيّة بنت أبي عُبَيد، فكتب ابنُ عمر إلى يزيد يشفع فيه، فأرسل يزيد إلى ابن زياد يأمره بإطلاقه، فأطلقه وأمره أن لا يقيم غير ثلاث[2].

فخرج المختار إلى الحجاز، فلقِيه ابنُ العِرْق وراء واقصة، فسلّم عليه وسأله عن عينه، فقال: خبطها ابنُ الزّانية بالقضيب، فصارت كما ترى، ثمّ قال: قتلني الله إن لم أقطعْ أنامله وأعضاءه إرْباً إرْباً! ثمّ سأله المختار عن ابن الزّبير، فقال: إنّه عائذ بالبيت، وإنّه يبايع سرّاً، ولو اشتدّتْ شوكته وكثرتْ رجاله لَظَهَر.

فقال المختار: إنّه رجل العرب اليوم، وإن اتَّبع رأيي أكفِه أمر الناس. إنّ الفتنة أرعدت وأبرقت، وكأنْ قد انبعثت[3]، فإذا سمعتَ بمكانٍ قد ظهرتُ به، [فقُل إنّ المختار] في عصابة من المسلمين يطلب[4] بدم الشهيد المظلوم المقتول بالطّفّ، سيّد المسلمين وابن بنت سيّد المرسلين وابن سيّدها، الحسين بن عليّ، فوربّك لأقتلنّ بقتله عدّة مَن قُتل على دم يحيَى بن زكريّاء.

ثمّ سار وابن العِرْق يَعجب من قوله، قال ابن العِرْق: فوالله لقد رأيتُ ما ذكره، وحدّثتُ به الحجّاج بن يوسف، فضحِك وقال: لله درّه أيّ رجل ديناً، ومِسعر حرب، ومقارع أعداء كان!

ثمّ قدِم المختار على ابن الزُّبير، فكتم عنه ابنُ الزُّبير أمرَه، ففارقه وغاب عنه سنة، ثمّ سأل عنه ابنُ الزُّبير، فقيل إنّه بالطّائف، وإنّه يزعم أنّه صاحب الغضب ومسيّر الجبّارين. فقال ابن الزّبير: ما له قاتله الله؟ لقد انبعث[5] كذّاباً متكهّناً، إن يُهْلك الله الجبّارين يكن المختار أوّلهم.

فهو في حديثه إذ دخل المختار المسجد، فطاف وصلّى ركعتين وجلس، فأتاه

---

(١) انظر نص كتابه في: الفتوح لابن أعثم ٦/٧٦.
(٢) انظر الفتوح ٦/٧٦، ٧٧.
(٣) في الأوربية: «انبعث».
(٤) في الأوربية: «أطلب».
(٥) في الأوربية: «اتبعت».

معارفُه يحدّثونه، ولم يأتِ ابن الزُّبير، فوضع[1] ابنُ الزّبير عليه عبّاسَ بن سَهْـل بن مِسْعَر، فأتاه وسأله عن حاله ثمّ قال له: مثلك يغيب عن الذي قد اجتمع عليه الأشراف من قريش والأنصار وثَقيف! لم تبقَ قبيلة إلاّ وقد أتاه زعيمُها، فبايع هـذا الرجـل. فقال: إنّي أتيتـهُ العام الماضي، وكتم عنّي خبره، فلمّا استغنى عنّي أحببتُ أن أُرِيَه أنّي مستغنٍ عنه، فقال له العبّاس: القَهُ الليلةَ وأنا معك. فأجابه إلى ذلك، ثمّ حضر عند ابن الزّبير بعد العتمة، فقال المختار: أبايعك على أن لا تقضي الأمـور دوني، وعليّ أن أكون أوّل داخـل، وإذا ظهرتَ استعنتَ بي على أفضل عملك. فقال ابن الزّبيـر: أبايعـك على كتاب الله وسُنّـة رسوله. فقال: وشرّ غلماني تُبايعه على ذلك، والله لا أبايعك أبداً إلاّ على ذلك.

فبايعه، فأقام عنده، وشهد معـه قتال الحُصَين بن نُمَيـر، وأبلى أحسن بلاء، وقـاتل أشدّ قتال، وكان أشدّ الناس على أهل الشام.

فلمّا هلك يزيد بن معاوية، وأطاع أهلُ العراق ابنَ الزُّبير أقـام عنده خمسـة أشهر، فلمّا رآه لا يستعمله جعل لا يَقْدَم عليه أحـدٌ من أهل الكـوفة إلاّ سـأله عن حـال الناس، فأخبره هانِىء بن جبة الوَداعيُّ باتّساق أهل الكوفة على طاعة ابن الزّبير، إلاّ أنّ طـائفةً من النـاس هم عدد أهلهـا لـو كـان لهم مَنْ يجمعهم على رأيهم أكـل بهم الأرض إلى يـومٍ [ما].

فقـال المختار: أنـا أبو إسحـاق، أنـا والله لهم أن أجمعهم على الحقّ، وألقى بهم رُكبان الباطل، وأُهلك بهم كلّ جبّارٍ عنيد. ثمّ ركب راحلته نحو الكوفة، فـوصل إلى نهـر الحيرة يوم الجمعة، فاغتسل ولبس ثيابه، ثمّ ركب فمرّ مسجد السَّكون وجبّـانة كِنـدة، لا يمرّ على مجلسٍ إلاّ سلّم على أهله وقال: أبشِروا بالنُّصرة والفَلْج، أتاكم ما تحبّون.

ومرّ ببني بَدَاء[2] فلقي عُبيدة بن عَمْرو البَـدّيّ من كِندة، فسلّم عليـه وقال لـه: أبشِر بـالنصر والفَلْج، إنّـك أبا عَمـرو على[3] رأيٍ حَسَن، لن يدع الله لـك معه إثمـاً إلاّ غفـره لك، ولا ذنباً إلاّ ستـره. وكان عُبيـدة من أشجع النـاس وأشعرهم، وأشـدّهم تشيّعاً وحُبّاً لعليّ، وكـان لا يصبر عن الشـراب، فقال لـه: بشّرك الله بـالخير! فهـل أنت مُبينٌ[4] لنا؟ قال: نعم، القَني الليلة.

ثمّ سافر ببني هند، فلقي إسماعيلَ بن كَثير، فرحّب به وقال له: القَني أنتَ وأخـوك

---

(١) في (ب): «فأرسل إليه».

(٢) في الأوربية: «بدء».

(٣) في الأوربية: «أبو عمر وعلي».

(٤) في الأوربية: «متين».

الليلة، فقد أتيتُكم بما تحبّون. ومرّ على حلقة من هَمْدان فقال: قد قدِمتُ عليكم بما يَسُرُّكم، ثمّ أتى المسجد، واستشرف له الناس، فقام إلى ساريةٍ، فصلّى عندها حتّى أقيمت الصلاة، وصلّى مع الناس، ثمّ صلّى ما بين الجمعة والعصر، ثمّ انصرف إلى داره، واختلف إليه الشيعة، وأتى إسماعيلُ بن كَثير وأخوه وعُبيدة بن عَمْرو، فسألهم[1]، فأخبروه خبر سليمان بن صُرَد، وأنّه على المنبر، فحمد الله ثمّ قال: إنّ المهديَّ ابن الوصيّ بعثني إليكم أميناً ووزيراً ومنتخباً[2] وأميراً، وأمرني بقتل المُلحدين، والطّلب بدم أهل بيته، والدَّفْع عن الضعفاء، فكونوا أوّل خلق الله إجابةً.

فضربوا على يده وبايعوه؛ وبعث إلى الشيعة، وقد اجتمعتْ عند سليمان بن صُرَد، وقال لهم نحو ذلك، وقال لهم: إنّ سليمان ليس له بصر بالحرب، ولا تجربة بالأمور، وإنّما يريد أن يُخْرجكم، فيقتلكم ويقتل نفسه، وأنا أعمل على مثالٍ مُثِّل لي، وأمرٍ بُيِّن لي عن وليّكم، وأقتل عدوّكم وأشفي صدوركم، فاسمعوا قولي وأطيعوا أمري، ثمّ انتشروا[3].

وما زال بهذا ونحوه حتّى استمال طائفةً من الشيعة، وصاروا يختلفون إليه ويعظّمونه، وعظماء الشيعة مع سليمان لا يعدلون به أحداً، وهو أثقل خلق الله على المختار، وهو ينظر إلى ما يصير أمر سليمان.

فلمّا خرج سليمان نحو الجزيرة قال عمر بن سعد، وشَبَث بن رِبعيّ، وزيد بن الحارث بن رُوَيْم لعبد الله بن يزيد الخَطْميّ، وإبراهيم بن محمد بن طلحة: إنّ المختار أشدّ عليكم من سليمان، إنّما خرج يقاتل عدوّكم، وإنّ المختار يريد أن يثب عليكم في مصركم، فأوثِقوه واسجنوه حتّى يستقيم أمر الناس.

فأتوه فأخذوه بغتةً، فلمّا رآهم قال: ما لكم؟ فوالله ما ظفرتْ أكفُّكم! فقال إبراهيم بن محمّد بن طلحة: شدّه كتافاً ومَشِّه حافياً. فقال عبد الله: ما كنتُ لأفعلٍ هذا برجلٍ لم يُظهر لنا غدره[4]، إنّما أخذناه على الظنّ. فقال إبراهيم: ليس هذا بعُشِّكِ فادرُجي[5]. ما هذا الذي بَلَغنا عنك يا ابن أبي عُبيد؟ فقال: ما بلغك عنّي إلّا باطل، وأعوذ بالله من غشٍّ كغشّ أبيك وجدّك!

---

(١) في الأوربية: «فسائلهم».
(٢) في الأوربية: «ومشيخاً».
(٣) في (ر): «أبشروا».
(٤) في (ب): «عداوة».
(٥) الأوربية: يغشّك فادرني. (مثَل يُضرب لمن يتعاطى ما لا ينبغي له).

ثمّ حُمل إلى السجن غير مقيَّد، وقيل: بل كان مقيَّداً، فكان يقول في السجن: أمَا وربِّ البحار، والنخيل والأشجار، والمَهامِه والقفار، والملائكة الأبرار، والمصطَفَين الأخيار، لأقتلنّ كلّ جبّار، بكلّ لَدْن خَطّار، ومُهنّد بتّار[1]، بجموع الأنصار، ليسوا بمِيل أغمار، ولا بعُزّل[2] أشرار؛ حتّى إذا أقمتُ عمود الدين، وزايلتُ[3] شَعب صَدْع المسلمين، وشفيتُ غليل صدور المؤمنين، وأدركتُ ثأر النبيّين، لم يكبُر عليّ زوال الدنيا، ولم أحفل[4] بالموت إذا أتى[5].

وقيل في خروج المختار إلى الكوفة وسببه غير ما تقدّم، وهو أنّ المختار قال لابن الزّبير وهو عنده: إنّي لأعلم قوماً لو أنّ لهم رجلاً له فقه[6] وعلم بما يأتي ويذر، لاستخرج لك منهم جُنْداً تقاتل بهم أهل الشام. قال: مَنْ هم؟ قال: شيعة عليّ بالكوفة. قال: فكنْ أنت ذلك الرجل. فبعثه إلى الكوفة، فنزل ناحية منها يبكي على الحسين ويذكر مصابه حتّى لَقَوْه وأحبّوه، فنقلوه إلى وسط الكوفة، وأتاه منهم بَشَر كثير، فلمّا قوي أمره سار إلى ابن مُطيع[7].

ذكر عدّة حوادث

حجّ بالناس هذه السنة عبد الله بن الزّبير[8]، وكان عامله على المدينة فيها أخوه عُبيدة بن الزبير، وعلى الكوفة عبد الله بن يزيد الخَطْميُّ، وعلى قضائها هشام بن هُبَيرة[9]، وعلى البصرة عمر بن عُبيد الله بن عمر التيميُّ، وعلى خُراسان عبد[10] الله بن خازم[11].

---

(1) الأوربية: ثبّار.
(2) الأوربية: ليس بمثل أغمار، ولا يعزل.
(3) في (ر): «ورأيت».
(4) الأوربية: لم يكثر... ولم أجفل.
(5) الطبري ٥/٥٦٩ - ٥٨٢.
(6) في الأوربية: «وفق».
(7) في (ر) زيادة: «مداهن قد أرسل عبد الملك بن مروان فأخرجه من الكوفة».
(8) المحبّر ٢١، ٢٢، تاريخ اليعقوبي ٢/٣٦٨، تاريخ الطبري ٥/٥٨٢، مروج الذهب ٤/٣٩٨، تاريخ العظيمي ١٨٧، البداية والنهاية ٨/٢٥١، نهاية الأرب ٢١/٥٩، تاريخ دمشق ٤٥٤ و ٤٥٥.
(9) الطبري ٥/٥٨٢ «سعيد بن نمران».
(10) في طبعة صادر ٤/١٧٤ «عبيد»، والتصويب من: أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/٣٥٣، وتاريخ الطبري ٥/٥٨٢، ونهاية الأرب ٢١/٥٩.
(11) في (ر) زيادة: «بن هامان».

[الوَفَيات]

وفيها مات شدّاد بن أوس[1] بن ثابت، وهو ابن أخي حسّان بن ثابت.

وفيها توفّي المِسْوَر بن مَخْرمة[2] بمكّة، في اليوم الذي ورد فيه خبر موت يزيد بن معاوية، وكان سبب موته أن أصابته فلقة حجر منجنيق في جانب وجهه، فمرض أيّاماً ومات.

(وفيها توفّي أبو بَرْزة الأسلميّ[3] بخُراسان.

وفيها توفّي الوليد بن عُتْبَة[4] بن أبي سفيان في قول.

وفي أيّام يزيد مات أبو ثعلبة الخُشَنيّ[5]، وقيل: مات سنة خمسٍ وسبعين، له صُحْبَة.

وفي أيّامه أيضاً مات عائذ بن عَمرو[6] المُزَنيّ بالبصرة، وشهد بيعة الرضوان)[7].

وفي أيّام ابن زياد بالكوفة مات قيس بن خَرَشة[8]، وهو صحابيٌّ، وخبر موته عجيب مع ابن زياد، لأنّه كان قوّالاً بالحقّ.

(وفي أيّامه مات نوفل بن معاوية[9] بن عَمْرو الدِّئليّ.

وفي أيّامه)[10] مات أبو خَيْثمة الأنصاريّ[11]، شهد أُحداً، وذِكْره في تَبُوك مشهور.

وفي أيّامه مات عِتْبان بن مالك[12]، وهو بدْريٌّ.

وفي هذه السنة تُوُفّي شَقيق بن ثَوْر[13] السَّدوسيّ[14].

---

(١) انظر عن (شدّاد بن أوس) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ١٢٤ رقم ٣٩ وفيه مصادر ترجمته.

(٢) انظر عن (المسور بن مخرمة) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ٢٤٤ - ٢٤٨ رقم ١٠١.

(٣) في طبعة صادر ١٧٤/٤ «الأشهلي»، والتصحيح من: تاريخ الصحابة لابن حبّان ٢٥٢ رقم ١٣٩٥، وأسد الغابة ١٤٦/٥، واسمه: «نضلة بن عُبيد».

(٤) انظر عن (الوليد بن عتبة) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ٢٦٦ رقم ١٢٠ وفيه مصادر ترجمته.

(٥) انظر عن (أبي ثعلبة) في: أسد الغابة ١٥٤/٥، ١٥٥، وقيل اسمه: جرهم، وقيل: جرثوم، وقيل: عمرو بن جرثوم، وغيره.

(٦) انظر عن (عائذ بن عمرو) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ١٤٣ رقم ٤٨ وفيه مصادر ترجمته.

(٧) ما بين القوسين من (ب).

(٨) انظر عن (قيس بن خرشة) في: أسد الغابة ٢١٢/٤.

(٩) انظر عن (نوفل بن معاوية) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ٢٦٢ رقم ١١٦ وفيه مصادر الترجمة.

(١٠) ما بين القوسين من (ب).

(١١) انظر عن (أبي خيثمة الأنصاري) في: أسد الغابة ١٨٢/٥، ١٨٣.

(١٢) انظر عن (عتبان بن مالك) في: تاريخ الصحابة لابن حبّان ١٩٧ رقم ١٠٥٤.

(١٣) في الأصل «ثور» والتصحيح من: الاشتقاق لابن دُريد ٢١٢، وتاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ١٢٤ رقم ٤١ وفيه مصادر ترجمته.

(١٤) هذه الجملة من (ب).

٦٥
ثم دخلت سنة خمس وستين

ذكر مسير التّوّابين وقتلهم

لمّا أراد سليمان بن صُرَد الخُزاعيُّ الشُّخوصَ سنة خمسٍ وستّين بعث إلى رؤوس أصحابه فأتَوه، فلمّا أَهَلَّ ربيعِ الآخر خرج في وجوه أصحابه، وكانوا تواعدوا للخروج تلك الليلة، فلمّا أتى النُّخَيْلَة دار في الناس، فلم يُعْجِبه عددهم، فأرسل حَكيمَ بن مُنْقذ الكِنديَّ، والوليدَ بن عصير[1] الكِنانيَّ، فناديا في الكوفة: يا لَثارات[2] الحسين! فكانا أوّل خلق الله دعَوا[3]: يا لثارات الحسين.

فأصبح من الغد وقد أتاه نحوٌ ممّا في عسكره، ثمّ نظر في ديوانه فوجدهم ستّة عشر ألفاً ممّن بايعه، فقال: سبحان الله! ما وافانا من ستّة عشر ألفاً إلاّ أربعة آلاف. فقيل له: إنّ المختار يثبّط الناس عنك، إنّه قد تبِعه ألفان. فقال: قد بقي عشرة آلاف، أما هؤلاء بمؤمنين؟ أما يذكرون الله والعهود والمواثيق؟ فأقام بالنُّخَيْلة ثلاثاً يبعث إلى مَنْ تخلّف عنه، فخرج إليه نحوٌ من ألف رجل. فقام إليه المسيّب بن نَجَبة فقال: رحِمك الله! إنّه لا ينفعك الكاره، ولا يقاتل معك إلاّ مَنْ أخرجتْه النّيّة، فلا تنتظر أحداً وجِدّ في أمرك[4]. قال: نِعْمَ ما رأيت.

ثمّ قام سليمان في أصحابه فقال: أيّها الناس مَنْ كان خرج يريد بخروجه وجه الله والآخرة، فذلك[5] منّا، ونحن منه، فرحمة الله عليه حيّاً وميتاً، ومَنْ كان إنّما يريد الدنيا، فواللّهِ ما نأتي[6] فَيْئاً نأخذه، وغنيمة نغنمها، ما خلا رضوان [الله]، وما معنا من ذهب ولا

(١) في (ب): «عصدين» و (ر) «عضين» و (آ) «عصين».
(٢) الأوربية: يا آل ثارات.
(٣) الأوربية: دعا.
(٤) في تاريخ الطبري ٥/٥٨٥: «فلا تنتظرنّ أحداً واكْمُش في أمرك».
(٥) في الأوربية: ذلك.
(٦) في الأوربية: يأتي.

فضّة ولا متاع، وما هي[1] إلّا سيوفنا على عواتقنا، وزادُ قدر البُلغة، فمَنْ كان ينوي غير هذا فلا يَصْحَبْنا. فتنادى أصحابه من كلّ جانب: إنّا لا نطلب الدنيا، وليس لها خرجْنا، إنّما خرجنا نطلب التّوبة والطّلب بدم ابن بنت رسول الله نبيّنا ﷺ.

فلمّا عزم سليمان على المسير، قال له عبد الله بن سعد بن نُفَيْل: إنّي قد رأيتُ رأياً إن يكن صواباً، فالله الموفّق، وإن يكن ليس صواباً، فمن قِبَلي؛ إنّا خرجنا نطلب بدم الحسين، وقَتَلتُه كلّهم بالكوفة، منهم عمر بن سعد، ورؤوس الأرباع والقبائل، فأين نذهب ها هنا وندع الأوتار؟ فقال أصحابه كلّهم: هذا هو الرأي.

فقال سليمان: لكنْ أنا لا أرى ذلك، إنّ الذي قتله، وعبّأ الجنود إليه، وقال: لا أمان له عندي دون أن يستسلم، فأُمضي فيه حكمي، هذا الفاسق ابن الفاسق عُبيد الله بن زياد، فسيروا إليه على بركة الله، فإنْ يُظهرْكم الله عليه رجَونا أن يكون مَنْ بعده أهون علينا منه، ورجونا أن يدين لكم أهلُ مصركم في عافية، فينظرون إلى كلّ مَنْ شرك في دم الحسين، فيقتلونه ولا يغشموا[2]، وإن تُستشهدوا، فإنّما قاتلتم المُحِلّين، وما عند الله خير للأبرار، إنّي لا أحبّ أن تجعلوا جدّكم بغير المحلّين، ولو قاتلتم أهل مصركم ما عدم رجلٌ أن يرى رجلاً قد قتل أخاه وأباه وحميمه، ورجلاً يريد قتله، فاستخيروا الله وسيروا.

وبلغ عبدَ الله بن يزيد، وإبراهيمَ بن محمد بن طلحة خروجُ ابن صُرَد، فأتياه في أشراف أهل الكوفة، ولم يصحبْهم مَنْ شرك في دم الحسين خوفاً منه، وكان عمر بن سعد تلك الأيّام يبيت في قصر الإمارة خوفاً منهم. فلمّا أتياه قال عبد الله بن يزيد: إنّ المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يغشّه، وأنتم إخواننا وأهل بلدنا، وأحبّ أهل مصر خلقه الله إلينا، فلا تفجعونا بأنفسكم، ولا تُنقصوا عددنا بخروجكم من جماعتنا، أقيموا معنا حتّى نتهيّأ، فإذا سار عدوّنا إلينا خرجنا إليه بجماعتنا فقاتلناه.

وجعل لسليمان وأصحابه خراج جُوخى إن أقاموا. وقال إبراهيم بن محمّد مثله؛ فقال سليمان لهما: قد محضتما النّصيحة واجتهدتما في المشورة، فنحن بالله وله، ونسأل الله العزيمة على الرُّشْد، ولا نرانا[3] إلّا سائرين. فقال عبد الله: فأقيموا حتّى (نعبّي معكم جريداً كثيفاً)[4]، فتلقَوا عدوّكم بجمعٍ كثيف. وكان قد بلغهم إقبال عُبيد الله بن

---

(١) في الأوربية: ما هو.

(٢) في الأوربية: يفشوا، وفي تاريخ الطبري ٥/٥٨٦ «فتقاتلونه ولا تغشموا».

(٣) في الأوربية: «ترانا».

(٤) في (ب): «يجبي معكم جمع كثيف».

زياد من الشام في جنود. فلم يقم سليمان، فسار عشيّة الجمعة لخمسٍ مضين من ربيع الآخر سنة خمس وستّين، فوصل دار الأهواز[1]، وقد تخلّف عنه ناسٌ كثير، (فقال: ما أُحبّ أن [مَنْ] تخلّف[2] [عنكم] معكم، ولو خرجوا فيكم ما زادوكم إلاّ خبالاً، إنّ الله كره انبعاثكم، فثبّطهم واختصّكم[3] بفضل ذلك)[4].

ثمّ ساروا فانتهوا إلى قبر الحسين، فلمّا وصلوا صاحوا صيحةً واحدة، فما رُئي أكثر باكياً من ذلك اليوم، فترحّموا عليه، وتابوا عنده من خذلانه وترك القتال معه، وأقاموا عنده يوماً وليلة يبكون ويتضرّعون، ويترحّمون عليه وعلى أصحابه، (وكان من قولهم عند ضريحه: اللهمّ ارحم حسيناً الشهيد ابن الشهيد، المهديَّ ابن المهديّ، الصِّدِّيق ابن الصِّدِّيق، اللهمّ إنّا نُشهدك أنّا على دينهم وسبيلهم، وأعداء قاتليهم[5]، وأولياء محبّيهم، اللهمّ إنّا خذلنا ابن بنت نبيّنا ﷺ، فاغفرْ لنا ما مضى منّا وتُبْ علينا وارحمْ[6] حسيناً وأصحابه الشهداء الصِّدّيقين، وإنّا نُشهدك[7] أنّا على دينهم وعلى ما قُتلوا عليه، وإن لم تغفرْ لنا وترحمْنا لَنَكُوننّ من الخاسرين! وزادهم النظر إليه حنقاً)[8].

ثمّ ساروا بعد أن كان الرجل يعود إلى ضريحه كالمودّع له، فازدحم الناس عليه أكثر من ازدحامهم على الحجر الأسود، ثمّ أخذوا[9] على الأنبار، وكتب إليهم عبد الله بن يزيد كتاباً، منه: يا قومنا لا تطيعوا عدوّكم، أنتم في أهل بلادكم خيار كلّكم، ومتى يُصبْكم عدوّكم يعلموا أنّكم أعلام مِصركم، فيُطْمعهم ذلك فيمَن وراءكم، يا قومنا **﴿إنَّهُمْ إنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أوْ يُعِيدُوكُمْ في مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إذاً أبَداً﴾**[10]، يا قوم إنّ أيدينا وأيديكم واحدة، وعدوّنا وعدوّكم واحد، ومتى تجتمع كلمتنا على عدوّنا نظهرْ على عدوّنا، ومتى تختلف تهُنْ شوكتنا على مَنْ خالفنا، يا قومنا لا تستغشّوا نُصحي، ولا تخالفوا أمري، وأقبلوا حين يُقرأ كتابي عليكم. والسلام.

---

(1) في (ر): «الأعوار».
(2) في الأوربية: «تتخلّف».
(3) في الأوربية: «وأخصكم».
(4) ما بين القوسين من (ب).
(5) في الأوربية: قاتلهم.
(6) في الأوربية: فارحم.
(7) في الأوربية: نشهد لنا.
(8) ما بين القوسين من (ب).
(9) في الأوربية: ساروا.
(10) سورة الكهف ١٨، الآية ٢٠.

فقال سليمان وأصحابه: قد أبينا[1] هذا، ونحن في مِصرنا، فحين وطَّنا[2] أنفسنا على الجهاد، ودنونا من أرض عدوّنا، ما هذا برأي. فكتب إليه سليمان يشكره ويُثني عليه ويقول: إنّ القوم قد استبشروا ببيعهم أنفُسَهم من ربّهم، وإنّهم قد تابوا من عظيم ذنبهم، وتوجّهوا إلى الله، وتوكّلوا عليه، ورضوا بما قضى الله عليهم.

فلمّا جاء الكتاب إلى عبد الله قال: استمات القوم، أوّل خبرٍ يأتيكم عنهم قتْلهم، والله ليُقْتَلُنّ كراماً مسلمين.

ثمّ ساروا حتّى انتهوا إلى قَرْقِيسيا على تَعْبية، وبها زُفَر بن الحارث الكلابيُّ، قد تحصّن بها منهم، ولم يخرج إليهم، فأرسل إليه المسيّب بن نَجَبة يطلب إليه أن يُخْرِج إليه سَوْقاً، فأتى المسيّب إلى باب قَرْقِيسيا، فعرّفهم نفسه، وطلب الإذْن على زُفَر، فأتى هُذَيْل بن زُفَر أباه فقال: هذا رجل حسن الهيئة، اسمه المسيّب بن نَجَبة، يستأذن عليك. فقال أبوه: أما تدري يا بنيّ مَنْ هذا؟ هذا فارس مُضَر الحمراء كلّها، إذا عُدّ من أشرافها عشرة كان أحدهم هو، وهو بَعْدُ[3] رجل ناسك له دِين، إيذنْ له. فأذِن له، فلمّا دخل عليه أجلسه إلى جانبه وسأله، فعرّفه المسيّب حالَه وما عزموا عليه، فقال زُفَر: إنّا لم نغلق أبواب المدينة إلّا لنعلم إيّانا تريدون أم غيرنا، وما بنا عجْزٌ عن الناس، وما نحبّ قتالكم، وقد بَلَغنا عنكم صلاح وسيرة جميلة.

ثمّ أمرَ ابنَه فأخرج لهم سوقاً، وأمرَ للمسيّب بألف درهم وفرس، فردّ المال وأخذ الفرس وقال: لعليّ أحتاج إليه إن عرج فرسي. وبعث زُفَر إليهم بخبز كثير، وعلف ودقيق، حتّى استغنى الناس عن السوق، إلّا إن كان الرجل يشتري سَوطاً أو ثوباً.

ثمّ ارتحلوا من الغد، وخرج إليهم زفرُ يشيّعهم، وقال لسليمان: إنّه قد سار خمسة أمراء من الرَّقّة هم[4] الحُصَين بن نُمَيْر، وشُرَحْبيل بن ذي الكَلاع، وأدهم بن مُحْرِز، وجَبَلة بن عبد الله الخَثعميّ، وعُبيد الله بن زياد[5] في عددٍ كثيرٍ مثل الشوك والشجر، فإنْ شئتم دخلتم مدينتنا، وكانت أيدينا واحدة، فإذا جاءنا هذا العدوّ قاتلناهم جميعاً. فقال سليمان: قد طلب أهل مِصرنا ذلك منّا، فأبينا عليهم.

قال زُفَر: فبادروهم إلى عين الوردة، وهي رأس عين، فاجعلوا المدينة في

---

(١) الأوربية: أتانا.

(٢) الأوربية: وطئنا.

(٣) الأوربية: يتعدّ.

(٤) في الأوربية: فيهم.

(٥) لم يذكره الطبري، بل ذكر أيضاً: «أبو مالك بن أدهم، وربيعة بن المخارق». (ج ٥/٥٩٤).

ظهوركم، ويكون الرستاق والماء والمادّة في أيديكم، وما بيننا وبينكم فأنتم آمنون منه، فاطْوُوا المنازل، فوالله ما رأيتُ جماعةً قطّ أكرم منكم، فإنّي أرجو أن تسبقوهم، وإن قاتلتموهم فلا تقاتلوهم في فضاءٍ تُراموهم وتُطاعنونهم، فإنّهم أكثر منكم، ولا آمن أن يحيطوا بكم، فلا تقفوا لهم فيصرعوكم، ولا تصفّوا لهم، فإنّي لا أرى معكم رَجّالة، ومعهم الرَّجّالة والفرسان، بعضهم يحمي بعضاً، ولكن القوهم في الكتائب والمقانب، ثمّ بُثّوها فيما بين ميمنتهم وميسرتهم، واجعلوا مع كلّ كتيبة أُخرى إلى جانبها، فإنْ حُمل على إحدى الكتيبتَين رحلت الأخرى فنفّست عنها، ومتى شاءت كتيبة ارتفعت، ومتى شاءت كتيبة انحطّت، ولو كنتم صفّاً واحداً، فزحفتْ إليكم الرَّجّالة، فدفعتم عن الصّفّ انتقض، فكانت الهزيمة. ثمّ ودّعهم ودعا لهم، ودعوا له، وأثنوا عليه.

ثمّ ساروا مُجدّين، فانتهوا إلى عين الوردة، فنزلوا غربيَّها، وأقاموا خمساً، فاستراحوا وأراحَوا.

وأقبل أهل الشام في عساكرهم، حتّى كانوا من عين الوردة على مسيرة يومٍ وليلة، فقام سليمان في أصحابه، وذكر الآخرة ورغّب فيها، ثمّ قال: أمّا بعد فقد أتاكم عدوّكم الذي دأبتم إليه في السير آناء الليل والنهار، فإذا لقيتموهم فاصدقوهم القتال، واصبروا إنّ الله مع الصابرين، ولا يولِّيَنّهم امرءُ دُبُرَه إلاّ متحرّفاً لقتال، أو متحيّزاً إلى فئة، ولا تقتلوا مُدْبِراً، ولا تُجْهِزوا على جريح، ولا تقتلوا أسيراً من أهل دعوتكم، إلاّ أن يقاتلكم بعد أن تأسروه، فإنّ هذه كانت سيرة عليّ في أهل هذه الدعوة.

ثمّ قال: إن أنا قُتلتُ، فأميرُ الناس مسيّب بن نَجَبة، فإنْ قُتل، فالأمير عبد الله بن سعد بن نُفيل، فإنْ قُتل، فالأمير عبد الله بن وال، فإنْ قُتل، فالأمير رِفاعة بن شدّاد، رحِم الله امرأً صدق ما عاهد الله عليه.

ثمّ بعث المسيّبَ في أربعمائة فارس، ثمّ قال: سِرْ حتّى تلقى أوّل عساكرهم، فشنّ عليهم [الغارة]، فإنْ رأيتَ ما تحبّه وإلاّ رجعتَ، وإيّاك أن تنزل[1] [أو تدع] أحداً من أصحابك [ينزل] أو يستقبل آخر ذلك، حتّى لا تجد[2] منه بُدّاً. فسار يومه وليلته، ثمّ نزل السّحَر. فلمّا أصبحوا أرسل أصحابه في الجهات، ليأتوه بمن يلقَون، فأتوه بأعْرابيّ، فسأله عن أدنَى العساكر منه، فقال: أدنَى عسكر من عساكرهم منك عسكر شُرَحْبيل بن ذي الكَلاع، وهو منك على رأس ميل، وقد اختلف هو والحُصَين، ادّعى الحُصَين أنّه على الجماعة، وأبى شُرَحْبيل ذلك، وهما ينتظران أمرَ ابن زياد.

---

(١) في الأوربية: «تترك».

(٢) في الأوربية: «يجد».

فسار المسيّب ومن معه مسرعين، فأشرفوا عليهم وهم غارّون، فحملوا في جانب عسكرهم، فانهزم العسكر، وأصاب المسيّب منهم رجالاً، فأكثروا فيهم الجراح، وأخذوا الدوابّ، وخلّى الشاميّون عسكرهم وانهزموا، فغنم منه أصحابُ المسيّب ما أرادوا، ثمّ انصرفوا إلى سليمان موفورين.

وبلغ الخبرُ ابنَ زياد، فسرّح الحُصَين بن نُمَير مسرعاً حتّى نزل في اثني عشر ألفاً، فخرج أصحابُ سليمان إليه لأربعٍ بقين من جُمادَى الأولى، وعلى ميمنتهم عبد الله بن سعد، وعلى ميسرتهم المسيّب بن نَجَبة، وسليمان في القلب، وجعل الحصينُ على ميمنته جملةَ[1] بن عبد الله، وعلى ميسرته ربيعة بن المخارق الغَنَويَّ، فلمّا دنا بعضهم من بعض دعاهم أهلُ الشام إلى الجماعة على عبد الملك بن مروان، ودعاهم أصحابُ سليمان إلى خلع عبد الملك، وتسليم عُبيد الله بن زياد إليهم، وأنّهم يُخْرِجون مَنْ بالعراق من أصحاب ابن الزّبير، ثمّ يُردّ الأمرُ إلى أهل بيت النبيّ ﷺ. فأبَى كلٌّ منهم، فحملت ميمنةُ سليمان على ميسرة الحُصَين، والميسرةُ أيضاً على الميمنة، وحمل سليمان في القلب على جماعتهم، فانهزم أهلُ الشام إلى عسكرهم، وما زال الظَّفَر لأصحاب سليمان، إلى أن حجز بينهم الليل.

فلمّا كان الغد، صبّح الحصينَ جيشٌ مع ابن ذي الكَلاع ثمانية آلاف، أمدّهم بهم عُبيد الله بن زياد، وخرج أصحابُ سليمان، فقاتلوهم قتالاً لم يكن أشدّ منه جميع النهار، لم يحجز بينهم إلاّ الصلاة، فلمّا أمسوا تحاجزوا، وقد كثُرت الجراحُ في الفريقَين، وطاف القُصّاص على أصحاب سليمان يحرّضونهم.

فلمّا أصبح أهلُ الشام أتاهم أدْهم بن مُحرز الباهليُّ في نحوٍ من عشرة آلاف من ابن زياد، فاقتتلوا يوم الجُمْعَة قتالاً شديداً إلى ارتفاع الضّحَى، ثمّ إنّ أهل الشام كثروهم، وتعطّفوا عليهم من كلّ جانب، ورأى سليمان ما لقي أصحابه، فنزل ونادى: عبادَ الله، مَنْ أراد البكورَ إلى ربّه، والتوبة من ذنبه[2]، فإليّ! ثمّ كسر جفنة[3] سَيفه، ونزل معه ناس كثير، وكسروا جفون سيوفهم ومشَوا معه، فقاتلوهم، فقُتل من أهل الشام مقتلة عظيمة، وجرّحوا فيهم فأكثروا الجراح. فلمّا رأى الحُصَيْنُ صبْرهم وبأسهم بعث الرَّجّالة ترميهم بالنَّبل، واكتنفتهم[4] الخيل والرجال، فقُتل سليمان، رحِمه الله، رماه يزيد بن الحُصَين بسهم فوقع، ثمّ وثب ثمّ وقع.

---

(١) في (ب): «حمل».

(٢) زاد الطبري ٥/٥٩٩: «والوفاء بعهده».

(٣) الطبري: «جفن».

(٤) في (ب): «وأكشفتهم».

فلمّا قُتل سليمان أخذ الرايةَ المسيّبُ بن نَجَبَة، وترحّم على سليمان، ثمّ تقدّم فقاتلٍ بها ساعةً، ثمّ رجع، ثمّ حمل، فعل ذلك مراراً، ثمّ قُتل، رحمه الله، بعد أن قتل رجالاً.

فلمّا قُتل أخذ الرايةَ عبدُ الله بن سعد بن نُفَيل، وترحّم عليهما، ثمّ قرأ: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾[1]. وحفّ به مَنْ كان معه من الأزد. فبينما هم في القتال أتاهم فرسانٌ ثلاثة من سعد بن حُذَيْفَة، يُخبرون بمسيرهم في سبعين ومائة من أهل المدائن، ويُخْبرون أيضاً بمسير أهل البصرة مع المثنّى بن مُخَرِّبَة العَبْديّ في ثلاثمائة، (فسُرّ[2] الناس)[3] فقال عبدُ الله بن سعد: ذلك لو جاؤونا ونحن أحياء.

فلمّا نظر الرسُل إلى مَصَارع إخوانهم ساءهم ذلك، واسترجعوا وقاتلوا معهم، وقُتل عبد الله بن سعد بن نُفَيل، قتله ابنُ أخي ربيعة بن مخارق، وحمل خالد بن سعد بن نُفَيل على قاتل أخيه، فطعنه بالسيف، واعتنقه الآخر، فحمل أصحابُه عليه، فخلّصوه بكثرتهم وقتلوا خالداً، وبقيت الراية ليس عندها أحد، فنادوا عبد الله بن والٍ، فإذا هو قد اصطلى الحربَ في عصابةٍ معه، فحمل رِفاعة بن شدّاد، فكشف أهل الشام عنه، فأتى فأخذ الراية وقاتل مليّاً، ثمّ قال لأصحابه: مَنْ أراد الحياة التي ليس بعدها موت، (والراحة الّتي ليس بعدها نَصَب، والسرور الذي ليس بعده حزْن)[4]، فلْيتقرّب إلى الله بقتال هؤلاء المُحِلّين، والرواح إلى الجنّة، وذلك عند العصر، فحمل هو وأصحابه فقتلوا رجالاً وكشفوهم.

ثمّ إنّ أهل الشام تعطّفوا عليهم من كلّ جانب حتّى ردّوهم إلى المكان الذي كانوا فيه، وكان مكانهم لا يؤتَى إلاّ من وجهٍ واحد، فلمّا كان[5] المساء تولّى قتالهم أدهم بن مُحرز الباهليُّ، فحملٍ عليهم في خيله ورَجْله، فوصل ابن محرز إلى ابن والٍ وهو يتلو: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً﴾[6] الآية؛ فغاظ ذلك أدهمَ بنَ محرز، فحمل عليه فضرب يده فأبانها، ثمّ تنحّى عنه وقال: إنّي أظنّك وددتَ أنّك عند أهلك. قال ابن والٍ: بئس ما ظننتَ، واللهِ ما أحبّ أن يدكَ مكانها، إلاّ أن يكون لي من الأجر مثل ما في يدي، ليعظم وِزرُك، ويعظم أجري. فغاظه ذلك أيضاً، فحمل عليه وطعنه

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٢٣.
(٢) في الأوربية: «فسرّوا».
(٣) من (ب).
(٤) ما بين القوسين من (ب).
(٥) في الأوربية: «عند».
(٦) سورة آل عمران، الآية ١٦٩.

فقتله، وهو مقبل ما يزول. وكان ابن والٍ من الفُقهاء العُبّاد.

فلمّا قُتل أتوا رِفاعةَ بنَ شدّاد البجليَّ وقالوا: لتأخذ الراية. فقال: ارجعوا بنا، لعلّ الله يجمعنا ليوم شرّهم. فقال له عبد الله بن عوف بن الأحمر: هلكنا والله، لئن انصرفتَ ليركبُنَّ أكتافنا، فلا نبلغ فرسخاً حتّى نهلك عن آخرنا، وإنْ نجا منّا ناجٍ أخذتْه العربُ يتقرّبون به إليهم، فقُتل صبراً، هذه الشمس قد قاربت الغروبَ فنقاتلهم على خيلنا، فإذا غسق الليل ركِبْنا خيولَنا أوّل الليل، وسرنا حتّى نصبح ونسير على مهلٍ، ويحمل الرجلُ صاحبَه وجريحه، ونعرف الوجه الذي نأخذه. فقال رِفاعة: نعم ما رأيتَ! وأخذ الراية وقاتلهم قتالاً شديداً، ورام أهل الشام إهلاكهم قبل اللّيل، فلم يصلوا إلى ذلك لشدّة قتالهم، وتقدّم عبدُ الله بن عزير الكِنانيُّ، فقاتل أهلَ الشام، ومعه ولده محمّد وهو صغير، فنادى بني كِنانة من أهلِ الشام، وسلّم ولده إليهم ليوصلوه إلى الكوفة، فعرضوا عليه الأمان، فأبى ثمّ قاتلهم حتّى قُتل.

وتقدّم كرِبُ بنُ يزيد[1] الحِمْيريُّ عند المساء في مائة من أصحابه، فقاتلهم أشدّ قتال، فعرض عليه وعلى أصحابه ابن ذي الكَلاع الحِمْيريُّ الأمان، قال: قد كنّا آمنين في الدنيا، وإنّما خرجنا نطلب أمانَ الآخرة. فقاتلوهم حتّى قُتلوا. وتقدّم صخر بن هلال المُزَنيُّ في ثلاثين من مُزَيْنة، فقاتلوا حتّى قُتلوا.

فلمّا أمسَوا رجع أهل الشام إلى معسكرهم، ونظر رِفاعةُ إلى كلّ رجل قد عُقر به فرسُه وجُرح، فدفعه[2] إلى قومه، ثمّ سار بالناس ليلته، وأصبح الحُصَين ليلتقيهم، فلم يرهم، فلم يبعث في آثارهم، وساروا حتّى أتوا قَرْقِيسِيا، فعرض عليهم زُفَر الإقامة، فأقاموا ثلاثاً، فأضافهم ثمّ زوّدهم، وساروا إلى الكوفة.

ثمّ أقبل سعد بن حُذيفة بن اليمان في أهل المدائن، فبلغ هِيتَ، فأتاه الخبرُ، فرجع فلقي المثنّى بن مُخَرِّبة العبديّ في أهل البصرة بصَنْدَوْداء[3] فأخبره، فأقاموا حتّى أتاهم رِفاعة فاستقبلوه، وبكى بعضهم إلى بعض، وأقاموا يوماً وليلة، ثمّ تفرّقوا، فسار كلّ طائفة إلى بلدهم.

ولما بلغ رِفاعةُ الكوفةَ كان المختار محبوساً، فأرسل إليه: أمّا بعدُ فمرحباً بالعُصْبة

---

(١) في (ر): «يزيد بن كريب». و (ب): «كريب».

(٢) الأوربية: فرسه فقد جُرح ودفعه.

(٣) الأوربية بصدود. وصَنْدَوْداء: بفتح الصاد المهملة، وسكون النون، وفتح الدال المهملة، وسكون الواو، ودال مهملة ثانية، وآخر الحروف همزة. وهي نسبة إلى صندوداء ابنة لخم بن عدي بن الحارث بن مُرَّة بن أُدّ. (معجم البلدان ٣/٤٢٥).

الذين عظّم الله لهم الأجر حين انصرفوا، ورضي فِعْلهم حين قُتلوا، أمَا وربِّ البيت، ما خطا خاطٍ منكم خطوةً، ولا رَبا ربوة[1]، إلاّ كان ثواب الله له أعظَم من الدنيا[2]! إنّ سليمان قد قضى ما عليه وتوفّاه الله (وجعل وجهه[3] مع أرواح النّبيّين والصِّدّيقين والشهداء والصالحين)[4]، ولم يكن بصاحبكم الذي به تُنصرون، إنّي أنا الأمير المأمور، والأمين المأمون[5]، وقاتل الجبّارين، والمنتقم من أعداء الدّين، المقيّد من الأوتار[6]، فأعدّوا واستعدّوا وأبشِروا[7]، أدعوكم إلى كتاب الله، وسُنّة نبيّه، والطلب بدم[8] أهل البيت، والدفع عن الضُّعفاء، وجهاد المُحِلّين، والسلام[9].

(وكان قتلُ سليمان ومَنْ معه في شهر ربيع الآخر)[10].

ولما سمع عبد الملك بن مروان بقتل سليمان وانهزام أصحابه صعِد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه وقال: أمّا بعدُ فإنّ الله (قد أهلك من رؤوس أهل العراق ملقح فتنةٍ، ورأسَ ضلالةٍ سليمانَ بن صُرَد، ألاَ وإنّ السيوف تركن رأس المسيّب خَذاريفَ، وقد قتل الله)[11] منهم رأسَين عظيمَين ضالَّين مضلَّين: عبد الله بن سعد الأزديَّ، وعبد الله بن والٍ البكريَّ، ولم يبقَ بعدهم من عنده امتناع، وفي هذا نظر، فإنّ أباه كان حيّاً، قال أعشى همدان في ذلك، وهي ممّا يُكتَم ذلك الزمان:

أَلَمّ خَيالٌ مِنْكِ يا أُمَّ غالِبٍ ... فحُيِّيتِ عَنّا مِنْ حَبيبٍ مُجانِبِ
وَما زِلْتُ في شَجْوٍ[12] وما زِلتُ مُقْصَداً ... لِهَمٍّ عَراني[13] مِنْ فِراقِكِ ناصِبِ
فما أنسَ لا أنسَ انفتالَكِ[14] في الضُّحَى ... إلَيْنا مَعَ البِيضِ الحِسانِ[15] الخَراعِبِ

---

(١) الطبري ٥/٦٠٦ «رتا رتوة».
(٢) الطبري: «أعظم من ملك الدنيا».
(٣) الطبري: «روحه».
(٤) ما بين القوسين من (ر)، وفي (ب): «وتوفاه الله شهيداً».
(٥) زاد الطبري بعدها: «وأمير الجيش».
(٦) في الأوربية: «الأوتاد».
(٧) زاد الطبري: «واستبشروا».
(٨) الطبري: «وإلى الطلب بدماء».
(٩) الطبري ٥/٥٨٣ - ٦٠٦.
(١٠) من (ر). (الطبري ٥/٦٠٩).
(١١) ما بين القوسين من (ب).
(١٢) الطبري: «لي شجواً».
(١٣) في الأوربية: «لهم غير أني».
(١٤) الأوربية: انتقالك.
(١٥) الطبري: «الوسام».

تَـرَاءَتْ لنا هَيفـاءَ مَهضُـومـةَ الحَشَـا   لَـطيفَـةَ طَيِّ الكَشْـحِ رَيَّـا الحَقـائـبِ

مُـبَـتَّـلَةً غـرّاءَ، رُؤْدٌ شَـبَـابُـهَـا[1]   كشمسِ الضُّحى تَنْكَـلُّ بينَ السَّحـائبِ

فلمّـا تَغشَّـاهـا السَّحـابُ وحَـوْلَـهُ   بـدا حـاجبٌ منهـا وضَنَّتْ بحـاجـبِ[2]

فتلكَ الهـوَى[3] وَهْيَ الجَـوَى ليَ والمُنَى   فـأَحْبِبْ بهـا مِنْ خُـلَّةٍ لـم تُـصـاقِبِ

وَلا يُـبـعـدِ الـلّهُ الـشّـبـابَ وذِكْـرَهُ   وحُبَّ تصـافي المُعصِـراتِ الكَـوَاعبِ

ويَـزدادُ مـا أحبَبْتُـهُ[4] من عتـابنـا   لُعـابـاً وسُقيـاً للخَـدِينِ المُقـارِبِ

فـإنِّـي وإنْ لـم أَنْـسـهـنّ لَـذاكـرٌ   رزيئـةَ مِخْبـاتٍ[5] كَـريـمِ المَنـاصِبِ

تـوَسَّـلَ بـالتّقـوَى إلى اللّهِ صـادقـاً[6]   وتَقـوَى الإلـهِ خَيـرُ تكسـابِ كـاسِبِ

وخلّى عَنِ الـدّنيـا فـلم يَـلْتَبِسْ بهـا   وتـابَ[7] إلى اللّهِ الـرّفيـعِ المَـراتبِ

تخلّى عنِ الـدّنيـا وقـالَ اطّـرَحْتُهـا   فَـلَسْتُ إلَـيهـا مـا حَييـتُ[8] بـآيبِ

ومـا أنـا فيمـا يَكـرَهُ[9] النّـاسُ فَقـدَهُ   ويَسعى لَـهُ[10] السّـاعـونَ فيها بـراغِبِ

فـوَجّـهَـهُ نـحْـوَ الـثَّـويّـةِ سـائـراً   إلى ابنِ زِيـادٍ في الجُمـوعِ الكَتـائِبِ[11]

بقَـوْمٍ هُـمُ أهـلُ التّـقـيّـةِ والنُّـهَـى   مَصـاليتُ أنجـادٌ سُـراةٌ منـاجِبِ

مضَـوْا تـاركي رأيِ ابنِ طَلحـةَ حِسبـةً[12]   ولم يَسْتَجيبُـوا لـلأميـرِ المُخـاطِبِ

فسـاروا وهمْ مـا بينَ مُلتَمِسِ التُّقَى   وآخَـرَ ممّـا جَـرَّ بـالأمسِ تـائِبِ

فـلاقَوْا بعَينِ الـوَرْدةِ الجيشَ فـاصِلاً[13]   إلَـيهِـمْ فحسُّـوهمْ ببِيضٍ قـواضِبِ

يَمـانـيَـةٍ تـذري[14] الأكـفَّ وتـارَةً   بخَيْـلٍ عِتـاقٍ مُقـرَبـاتٍ سَـلاهِبِ

---

(١) الأوربية: مشيلة غزار ودسا بهائها.

(٢) الأوربية: وظَنّتْ بجانبِ.

(٣) الأوربية: النّوى.

(٤) الأوربية: فاحْسَبْ.

(٥) الأوربية: رؤية مخبأة.

(٦) الأوربية: صارفاً.

(٧) الأوربية: وخلّ عن الدنيا فلا تلتبس بها وباب.

(٨) الأوربية: حبيب.

(٩) الطبري: «يُكبِرُ» و (آ): يكثر.

(١٠) الأوربية: لها.

(١١) الطبري: «الكباكب».

(١٢) الطبري: «حَسْبُهُ».

(١٣) الأوربية: فاضلاً.

(١٤) الأوربية: ثمانية تدري.

فَجاءهُمْ جمعٌ مِنَ الشّامِ بَعدَهُ جُمُوعٌ كَمَوْجِ البَحرِ من كلّ جانِبِ
فما بَرِحوا حتّى أُبيدَتْ سُراتُهمْ فلَمْ يَنجُ منهُمْ ثَمّ غيرُ عَصائِبِ
وغُودِرَ أهلُ الصّبرِ صَرْعى فأصْبحوا تَعاوَرهمْ[1] رِيحُ الصَّبا والجَنائِبِ
فأضْحى الخُزاعيُّ الرَّئيسُ[2] مُجَدَّلاً كأنْ لم يُقاتِلْ مرّةً ويُحارِبِ
ورأسُ بَني شَمْخٍ وفارِسُ قَوْمِه شَنُوءةَ والتّيميُّ هادي الكَتائِبِ
وعَمرُو بنُ بِشْرٍ والوَليدُ وخالِدٌ وزيدُ بنُ بَكْرٍ والحُلَيسُ بنُ غالِبِ
وضارِبُ مِنْ هَمْدانَ كلّ مشيّع إذا شدّ لم ينكلْ كريمُ المكاسِبِ
ومن كلّ قومٍ قَد أُصيبَ[3] زَعيمُهُمْ وذو[4] حَسَبٍ في ذُرْوَةِ المَجدِ ثاقِبِ
أبَوْا غيرَ ضَرْبٍ يَفلِقُ الهامَ وَقْعُهُ وطَعنٍ بأطرافِ الأسِنّةِ صائِبِ
وإنّ سَعيداً يَوْمَ يَدْمُرُ عامراً لأشجَعُ من لَيثٍ بدَرْبٍ[5] مُواثِبِ[6]
فيا خَيرَ جَيشٍ بالعراقِ[7] وأهلِهِ سُقيتُمْ رَوايا كلّ أسحَمَ[8] ساكِبِ
فلا يَبْعَدنْ فرسانُنا وحُماتُنا إذا البِيضُ أبدتْ عن خِدامِ الكواعِبِ
وما قُتِلوا حتّى أثاروا عِصابَةً مُحِلّينَ[9] نوراً كالشُّموسِ[10] الضّوارِبِ[11]

وقيل: قُتل سليمان ومَن معه في شهر ربيع الآخر[12].

* * *

الخُزاعيُّ الذي هو في هذا الشِّعر هو سليمان بن صُرَد الخزاعيُّ. ورأس بني شمخ هو المسيّب بن نَجَبَة الفزاريُّ. ورأس شَنُوءة هو عبد الله بن سعد بن نُفَيل الأزديُّ أزد

(١) الأوربية: تغاورهم.
(٢) الأوربية: المرئس.
(٣) الأوربية: أصبت.
(٤) الأوربية: وذي.
(٥) الطبري ٥/٦٠٩ «بذُرْلى».
(٦) في (ب): «موايب».
(٧) الطبري: «للجيش».
(٨) في الأوربية: «أسجم»، والاسم: السحاب الداكن.
(٩) في (ب): «محيين».
(١٠) الطبري: «كالليوث»، ومثله في: مروج الذهب ٣/ ٨٠٤.
(١١) الأبيات في: ديوان الأعشى ٣١٥ - ٣١٧، وتاريخ الطبري ٥/٦٠٨، ٦٠٩، وفي مروج الذهب ٣/١٠٣، ١٠٤ (١٤) بيتاً.
(١٢) الطبري ٥/٦٠٩.

شَنُوءة. والتَّيميُّ هو عبد الله بن والٍ التَّيميُّ من تَيْم الّلات بن ثعلبة بن عُكابة بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل. والوليد [هو] ابن عصير الكِنانيُّ. وخالد هو خالد بن سعد بن نُفَيْل أخو عبد الله.

(نَجَبَة بالنون، والجيم، والباء الموحّدة المفتوحات).

ذكر بيعة عبد الملك وعبد العزيز ابنَيْ مروان بولاية العهد

في هذه السنة أمر مروان بن الحَكَم بالبيعة لابنيه عبد الملك وعبد العزيز.

وكان السبب في ذلك أنّ عَمْرو بن سعيد بن العاص لما هزم مُصْعبَ بن الزّبير حين وجّهه أخوه عبد الله إلى فلسطين، رجع إلى مروان وهو بدمشق، قد غلب على الشام ومصر، فبلغ مروانَ أنّ عَمراً يقول: إنّ الأمر لي بعد مروان، فدعا مروانُ حسّانَ بن مالك بن بَحْدل[1]، فأخبره أنّه يريد أن يبايع لابنَيْه عبد الملك وعبد العزيز، وأخبره بما بلغه عن عَمرو، فقال: أنا أكفيك عَمراً؛ فلمّا اجتمع الناسُ عند مروان عشيّاً، قام حسّان فقال: إنّه قد بلغنا أنّ رجالاً يتمنّون أمانيَ، قوموا فبايعوا لعبد الملك وعبد العزيز من بعده، فبايعوا عن آخرهم[2].

ذكر بعث ابن زياد وحُبَيْش

في هذه السنة سيّر مروان بن الحكَم بعثَين: أحدهما مع عُبَيد الله بن زياد إلى الجزيرة، ومحاربة زُفَر بن الحارث بقَرْقِيسِيا، واستعمله على كلّ ما يفتحه، فإذا فرغ من الجزيرة توجّه لقصد العراق وأخْذه من ابن الزبير، فلمّا كان بالجزيرة بلغه موت مروان، وأتاه كتاب عبد الملك بن مروان يستعمله على ما استعمله عليه أبوه، ويحثّه على المسير إلى العراق.

والبعث الآخر إلى المدينة مع حُبَيش بن دَلَجة القينيّ[3]، فسار بهم حتى انتهى إلى المدينة، وعليها جابر بن الأسود بن عَوْف ابن أخي عبد الرحمن بن عوف من قِبَل ابن الزُّبير، فهرب منه جابر.

ثمّ إنّ الحارث بن أبي ربيعة، وهو أخو عَمرو بن أبي ربيعة، وجّه جيشاً من البصرة، وكان والياً عليها، لابن الزُّبير وجعل عليهم الحُنَيْف بن النحف التَّيميَّ لحرب

---

(١) في الأوربية: «حسّان بن ثابت بن نجدا».

(٢) الطبري ٥/٦١٠.

(٣) في (ب): «العيسي»، و(آ): «القتيبي».

حُبَيش، فلمّا سمع بهم حُبَيش سار إليهم من المدينة، وأرسل عبدُ الله بن الزُّبير العبّاسَ بن سَهْل بن سعد الساعديّ إلى المدينة أميراً، وأمره أن يسير في طلب حُبيش حتّى يوافي الجُنْد من أهل البصرة الذين عليهم الحُنَيف، فأقبل عبّاس في آثارهم حتّى لحِقهم بالرَّبَذة، فقاتلهم حُبَيش، فرماه يزيد بن سِنان[1] بسهم فقتله، وكان معه يومئذ يوسف بن الحَكَم وابنه الحجّاج، وهما على جملٍ واحد، وانهزم أصحابه، فتحرّز منهم خمسمائة بالمدينة، فقال العبّاس بن سهل: انزلوا على حُكمي، فنزلوا، فقتلهم، ورجع فَلّ حُبيش إلى الشام، ولما دخل يزيد بن سنان[1] المدينة كان عليه ثياب بِيض، فاسودّت ممّا مسحه الناس، وممّا صبّوا عليه من الطِّيب[2].

ذكر موت مروان بن الحكَم[3] وولاية ابنه عبد الملك

في شهر رمضان من هذه السنة مات مروان بن الحكَم.

وكان سبب موته أنّ معاوية بن يزيد لما حضرته الوفاة لم يستخلفْ أحداً، وكان حسّان بن بَحْدَل يريد أن يجعل الأمر من بعده في أخيه خالد بن يزيد، وكان صغيراً، وحسّان خال أبيه يزيد، فبايع حسّانُ مروانَ بن الحكَم، وهو يريد أن يجعل الأمر بعده لخالد، فلمّا بايعه هو وأهل الشام قيل لمروان: تزوّجْ أمّ خالد، وهي بنت أبي هاشم بن عُتْبَة، حتّى يصغر شأنُه، فلا يطلب الخلافة، فتزوّجها، فدخل خالد يوماً على مروان وعنده جماعة، وهو يمشي بين صفّين، فقال مروان: والله إنّك لأحمق! تعالَ يا ابن الرَّطْبة الاست! يُقَصِّر به ليُسْقطه[4] من أعيُن أهل الشام[5].

فرجع خالد إلى أمّه فأخبرها، فقالت له: لا يعلمنّ ذلك منك إلاّ أنا، أنا أكفيكه. فدخل عليها مروان فقال لها: هل قال لك خالد فيّ شيئاً؟ قالت: لا، إنّه أشدّ لك تعظيماً من أن يقول فيك شيئاً. فصدّقها ومكث أيّاماً، ثمّ إنّ مروان نام عندها يوماً، فغطّتْه بوسادةٍ حتّى قتلتْه، فمات بدمشق وهو ابن ثلاثٍ وستّين سنة[6]، وقيل: إحدى وستّين[7]. وأراد عبد الملك قتل أمّ خالد، فقيل له: يظهر عند الخلق أن امرأة قتلتْ أباك، فتركها.

---

(١) في (ب): «سياه».

(٢) الطبري ٥/٦١١، ٦١٢.

(٣) انظر عن (مروان بن الحكم) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ٢٢٧ - ٢٣٤ رقم ٩٧ وفيه مصادر ترجمته.

(٤) في الأوربية: «تقصّر به لتسقطه».

(٥) الطبري ٥/٦١٠ ٦١١، مروج الذهب ٣/٩٧، ٩٨.

(٦) مروج الذهب ٣/٩٨.

(٧) الطبري ٥/٦١١.

ولما توفّي مروان قام (بأمر الشام)[1] بعده ابنه عبد الملك، (وكان بمصر ابنه عبد العزيز بطاعة أخيه عبد الملك.

وكان عبد الملك)[2] وُلد لسبعة أشهر، فكان الناس يذمّونه لذلك، قيل: إنّه اجتمع عنده قومٌ من الأشراف، فقال لعُبيد الله بن زياد بن ظَبْيان البكريّ: بلغني أنّك لا تشبه أباك، فقال: بلى والله، إنّي لأشبه به من الماء بالماء، والغُراب بالغُراب[3]، ولكن إن شئتَ أخبرتُك بمَنْ لم تُنْضِجه الأرحام، ولم يولد بالتمام، ولم يشبه الأخوال والأعمام[4]. قال: مَنْ ذلك؟ قال: سُوَيْد بن مَنْجُوف، فلمّا خرج عُبيد الله، وسويد قال له سُوَيد: ما سرّني بمقالتك له حُمر النّعم. فقال عُبَيد الله: وما سرّني والله باحتمالك إيّاي، وسكوتك سودُها.

ذكر صفته ونسبه وأخباره

هو مروان بن الحَكَم بن أبي الحَكَم بن أبي العاص بن أُمَيّة بن عبد شمس، وأمّه آمنة بنت علقمة بن صفوان بن أميّة من[5] كِنانة، وكان مولده سنة اثنتين من الهجرة، وكان أبوه قد أسلم عام الفتح، ونفاه رسول الله ﷺ[6]، إلى الطائف لأنّه يتجسّس عليه، ورآه النبيُّ ﷺ، يوماً يمشي ويتخلّج في مشْيه كأنّه يحكيه، فقال له: كُنْ كذلك، فما زال كذلك حتّى مات.

ولما تُوُفّي رسول الله ﷺ، كلّم عثمانُ أبا بكر في ردّه، لأنّه عمّه، فلم يفعل، فلمّا توفّي أبو بكر وولِيَ عمر كلّمه أيضاً في ردّه فلم يفعل، فلمّا ولِيَ عثمان ردّه وقال: إنّ رسول الله ﷺ، وعدني أن يردّه إلى المدينة، فكان ذلك ممّا أنكر الناس عليه.

وتُوُفّي في خلافة عثمان فصلّى عليه، وقد رُويتْ أخبار كثيرة في لعنه ولعن [مَنْ] في صُلبه، رواها الحافظ، في أسانيدها كلام.

وكان مروان قصيراً، أحمر، أَوْقَص[7]، يُكنّى أبا الحكَم، وأبا عبد الملك، وأعتق

---

(١) في (ب): «بالأمر».
(٢) ما بين القوسين من (ب).
(٣) في الأوربية: «والفرات بالفرات».
(٤) في الأوربية: «والأعوام».
(٥) في (ر): «بن محرث بن».
(٦) زاد في (ر): «وردّه».
(٧) أوْقص: قصير العنق.

في يوم واحدٍ مائة رَقَبة، وولِيَ المدينة لمعاوية مرّات، فكان إذا ولِيَ يبالغ في سبّ عليّ، وإذا عُزل وولِيَ سعيد بن العاص كفّ عنه، (فسُئل عنه محمّد بن عليّ الباقر وعن سعيد، فقال: كان مروان خيراً لنا في السرّ، وسعيد خيراً لنا في العلانية.

وقد أُخرج حديث مروان في الصحيح، وكان الحسن والحسين يصلّيان خلفه، ولا يعيدان الصلاة[1]. وهو أوّل مَن قدّم الخطبة في صلاة العيد وقبل الصلاة.

ولما مات بويع لولده عبد الملك بن مروان في اليوم الذي مات فيه، وكان يقال له ولولده بنو الزّرقاء، يقول ذلك مَنْ يريد ذمّهم وعيبهم، وهي الزّرقاء بنت موهب، جدّة مروان بن الحكَم لأبيه، وكانت من ذوات الرايات[2] التي يُستدلّ بها على بيوت[3] البغاء، فلهذا كانوا يذمّون بها، ولعلّ هذا كان منها قبل أن يتزوّجها أبو العاص بن أميّة والد الحكَم، فإنّه كان من أشراف قريش، لا يكون هذا من امرأةٍ له وهي عنده، والله أعلم.

(حُبَيْش بن دَلَجَة، بضم الحاء المهملة، وفتح الباء الموحّدة المفتوحة، ثمّ الياء لمثنّاة من تحت، وآخره شين معجمة، ودَلَجَة: بفتح الدال واللام).

ذكر مقتل نافع بن الأزرق

في هذه السنة اشتدّت شوكة نافع بن الأزرق، وهو الذي ينتسب إليه الأزارقة من الخوارج.

وكان سبب قوّته اشتغال أهل البصرة واختلافهم بسبب مسعود بن عَمْرو وقتْله، وكثرتْ جموعه وأقبل نحو الجسر، فبعث إليه عبد الله بن الحارث مسلِمَ بن عُبَيس بن كُرَيز بن ربيعة، فخرج إليه فرفعه عن أرض البصرة حتّى بلغ دولاب من أرض الأهواز، فاقتتلوا هناك، وجعل مسلم بن عُبَيس على ميمنته الحجّاجَ بن باب الحِمْيريَّ، وعلى ميسرته حارثة بن بدر الغُدانيَّ، وجعل ابنُ الأزرق على ميمنته عبيدةَ بن هلال، وعلى ميسرته الزُّبير[4] بن الماحوز التميميَّ، واشتدّ قتالهم، فقُتل مسلم أمير أهل البصرة، وقُتل نافع بن الأزرق أميرُ الخوارج في جُمَادى الآخرة، فأمّر أهل البصرة عليهم الحجّاج بن باب الحِمْيريَّ، وأمّرت الخوارج عبد الله بن الماحوز التميميَّ، واقتتلوا، فقُتل عبد الله

---

(1) تاريخ دمشق (مخطوطة الظاهرية) ١٦/١٧٥ أ، تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ٢٣٢، البداية والنهاية ٨/٣٥٨.

(2) في الأوربية: «الروايات».

(3) في الأوربية: «ثبوت».

(4) في الأوربية: «الزمن».

والحجّاج، فأمّر أهل البصرة عليهم ربيعة بن الأجرم التميميَّ، وأمّرت الخوارج عُبيدَ الله بن الماحوز التميميَّ، ثمّ عادوا فاقتتلوا حتّى أمسوا، وقد كره بعضُهم بعضاً، وملّوا القتال.

فإنّهم كذلك متواقفون متحاجزون، إذ جاءت الخوارجَ سريّةٌ مستريحةٌ لم تشهد القتال، فحملت على الناس من ناحية عبد القيس، فانهزم الناسُ، وقُتِل أميرُ أهل البصرة ربيعةُ، بعد أن قُتل أيضاً دَغْفَل بن حنظلة الشيبانيُّ النسّابة، وأخذ الراية حارثة بن بدر[1]، فقاتل ساعةً، وقد ذهب الناس عنه، فقاتل وحمى الناسَ ومعه جماعةٌ من أهل البصرة، ثمّ أقبل حتّى نزل بالأهواز، وبلغ ذلك أهلَ البصرة فأفزعهم، وبعث عبدُ الله (بن الزبير الحارثَ بن أبي ربيعة[2]) وعزل عبدَ الله بن الحارث، فأقبلت الخوارج نحو البصرة[3].

ذكر محاربة المهلّب الخوارج

لما قَرُبتِ الخوارج من البصرة أتى أهلُها الأحنفَ بن قيس، وسألوه أن يتولّى حربَهم، فأشار بالمهلّب بن أبي صُفْرَة، لِما يعلم فيه من الشجاعة والرأي والمعرفة بالحرب، وكان قد قدِم من عند ابن الزُّبير، وقد ولّاه خُراسان، فقال الأحنف: ما لهذا الأمر غير المهلّب.

فخرج إليه أشراف أهل البصرة فكلّموه، فأبَى، فكلّمه الحارث بن أبي ربيعة، فاعتذر بعهده[4] على خُراسان، فوضع الحارث وأهل البصرة كتاباً إليه عن ابن الزّبير، يأمره بقتال الخوارج، وأتَوْه بالكتاب، فلمّا قرأه قال: والله لا أسير إليهم إلّا أن تجعلوا لي ما غلبتُ عليه، وتُقطعوني من بيت المال ما أقوّي به مَنْ معي.

فأجابوه إلى ذلك وكتبوا له به كتاباً، وأرسلوا إلى ابن الزّبير فأمضاه، فاختار المهلّبُ من أهل البصرة ممّنْ يعرف نجدته وشجاعتَه اثني عشر ألفاً، منهم: محمّد بن واسع، وعبد الله بن رياح الأنصاريُّ، ومعاوية بن قُرّة[5] المُزَنيُّ، وأبو عِمران الجَوْنيُّ، وخرج المهلّب إلى الخوارج وهم عند الجسر الأصغر، فحاربهم وهو في وجوه الناس وأشرافهم، فدفعهم عن الجسر، ولم يكن بقي إلّا أن يدخلوا، فارتفعوا إلى الجسر الأكبر، فسار إليهم في الخيل والرجال. فلمّا رأوه قد قاربهم ارتفعوا فوق ذلك.

---

(١) في الأوربية: «زيد».

(٢) في (ب): «بن ربيعة».

(٣) الطبري ٥/٦١٣ ـ ٦١٥.

(٤) في (ب): «بولايته».

(٥) في (ر): «مرة».

ولما بلغ حارثةَ بن بدر[1] تأميرُ المهلّب على قتال الأزارقة قال لمن معه [من] الناس:

كَرْنِبوا ودَوْلِبوا حيثُ شئتُم فاذهَبُوا[2]

فأقبل بمن معه نحو البصرة، فردّ الحارثَ بن أبي ربيعة إلى المهلّب، وركب حارثة في سفينة في نهر دُجَيل يريد البصرة، فأتاه رجل من تميم وعليه سلاحه والخوارج وراءه، فصاح التّميميُّ بحارثة يستغيث به ليحمله معه، فقرّب السفينة إلى شاطىء النهر، وهو جُرف، فوثب التّميميُّ إليها، فغاصت بجميع من فيها فغرقوا.

وأمّا المهلّب، فإنّه سار حتّى نزل بالخوارج، وهم بنهر تِيرى[3]، وتنحّوا عنه إلى الأهواز، وسيّر المهلّب إلى عسكرهم الجواسيس تأتيه بأخباره، فلمّا أتاه خبرهم سار نحوهم، واستخلف أخاه المعارك بن أبي صُفْرَة على نهر تِيرَى، فلمّا وصل الأهواز قاتلتِ الخوارج مقدّمته، وعليهم ابنه المغيرة بن المهلّب بن أبي صُفْرة، فجال أصحابه ثمّ عادوا.

فلمّا رأى الخوارج صبرهم ساروا عن سوق الأهواز إلى مَناذر، فسار يريدهم، فلمّا قاربهم سيّر الخوارج جمعاً، عليهم واقد مولى أبي صُفْرة إلى نهر تِيرى، وبها المعارك، فقتلوه وصلبوه، وبلغ الخبر إلى المهلّب، فسيّر ابنَه المغيرة إلى نهر تِيرى، فأنزل عمّه المعارك ودفنه، وسكّن الناس، واستخلف بها جماعةً، وعاد إلى أبيه وقد نزل سُولاف[4].

وكان المهلّب شديد الاحتياط والحذر، لا ينزل إلّا في خندق، وهو على تعبية، ويتولّى الحرسَ بنفسه، فلمّا نازل الخوارجَ بسولاف ركبوا ووقفوا له، واقتتلوا قتالاً شديداً صبر فيه الفريقان، ثمّ حملت الخوارج حملةً صادقةً على المهلّب وأصحابه، فانهزموا وقُتل منهم، وثبت المهلّب، وأبلى ابنُه المغيرة يومئذٍ بلاءً حسناً، ظهر فيه أثره، ونادى المهلّب أصحابه، فعادوا إليه معهم جمع كثير نحو أربعة آلاف فارس، فلمّا كان الغد أراد القتال بمن معه، فنهاه بعضُ أصحابه لضعفهم، وكثرة الجراح فيهم، فترك القتال، وسار وقطع دُجَيْل، ونزل بالعاقول، لا يؤتَى إلّا من جهة واحدة، (وفي يوم سُولاف يقول ابن قيس الرُّقيّات:

---

(١) في الأوربية: «زيد».

(٢) الطبري ٥/٦١٧ وزاد «قد أُمِّرَ المهلَّبُ».

(٣) في (ر): «تبرا»، و (ب): «برى»، و (ش): «جرى».

(٤) سولاف: بضم أوله وسكون ثانيه، قرية في غربي دُجيل من أرض خوزستان قرب مناذر الكبرى. (معجم البلدان ٣/٢٨٥).

ألا طـرقَـتْ مِنْ آلِ مَـيَّـةَ[1] طـارِقَـهْ		على أنّهـا مَعشُـوقـةُ الـدَّلّ عـاشـقَـهْ
تميسُ[2] وأرضُ السّـوسِ بَيني وبَينَهـا		وسُـولافُ رستـاقٌ حـمَـتـهُ الأزارِقَـهْ
إذا نـحنُ شتّى صـادفـتْنـا[3] عـصـابَـةٌ		حَـرُوريّـةٌ أضحتْ مـنَ الـدِّين مـارقَـهْ
أجـازت[4] إلَينـا العسكـرَينِ كـلَيهِـمـا		فبـاتَتْ لَـنـا دونَ اللّحـافِ مُـعـانِقَـهْ[5]

وقال فيه بعض الخوارج:

وكـائنْ تـركْنـا يـوْمَ سُـولافَ منهُمُ		أسارَى وقتلى في الجحيمِ مَصِيرُها

وأكثرَ الشعراءُ فيه.

فلمّا وصل المهلّب إلى العاقول نزل فيه)[6]، وأقام ثلاثة أيّام، ثمّ ارتحل وسار نحو الخوارج، وهم بسِلَّى وسِلَّبْرَى[7]، فنزل قريباً منهم، وكان كثيراً ما يفعل أشياء يحدّث بها الناس، لينشطوا إلى القتال، فلا يرون لها أثراً، (حتّى قال الشاعر:

أنـتَ الـفَـتـى كـلّ الـفَـتـى		لـو[8] كـنـتَ تـصـدق مـا تـقـول)[9]

وسمّاه بعضهم: الكذّاب، وبعض الناس يظنّ أنّه كذّاب في كلّ حال، وليس كذلك، إنّما كان يفعل ذلك مكايدة للعدوّ.

فلمّا نزل المهلّب قريباً من الخوارج وخندق عليه، وضع المسالح، وأذكى العيونَ والحرسَ، والناس على راياتهم ومواقفهم، وأبواب الخندق محفوظة، فكان الخوارج إذا أرادوا بَياته وغِرّته وجدوا أمراً محكماً فرجعوا، فلم يقاتلْهم إنسان كان أشدّ عليهم منه.

ثمّ إنّ الخوارج أرسلوا عُبيدة بن هلال، والزّبير بن الماحوز في عسكر ليلاً إلى عسكر المهلّب ليبيّتوه، فصاحوا بالناس عن يمينهم ويسارهم، فوجدوهم على تعبية قد

---

(١) في الكامل في اللغة والأدب «بَيْبَة».
(٢) في الأوربية: تميتُ؛ و (آ): «تبيست»، وفي الكامل للمبرّد: «تبيت».
(٣) في الأوربية: شتّا صادقتنا؛ وفي الكامل «شتنا».
(٤) في الأوربية: «أحادتْ».
(٥) الأبيات الثلاثة الأولى في الكامل للمبرّد ٢/١٣٩.
(٦) ما بين القوسين من (ب).
(٧) سِلَّى وسِلَّبْرَى: بكسر أوله وثانيه وتشديده وقصر الألِف. وقيل: سلى بالضم وفتح اللام، وهو جبل بمناذر من أعمال الأهواز. (الفتوح لابن أعثم ٦/١٧) ووردت: سليرى في: الكامل للمبرّد ٢/٢٣٦.
(٨) في (آ): «أن».
(٩) ما بين القوسين من (ب).

حـذروا، فلم ينالـوا منهم شيئاً، وأصبـح المهلّب، فخـرج إليهم في تعبيـة، وجعـل الأزدَ وتميمـاً ميمنةً، وبكـرَ بن وائلٍ وعبدَ القيس ميسرةً، وأهـلَ العـاليـة في القلب، وخـرجت الخوارج وعلى ميمنتهم عبيدةُ بن هـلال اليشكُريُّ، وعلى ميسـرتهم الزُّبيـرُ بن الماحـوز، وكانوا أحسن عـدّة وأكرم خيـلاً[1] من أهل البصـرة لأنّهم مخروا الأرض وجـرّدوها مـا بين كَرْمان إلى الأهواز، فالتقى الناس واقتتلوا أشدّ قتال، وصبر الفريقان عـامّة النهـار، ثمّ إنّ الخـوارج شدّتْ على النـاس شدّةً منكـرةً، فأجفلوا وانهـزموا لا يلوي أحـد [على أحدٍ]، حتى بلغت الهزيمةُ البصرة، وخاف أهلُها السباءَ.

وأسرعَ المهلّب حتّى سبق المنهزمين إلى مكان مرتفـع[2]، ثمّ نادى: إليّ عبـادَ الله! فاجتمع إليه ثلاثـةُ آلاف أكثرهم من قـومه من الأزد، فلمّـا رآهم رضي عدّتهم، فخـطبهم وحثّهم على القتـال، ووعدهم النصـر، وأمرهـم أن يـأخذ كـلّ رجل منهم عشـرة أحجار، وقـال: سيـروا بنـا نحـو عسكـرهم، فـإنّهم الآن آمنـون، وقـد خـرجتْ خيلهم في طلب إخـوانكم، فوالله إنّي لأرجـو أن لا يرجـع إليهم خيلهم حتّى تستبيحوا عسكـرهم، وتقتلوا أميرهم. فأجابوه، فأقبل بهم راجعاً، فما شعرت الخوارج إلّا والمهلّب يقاتلهم في جانب عسكرهم، فلقِيهم عبد الله بن المـاحوز والخـوارج، فرمـاهم أصحاب المهلّب بـالأحجار حتّى أثخنوهم، ثمّ طعنوهم بالرماح وضربوهم بالسيوف، فاقتتلوا ساعة، فقُتل عبد الله بن المـاحوز وكثيـرٌ من أصحابـه، وغَنِم المهلّب عسكـرهم، وأقبـل من كـان في طلب أهـل البصرة راجعاً، وقد وضع المهلّب لهم خيلاً ورجالاً تختـطفهم وتقتلهم، وانكفأوا راجعين مذلولين مغلوبين، فارتفعوا إلى كَرمان وجانب أصبهان.

(قال بعض الخوارج لما رأى قتال أصحاب المهلّب بالحجارة.

أتـانـا بـأحـجـارٍ لـيـقـتـلَـنـا بـهـا ... وهـل تُقتل الأقـران ويحك بـالحجرْ)[3]

ولما فرِغ المهلّب منهم أقام مكانَه حتّى قدِم مُصْعَب بن الـزّبير على البصـرة أميراً، وعزل الحارثَ بن أبي ربيعة؛ (وفي هذا اليوم يقول الصَّلَتان[4] العبديُّ:

بـسِلّى وسِـلَّبْـرَى مَـصـارعُ فـتـيَـةٍ ... كـرامٍ وقتلى[5] لم تُـوَسَّـدْ خـدودُهـا[6]

---

(١) في الأوربية: «خيل».
(٢) الطبري ٥/٦١٨ «إلى مكان يَفاع».
(٣) ما بين القوسين من (ب).
(٤) في الأوربية: «الصلبان».
(٥) في الأوربية: «كرام وجرحى».
(٦) الطبري ٥/٦١٩.

فلما قُتل عبد الله بن الماحوز)[1] استخلف الخوارجُ الزُّبَيرَ بن الماحوز.

وكتب المهلّب إلى الحارث بن أبي ربيعة يعرّفه ظفره، فأرسل الحارثُ الكتابَ إلى ابن الزّبير بمكّة ليقرأه على الناس هناك، وكتب الحارث إلى المهلّب: (أمّا بعدُ، فقد بلغني كتابُك تذكر فيه نصرَ الله وظفرَ المسلمين، فهنيئاً لك يا أخا الأزد شرف الدنيا وعزّها، وثواب الآخرة وفضلها. فلمّا قرأ المهلّب كتابه ضحك وقال: أما يعرفني إلاّ بأخي الأزد! ما هو إلاّ أعرابيّ جافٍ)[2].

وقيل: إنّ عثمان بن عُبيد الله بن مَعْمر قاتل الخوارج ونافع بن الأزرق قبل مسلم، فقُتل عثمان وانهزم أصحابُه بعد أن قُتل من الخوارج خلقٌ كثير، (فسُيّر إليهم من البصرة بعده حارثة بن بدر الغُدانيُّ[3]، فلمّا رآهم عرف أنّه لا طاقة له بهم، فقال لأصحابه:

كَرْنِبوا ودَوْلِبوا كَيفَ شِئتُم فاذْهَبُوا[4]

يعني ما شاء؛ ثمّ سار بعده مسلم بن عُبَيْس)[5].

وقيل: إنّ المهلّب لما دفع الخوارج من البصرة إلى ناحية الأهواز أقام بقيّة سنته يَجْبي كُوَر دجلة، ورَزَق أصحابه، وأتاه المدد من البصرة حتّى بلغ أصحابه ثلاثين ألفاً.

فعلى هذا تكون هزيمة الخوارج سنة ستّ وستّين.

ذكر نَجْدَة بن عامر الحنفيّ

هو نَجْدَة بن عامر بن عبد الله بن ساد بن المفرّج الحنفيُّ، وكان مع نافع بن الأزرق، ففارقه لإحداثه في مذهبه ما تقدّم ذكره، وسار إلى اليمامة، ودعا أبا طالوت إلى نفسه، فمضى إلى الخضارم[6] فنهبها، وكانت لبني حنيفة، فأخذها منهم معاوية بن أبي سفيان، فجعل فيها من الرقيق ما عدّتهم وعدّة أبنائهم ونسائهم أربعة آلاف، فغنم ذلك وقسّمه بين أصحابه، وذلك سنة خمسٍ وستّين، فكثُر جمْعه.

ثمّ إنّ عِيراً خرجتْ من البحرين، وقيل من البصرة، تحمل مالاً وغيره يُراد بها ابن

---

(١) ما بين القوسين من (ب).

(٢) ما بين القوسين من (ب)، وفي تاريخ الطبري ٥/٦٢٠ «أما تظنّونه يعرفني إلاّ بأخي الأزد، ما أهل مكة إلا أعراب».

(٣) في الأوربية: «حارثة بن يزيد العبداني».

(٤) تقدّم مثله قبل قليل.

(٥) ما بين القوسين من (ب).

(٦) في طبعة صادر ٤/٥٤ «الحضارم» بالحاء المهملة، والخضارم: وادٍ باليمامة.

الزّبير، فاعترضها نَجْدة، فأخذها وساقها حتّى أتى بها أبا طالوت بالخضارم، فقسّمها بين أصحابه، وقال: اقتسموا هذا المال، ورُدّوا هؤلاء العبيد، واجعلوهم يعملون الأرض لكم، فإنّ ذلك أنفع. فاقتسموا المالَ وقالوا: نجدة خير لنا من أبي طالوت؛ فخلعوا أبا طالوت وبايعوا نَجدة وبايعه أبو طالوت، وذلك في سنة ستٍ وستّين، ونجدة يومئذ ابن ثلاثين سنة.

ثمّ سار في جمْع إلى بني كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعة، فلقِيهم بذي المجاز، فهزمهم وقتلهم قتلاً ذريعاً، وصبر كِلاب وعطيف ابنا قُرّة بن هبيرة القُشيريّان، وقاتلا حتّى قُتلا، وانهزم قيس بن الرقاد الجَعْديُّ، فلحِقه أخوه لأبيه معاوية، فسأله أن يحمله رِدْفاً، فلم يفعل.

ورجع نجدة إلى اليمامة، فكثُر أصحابه، فصاروا ثلاثة آلاف، ثمّ سار نجدة إلى البحرين سنة سبْع وستّين، فقالت الأزد: نجدة أحبّ إلينا من وُلاتنا، لأنّه يُنْكر الجُور ووُلاتنا يجوّزونه، فعزموا على مُسالَمته، واجتمعتْ عبد القيس ومَن بالبحرين غير الأزد على محاربته، فقال بعض الأزد: نجدة أقرب إليكم منه إلينا، لأنّكم كلّكم من ربيعة فلا تحاربوه! وقال بعضهم: لا نَدَعُ نجدة وهو حَرُوريٌّ مارق تجري علينا أحكامه. فالتقوا بالقطيف، فانهزمت عبدُ القيس، وقُتل منهم جمعٌ كثير، وسبَى نجدة مَنْ قدر عليه من أهل القطيف؛ (فقال الشاعر:

نَصَحتُ لعبدِ القَيسِ يومَ قَطيفِها ... وما نَفْعُ نُصْحٍ، قيل، لا يُتَقَبَّلُ)[1]

وأقامَ نجدةُ بالقَطيف، ووجّه ابنَه المطرّحَ في جمع إلى المنهزمين من عبد القيس، فقاتلوه بالثُّوَيْر، فقُتل المطرّح بن نجدة وجماعة من أصحابه.

وأرسل نجدةُ سريّةً إلى الخط فظفر بأهله، وأقام نجدة بالبحرين، فلمّا قدِم مُصْعَب بن الزّبير إلى البصرة سنة تسع وستّين بعث إليه عبدَ الله بن عُمَير الليثيَّ الأعور في أربعة عشر ألفاً، (فجعل يقول: اثبتْ نجدة فإنّا لا نفرّ)[2]، فقدِم ونجدة بالقَطيف، فأتى نجدة إلى ابن عُمَير، وهو غافل، فقاتلهم طويلاً وافترقوا، وأصبح ابنُ عمير، فهاله ما رأى في عسكره من القتلى والجرحى، وحمل عليهم نجدة، فلم يلبثوا أن انهزموا، فلم يُبْقِ عليهم نجدة، وغَنِم ما في عسكرهم، وأصاب جواري فيهنّ أمّ ولد لابن عُمَير، فعرض عليها أن يرسلها إلى مولاها فقالت: لا حاجة بي إلى من فرعني وتركني.

---

(١) ما بين القوسين من (ب).

(٢) ما بين القوسين من (ب).

وبعث نجدةُ أيضاً بعد هزيمة ابن عُمَير جيشاً إلى عُمان، واستعمل عليهم عطيّةَ بن الأسود الحنفيَّ، وقد غلب عليها عَبّاد بن عبد الله، وهو شيخ كبير، وابناه سعيد وسليمان يعشّران السفن ويَجبيان البلاد، فلمّا أتاهم عطيّةُ قاتلوه، فقُتل عبّاد، واستولى عطيّةُ على البلاد، فأقام بها أشهراً، ثمّ خرج منها واستخلف رجلاً يُكَنّى أبا القاسم، فقتله سعيد وسليمان ابنا عبّاد وأهل عُمان.

ثمّ خالف عطيّةُ نجدةَ، على ما نذكره إن شاء الله، فعاد إلى عُمان، فلم يقدر عليها، فركب في البحر وأتى كَرْمان وضرب بها دراهم سمّاها العَطَويّة، وأقام بكَرمان. فأرسل إليه المهلّب جيشاً، فهرب إلى سِجِسْتان ثمّ إلى السِّند، فلقِيه خيلُ المهلّب بقَنْدابيل[1] فقتله، وقيل: قتله الخوارج.

ثمّ بعث نجدةُ إلى البوادي بعد هزيمة ابن عُمَير أيضاً مَنْ يأخذ من أهلها الصدقةَ، فقاتل أصحابُه بني تميم بكاظمة، وأعان أهلُ طُوَيْلع بني تميم، فقتلوا من الخوارج رجلاً، فأرسل نجدةُ إلى أهل طُوَيْلع مَنْ أغار عليهم وقتل منهم نيّفاً وثلاثين رجلاً وسَبى. ثمّ إنّه دعاهم بعد ذلك فأجابوه، فأخذ منهم الصدقة، ثمّ سار نجدةُ إلى صنعاء في خِفّ[2] من الجيش، فبايعه أهلها وظنّوا أن وراءه جيشاً كثيراً، فلمّا لم يرَوا مَدَداً يأتيه ندموا على بيعته، وبلغه ذلك فقال: إن شئتم أقلتكم بَيعتكم، وجعلتكم في حِلّ منها وقاتلتكم. فقالوا: لا نستقيل بيعتنا. فبعث إلى مخاليفها، فأخذ منهم الصدقة، وبعث نجدةُ أبا فُدَيْك إلى حضرموت، فجبَى صدقات أهلها.

وحجّ نجدةُ سنة ثمانٍ وستّين، وقيل: سنة تسعٍ وستّين، وهو ثمانمائة وستّين رجلاً، وقيل في ألفَيْ رجل وستّمائة رجل، وصالح ابنَ الزّبير على أن يصلّي كلّ واحد بأصحابه ويقف بهم، ويكفّ بعضهم عن بعض.

فلمّا صدر نجدة عن الحجّ سار إلى المدينة، فتأهّب أهلُها لقتاله، وتقلّد عبدُ الله بن عمر سيفاً، فلمّا كان نجدة بنَخل أُخْبِر بلبْس ابن عمر السلاح، فرجع إلى الطائف، وأصاب بنتاً لعبد الله بن عَمرو بن عثمان كانت عند ظِئرٍ لها، فضمّها إليه، فقال بعضُ أصحابه: إنّ نجدة ليتعصّب لهذه الجارية فامتحنوه، فسأله بعضهم بيعها[3] منه، فقال: قد أعتقتُ نصيبي منها، فهي حرّة. قال: فزوّجْني إيّاها. قال: هي بالغ وهي

---

(١) قندابيل: بالفتح ثم السكون والدال المهملة وبعد الألف باء موحّدة مكسورة ثم ياء بنقطتين من تحت ولام. مدينة بالسند قصبة لولاية. (مراصد الإطلاع).

(٢) الخِف: بالكسر، الجماعة: القليلة.

(٣) في الأوربية: «ببيعها».

أَمْلَكُ بنفسها، فأنا أستأمرها؛ فقام من مجلسه ثمّ عاد، قال: قد استأمرتُها وكرهت الزواج[1].

فقيل: إنّ عبد الملك، أو عبد الله بن الزُبير كتب إليه: واللّهِ لئنْ أحدثتَ فيها حَدثاً لأطأنّ بلادك وطأة لا يبقى معها بِكْرِيٌّ.

وكتب نجدة إلى ابن عمر يسأله عن أشياء، فقال: سلوا ابن عبّاس، فسألوه، ومُساءلة ابن عبّاس مشهورة.

ولما سار نجدة من الطائف أتاه عاصم بن عُرْوَة بن مسعود الثقفيُّ، فبايعه عن قومه، ولم يدخل نجدةُ الطّائف، فلمّا قدِم الحَجّاج الطائفَ لمحاربة ابنِ الزُّبير قال لعاصم: يا ذا الوَجْهين بايعتَ نجدة! قال: إي والله وذو عشرة أوجُه، أعطيتُ نجدة الرّضى، ودفعته عن قومي وبلدي.

واستعمل الحاروقَ، وهو حرّاق، على الطائف وتَبالة والسَّراة، واستعمل سعدَ الطلائع على ما يلي نَجْران، ورجع نجدةُ إلى البحرين، فقطع المِيرة عن أهل الحرمَين منها ومن اليمامة، فكتب إليه ابن عبّاس: إنّ ثُمامة بن أُثال لما أسلم قطع الميرة عن أهل مكّة وهم مشركون، فكتب إليه رسول الله ﷺ: إنّ أهل مكّة أهل الله فلا تمنعْهم الميرة، فجعلها لهم، وإنّك قطعتَ الميرةَ عنّا ونحن مسلمون. فجعلها نجدةُ لهم.

ولم يزلْ عمّال نجدة على النواحي حتّى اختلف عليها أصحابه[2]، فطمع فيهم الناس؛ فأمّا الحاروق فطلبوه[3] بالطّائف فهرب، فلمّا كان في العَقَبة في طريقه، لحِقه قومٌ يطلبونه، فرموه بالحجارة حتّى قتلوه.

ذكر الاختلاف على نَجْدَة وقتله وولاية أبي فُدَيْك

ثمّ إنّ أصحاب نجدة اختلفوا عليه لأسباب نقموها منه، فمنها: أنّ أبا سِنان حيّ بن وائل أشار على نجدة بقتل مَنْ أجابه تَقِيّة، فشتمه نجدة، فهَمّ بالفتك به، فقال له نجدة: كلّف الله أحداً علم الغيب؟ قال: لا. قال: فإنّما علينا أن نحكم بالظاهر. فرجع أبو سِنان إلى نجدة.

ومنها: أنّ عطيّة بن الأسود خالف على نجدة، وسببه أن نجدة سيّر سريّةً بحراً

---

(١) في الأوربية: «الزوج».

(٢) نهاية الأرب ٢١/٥٤ - ٥٧.

(٣) الأوربية: «فطالبوه».

وسريّةً برّاً، فأعطى سريّة البحر أكثر من سريّـة البرّ، فنـازعه عـطيّةُ حتّى أغضبـه، فشتمه نجدة، فغضب عليه وألّب الناس عليه. وكُلّم نجـدة في رجلٍ يشـرب الخمر في عسكـره فقـال: هو رجـل شديـد النكايـة على العدوّ، وقـد استنصر رسـول الله ﷺ، بالمشـركين وكتب عبد الملك إلى نجدة يدعوه إلى طاعته ويـولّيه[1] اليمـامة، ويُهْـدر له مـا أصاب من الأموال والدماء، فطعن عليه عطيّـة وقال: مـا كاتبـه عبد الملك حتّى علم منـه دهانـاً في الدّين، وفارقه إلى عُمان.

ومنها أنّ قوماً فارقوا نجدة واستتـابوه، فحلف أن لا يعـود، ثمّ ندمـوا على استتابتـه وتفرّقوا، ونقموا عليه أشياء أُخَر، فخالف عليه عامّة مَنْ معـه، فانحـازوا عنه وولّـوا أمرهم أبا فُدَيك عبد الله بن ثَوْر، أحد بني قيس بن ثعلبة، واستخفى نجدةُ، فـأرسل أبـو فُدَيْـك في طلبه جماعةً من أصحابه وقال: إنْ ظفرتم به فجيئـوني به. وقيـل لأبي فُدَيـك: إن لم تقتل نجدة تفـرّق الناس عنـك، فألحّ في طلبه. وكـان نجدة مستخفيـاً في قريـة من قرى حجر، وكان للقوم الذين اختفى عندهم جاريةٌ يخالف إليهـا راعٍ لهم، فأخـذت الجاريـة من طِيبٍ كان مع نجدة، فسألها الراعي عن أمرَ الطِّيب، فأخبرتْهُ، فأخبر الراعي أصحاب أبي فُدَيْك بنجدة، فطلبوه، فنذِر بهم، فأتَى أخوالَه من بني تميم، فاستخفى عنـدهم. ثمّ أراد المسيـر إلى عبد الملك، فـأتَى بيته ليعهـد إلى زوجته، فعلم بـه الفُدَيكيّـة وقصدوه، فسبق إليه رجلٌ منهم فأعلمه، فخرج وبيده السيف، فنـزل الفُدَيكيّ عن فـرسه وقـال: إنّ فـرسي هذا لا يُـدْرَك فاركبْـه، فلعلّك تنجو عليـه. فقال: مـا أُحبّ البقاء، ولقـد تعرّضتُ للشهادة في مواطن ما هذا بأحسنها[2]، وغشِيه أصحاب أبي فُـدَيك فقتلوه، وكـان شجاعـاً كريماً، (وهو يقول:

وإن جـرّ مَـوْلانـا علَينـا جـريـرَةً ... صَبرْنـا لهـا إنّ الكـرامَ الـدّعـائِمُ)[3]

ولما قُتل نجدة سخّط قتلَه قوماً من أصحاب أبي فُـدَيْك ففـارقوه، وثـار به مِسلم بن جُبَيـر، فضربـه اثنتي عشرة[4] ضـربة بسكّين، فقُتـل مسلم، وحُمل أبـو فُديـك إلى منزلـه فبرأ[5].

---

(١) في الأوربية: «وتولية».
(٢) في (ب): «باخسها».
(٣) ما بين القوسين من (ب).
(٤) في الأوربية: «اثني عشر».
(٥) نهاية الأرب ٢١/ ٥٨.

ذكر استعمال مُصْعَب على المدينة

في هذه السنة عزل عبدُ الله بن الزبير أخاه عُبَيْدة بن الزُّبير عن المدينة، واستعمل أخاه مُصْعباً.

وسبب ذلك أنّ عُبيدة خطب الناس فقال لهم: قد ترون ما صنع الله بقومٍ في ناقةٍ قيمتها خمسة دراهم، فسُمّي مقوِّم الناقة، فبلغ ذلك أخاه عبد الله، فعزله واستعمل مُصعَباً[1].

ذكر بناء ابن الزّبَير الكعبة

لما احترقت الكعبةُ حين غزا أهلُ الشام عبدَ الله بن الزبير أيّام يزيد، تركها ابن الزبير، يشنّع بذلك على أهلِ الشام، فلمّا مات يزيد واستقرّ الأمرُ لابن الزّبير شرع في بنائها، فأمر بهدمها حتّى أُلحِقت بالأرض، وكانت قد مالت حيطانها من حجارة المنجنيق، وجعل الحجر الأسود عنده، وكان الناس يطوفون من وراء الأساس، وضرب عليها السُّور، وأدخل فيها الحِجْر، (واحتجّ بأنّ رسول الله ﷺ، قال لعائشة: «لولا حدثان عهد قومك بالكُفْر لرددْتُ الكعبة على أساس إبراهيم وأزيد فيها الحِجْر)[2].

فحفر ابنُ الزُّبير، فوجد أساساً أمثال الجِمال، فحرّكوا منها صخرةً، فبرقت بارقة فقال: أقِرّوها على أساسها وبنائها، وجعل لها بابَين يُدْخل من أحدهما ويُخرج من الآخر.

وقيل: كانت عمارتها سنة أربعٍ وستّين[3].

---

(١) نهاية الأرب ٢١/٥٩.

(٢) ما بين القوسين من (ب).
والحديث صحيح، عن عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري في العلم ١٩٨/١ و ١٩٩ باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهْم بعض الناس عنه فيقعوا في أشدّ منه، وفي الحج، باب فضل مكة وبنيانها، وفي الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾؛ وفي تفسير سورة البقرة، باب قوله تعالى: ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت﴾، وفي التمنّي، باب ما يجوز من الله.
وأخرجه مسلم في الحج (١٣٣٣) باب نقض الكعبة وبنائها.

(٣) أنظر عن بناء الكعبة في: تاريخ خليفة ٢٦١، وتاريخ اليعقوبي ٢/٢٦٠، وأنساب الأشراف ج ٤ ق ١/٣٤٩ رقم ٩٠٠، وتاريخ الطبري ٥/٦٢٢، وأخبار مكة للأزرقي ٢/٦٩ ـ ٧١، ومروج الذهب ٣/٩٢، والأخبار الطوال ٢٨٧، ٢٨٨، وتاريخ العظيمي ١٨٧، ونهاية الأرب ٢١/٦٠، ٦١، والأغاني ٣/٢٧٧، وتاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ص ٣٩، ٤٠، والبداية والنهاية ٨/٢٥٠، ٢٥١، وشفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ١/٣٤٢، ومآثر الإنافة ١/١٢٣.

ذكر الحرب بين ابن خازم وبني تميم

في هذه السنة كانت الحرب بين ابن خازم السُّلَميّ وبني تميم بخُراسان.

وسبب ذلك أنّ مَنْ كان بخُراسان من بني تميم أعانوا ابن خازم على مَنْ بها من ربيعة، وقد تقدّم ذكر ذلك، فلمّا صفتْ له خُراسان جفا بني تميم، وكان قد جعل ابنه محمّداً على هَراة، وجعل على شُرطته بُكَير بن وَسَّاج، وضمّ إليه شمّاس بن دِثار العُطارديّ، وكانت أمّ محمد تميميّة، فلمّا جفا ابن خازم بني تميم أتوا ابنه محمّداً بهَراة، فكتب ابن خازم إلى ابنه محمّد وإلى بُكير وشمّاس يأمرهم بمنعهم عن هَراة، فأمّا شمّاس فصار مع بني تميم، وأمّا بُكير فإنّه منعهم، فأقاموا ببلاد هَراة، فأرسل بُكَير إلى شمّاس: إنّي أعطيتُك ثلاثين ألفاً، فأعطِ كلّ رجلٍ من بني تميم ألفاً على أن ينصرفوا.

فأَبَوا عليه، وأقاموا يترصّدون محمّداً، فخرج يتصيّد، فأخذوه وشدّوه وثاقاً، وشربوا ليلتهم، وجعلوا يبولون عليه كلّما أرادوا البَوْل، فقال لهم شمّاس: أما إذ بلغتم هذا منه فاقتلوه بصاحبَيْكما اللّذين قتلهما بالسِّياط. وكان قد ضرب رجلَين من تميم بالسّياط حتّى ماتا. فقاموا إليه ليقتلوه، فنهاهم عنه جَيْهان بن مَشْجَعَة[1] الضَّبّيُّ، وألقى نفسه عليه، فلم يقبلوا منه وقتلوا محمّداً. فشكر ابن خازم لجَيْهان ذلك، [فلم] يقتله[2] فيمَنْ قتل [يومَ] فَرْتنا[3].

وكان الذي تولّى قتل محمّد رجلان، اسم أحدهما عجلة، واسم الآخر كُسَيب. فقال ابن خازم: بئس ما اكتسب كُسيب لقومه، ولقد عجّل عَجَلة لقومه شرّاً[4].

وأقبلت تميم إلى مَرْو، وأمّروا عليهم الحَريش بن هلال القُرَيعيَّ، وأجمع أكثرهم على قتال ابن خازم، فقاتل الحَريشُ بن هلال عبدَ الله بن خازم سنتَين، فلمّا طالت الحربُ خرج الحَريش فنادى ابنَ خازم وقال له: طالت الحرب بيننا، فعلامَ تقتل قومي وقومك؟ ابرزْ إليّ فأيّنا قتلَ صاحبه صارت الأرض له.

فقال له ابن خازم: قد أنصفتَ. فبرز إليه فتضاربا وتصاولا تصاول الفحلَين، لا يقدر أحدهما على صاحبه، ثمّ غفل ابن خازم، فضربه الحَريش على رأسه، فألقى فروةَ رأسه على وجهه، وانقطع ركاب الحَريش وانتزع السيف، ولزم ابنُ خازم عنق فرسه

---

(١) في الأوربية: «حيّان بن مشجة».

(٢) في الأوربية: «بقتله».

(٣) في الأوربية: «قريباً». وفرْتَنا: فَرْتَنى: بفتح أوله، وسكون ثانيه، وتاء مثنّاة من فوق، ونون مفتوحة، مقصور. هو قصر بمرو الروذ.

(٤) الطبري ٥/٦٢٣، ٦٢٤.

راجعاً إلى أصحابه، ثمّ غاداهم القتال، فمكثوا بذلك بعد الضربة أيّاماً، ثمّ ملَّ الفريقان، فتفرّقوا ثلاث فِرَق: فرقة إلى نَيْسابور مع بَحير بن ورقاء، وفرقة إلى ناحية أخرى، وفرقة فيها الحَريش إلى مرو الرُّوذ، فاتّبعه ابن خازم إلى قرية تسمّى الملحمة، والحَريش في اثني عشر رجلاً، وقد تفرّقتْ عنه أصحابه، وهم في خربة، فلمّا انتهى إليه ابن خازم خرج إليه في أصحابه، فحملَ مولًى لابن خازم على الحَريش، فضربه فلم يصنع شيئاً، فقال الحَريش لرجل معه: إنّ سيفي لا يصنع في سلاحه شيئاً، فأعطِني خشبة، فأعطاه عوداً من عُنّاب، فحمل على المولى فضربه، فسقط وقيذاً، ثمّ قال لابن خازم: ما تريد منّي وقدخلّيتُك والبلاد؟ قال: إنّك تعود إليها. قال: لا أعود، فصالحه على أن يخرج من خُراسان، ولا يعود إلى قتاله، فأعطاه ابن خازم أربعين ألفاً، وفتح له الحَرِيش باب القصر، فدخله ابن خازم، وضمن له وفاء دَيْنه، وتحدّثا طويلاً.

وطارت قطنةٌ عن الضَّربة التي برأس ابن خازم، فأخذها الحَرِيش ووضعها مكانها، فقال له ابن خازم: مسُّك اليوم ألْين من مسّك أمس. فقال الحَرِيش: معذرة إلى الله وإليك، أما والله لولا [أنّ] ركابي انقطع[1] لخالط السيف رأسك، (قال الحَرِيش في ذلك:

أزالَ عُظْمَ ذراعي[2] عَن مُرَكَّبهِ ... حملُ الرُّدينيِّ في الإدلاجِ بالسَّحَرِ[3]
حَوْلَين ما اغتَمَضتْ عَيني بمنزِلَةٍ ... إلّا وكَفّي وِسادٌ لي على حَجَرِ
بَزِّي[4] الحَديدُ وسِرْبالي إذا هَجَعتْ ... عنّي العيونُ مِحال القارح[5] الذَّكَرِ)[6]

* * *

(بَحِير بن ورقاء: بفتح الباء الموحّدة، والحاء المهملة المكسورة. والحَرِيش: بالحاء والراء المهملتَين، والشين المعجمة).

---

(١) في الأوربية: «انقطعوا».
(٢) الطبري ٥/٦٢٦ «يميني».
(٣) الطبري: «والسحر».
(٤) في الأوربية: «يرى».
(٥) في الأوربية: «مجال القالح».
(٦) ما بين القوسين من (ب)، والأبيات في: تاريخ الطبري ٥/٦٢٦.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة وقع طاعون الجارف بالبصرة[1]، وعليها عُبيد الله بن مَعْمَر، فهلك به خلق كثير، فماتت أمّ عُبيد الله، فلم يجدوا لها من يحملها حتّى استأجروا مَنْ حملها[2]، وهو الأمير.

وحجّ بالناس عبد الله بن الزّبير[3]. وكان على المدينة مُصْعَب، وعلى الكوفة ابن مُطيع، وعلى البصرة الحارث بن أبي ربيعة[4] المخزوميُّ، وعلى خُراسان عبد الله بن خازم.

[الوَفَيات]

وفيها توفّي عبد الله بن عمرو بن العاص[5] السَّهْميُّ، وكان قد عَمِي آخر عمره، وكانت وفاته بمصر، وقيل: توفّي سنة ثمانٍ وستّين.

---

(١) يذكر خليفة خبر الطاعون في حوادث سنة ٦٩ هـ. تاريخ خليفة ٢٦٥، وكذلك البلاذري في: أنساب الأشراف ج ٤ ق ٤٦٥/١، وتاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ٦٦.

(٢) نهاية الأرب ٦٣/٢١ البداية والنهاية ٢٦٢/٨.

(٣) تاريخ خليفة ٢٦١، المحبّر ٢٢، تاريخ اليعقوبي ٢٦٨/٢، المعرفة والتاريخ ٣٣١/٣، مروج الذهب ٣٩٨/٤، تاريخ العظيمي ١٨٨، نهاية الأرب ٢١، ٦٣، البداية والنهاية ٢٦٣/٨، شفاء الغرام ٣٤٠/٢، الذهب المسبوك للمقريزي ٢٥، تاريخ دمشق ٤٥٤ و ٤٥٥، مآثر الإنافة ١٢٣/١.

(٤) في طبعة صادر ٢١٠/٤ «الحارث بن ربيعة»، والتصويب من: الأخبار الطوال ٢٧٣، ونهاية الأرب ٦٣/٢١.

(٥) انظر عن (عبد الله بن عمرو) في: تاريخ الإسلام (٦١-٨٠ هـ.) ص ١٦ رقم ٥٥ وفيه مصادر ترجمته.

٦٦

ثم دخلت سنة ستّ وستين[١]

ذكر وثوب المُخْتار بالكوفة

في هذه السنة رابع عشر ربيع الأوّل وثب المختارُ بالكوفة، وأخرج عنها عبدَ الله بن مُطيع عامل عبد الله بن الزّبَير.

وسبب ذلك أنّ سليمان بن صُرَد لما قُتل قدِم من بقي من أصحابه الكوفةَ، فلمّا قدِموا وجدوا المختار محبوساً قد حبسه عبد الله بن يزيد الخَطْميُّ، وإبراهيم بن محمّد بن طلحة، وقد تقدّم ذكر ذلك، فكتب إليه من الحبس يُثني عليهم ويمنّيهم الظفر، ويعرّفهم أنّه هو الذي أمره محمّد بن عليّ، المعروف بابن الحنفيّة، بطلب الثأر، فقرأ كتابَه رِفاعة بن شدّاد، والمُثَنّى بن مُخرِّبة العبديُّ، وسعد بن حُذَيْفة بن اليَمان، ويزيد بن أنَس، وأحمر بن شُمَيط الأحمسيّ، وعبد الله بن شدّاد البَجَليُّ، وعبد الله بن كامل، فلمّا قرأوا كتابه بعثوا إليه ابن كامل يقولون له: إنّنا بحيث يسرّك، فإنْ شئتَ أن نأتيك ونُخْرجك من الحبس فعلنا. فأتاه فأخبره، فسُرّ بذلك وقال لهم: إنّي أخرج في أيّامي هذه[٢].

وكان المختار قد أرسل إلى ابن عمر يقول له: إنّني قد حُبستُ مظلوماً، ويطلب إليه أن يشفع فيه إلى عبد الله بن يزيد، وإبراهيم بن محمّد بن طلحة، فكتب إليهما ابنُ عمر في أمره، فشفّعاه وأخرجاه من السجن وضمناه، وحلّفاه أنّه لا يبغيهما غائلةً، ولا يخرج عليهما ما كان لهما سلطان، فإنْ فعل فعليه ألف بَدَنة ينحرها عند الكعبة، ومماليكه أحرار ذَكَرُهم وأُنثاهم.

فلمّا خرج نزل بداره، فقال لمن يثق به: قاتلهم الله ما أحمقهم حين يرَون أنّي أفي لهم! أمّا حلفي بالله، فإنّني إذا حلفتُ على يمين، فرأيتُ خيراً منها (كفّرتُ عن)[٣]

---

(١) من هنا يبدأ الجزء الرابع من نسخة باريس (ب/ أ).

(٢) الطبري ٦/ ٧، ٨.

(٣) في الأوربية: «أن أكفّر من».

يميني، وخروجي عليهم خير من كفّي عنهم، وأمّا هدي البُدْن وعتْق المماليك فهو أهون عليّ من بصقة، فوددتُ أن تمّ لي أمري، ولا أملك بعده مملوكاً أبداً.

ثمّ اختلفتْ[1] إليه الشيعةُ، واتّفقوا على الرضى به، ولم يزل أصحابه يكثرون، وأمرُه يقوى حتّى عزل ابنُ الزبير عبدَ الله بن يزيد الخَطْميَّ، وإبراهيم بن محمّد بن طلحة، واستعمل عبدَ الله بن مطيع على عملهما بالكوفة، فلقِيه بَحير بن ريسان[2] الحِمْيريُّ عند مسيره إلى الكوفة، فقال له: لا تَسِرِ الليلة، فإنّ القمر بالناطح فلا تَسِرْ، فقال له: وهل نطلب إلاّ النطح! فلقي نطحاً كما يريد، فكان البلاء موكَّلاً بمنطقه، وكان شجاعاً.

وسار إبراهيم إلى المدينة، وكسر الخراج وقال: كانت فتنة، فسكت عنه ابنُ الزّبير.

وكان قدوم ابن مطيع في رمضان لخمسٍ بقين منه، وجعل على شُرطته إياسَ بن مُضارب[3] العِجْليَّ، وأمره بحُسْن السيرة والشّدّةَ على المُريب، ولما قدِم صعِد المنبر، فخطبهم وقال: أمّا بعدُ، فإنّ أمير المؤمنين بعثني على مِصركم وثغوركم، وأمرني بجباية فَيْئكم، وأن لا أحمل فضل فَيْئكم عنكم إلاّ برضى منكم، وأن أتبع وصيّة عمر بن الخطّاب الّتي أوصى بها عند وفاته، وسيرة عثمان بن عفّان، فاتّقوا الله واستقيموا[4] ولا تختلفوا، وخذوا على أيدي سفهائكم، فإن لم تفعلوا فلوموا أنفسكم [ولا تلوموني]، فوالله لأوقعنّ بالسقيم العاصي، ولأقيمنّ درء الأصعر[5] المرتاب.

فقام إليه السائب بن مالك الأشعريُّ فقال: أمّا حمل فيئنا برضانا، فإنّا نشهد أنّا لا نرضى أن يُحْمَل عنّا فضله، وأن لا يُقسم إلاّ فينا، وأن لا يُسار فينا إلاّ بسيرة عليّ بن أبي طالب التي سار بها في بلادنا هذه حتّى هلك، ولا حاجة لنا في سيرة عثمان في فَيئنا ولا في أنفسنا، ولا في سيرة عمر بن الخطّاب فينا، وإن كانت أهوَن السيرتَين علينا، وقد كان يفعل بالناس خيراً.

فقال يزيد بن أنس: صدق السائب وَبرّ.

فقال ابن مطيع: نسير فيكم بكلّ سيرة أحببتموها. ثمّ نزل.

---

(١) في (ب أ) «اجتمعت».
(٢) في (ب): «ركيان»، و (ر): «ريسان». وفي طبعة صادر ٤/ ٢١٢ «رستان»، والمثبت عن الطبري.
(٣) في الأوربية: «إياس بن أبي مضارب».
(٤) في (ب أ) «واستعينوا».
(٥) في الأوربية: «الأصغر».

وجاء إياس بن مُضارب إلى ابن مطيع فقال له: إنّ السائب بن مالك من رؤوس أصحاب المختار، فابعثْ إلى المختار فلْيأتك، فإذا جاء فاحبسْه حتّى يستقيم أمرُ الناس، فإنّ أمرَه قد استجمع له، وكأنّه قد وثب بالمِصْر.

فبعث ابن مطيع إلى المختار زائدةَ بن قُدامة، وحسين بن عبد الله البَرْسَميَّ من همدان، فقالا: أجبِ الأمير، فعزم على الذّهاب، فقرأ زائدة: ﴿**وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ**﴾[1] الآية؛ فألقى المختارُ ثيابَه وقال: ألقوا عليّ قطيفةً فقد وعكتُ، إنّي لأجد برداً شديداً، ارجعا إلى الأمير فأعلِماه حالي. فعادا إلى ابن مطيع فأعلماه، فتركه[2].

ووجّه المختار إلى أصحابه، فجمعهم حوله في الدُّور، وأراد أن يثب في الكوفة في المحرّم، فجاء رجلٌ من أصحاب شِبام، وشِبام حيّ من همدان. وكان شريفاً اسمه عبد الرحمن بن شُرَيْح، فلقي سعيدَ بن مُنْقذ الثَّوْريَّ، وسِعْر بن أبي سِعْر الحنَفيّ، والأسود بن جَرَاد الكِنْديّ، وقُدامة بن مالك الجُشَميّ، فقال لهم: إنّ المختار يريد أن يخرج بنا، ولا ندري أرسله ابنُ الحنفيّة أم لا، فانهضوا بنا إلى ابن الحنفيّة نخبره بما قدِم علينا به المختار، فإن رخّص لنا في اتّباعه تبِعناه، وإن نهانا عنه اجتنبناه، فوالله ما ينبغي أن يكون شيء من الدنيا آثر عندنا من سلامة دِيننا. قالوا له: أصبتَ.

فخرجوا إلى ابن الحنفيّة، فلمّا قدِموا عليه سألهم عن حال الناس، فأخبروه عن حالهم وما هم عليه، وأعلموه حال المختار وما دعاهم إليه، واستأذنوه في اتّباعه. فلمّا فرغوا من كلامهم قال لهم بعد أن حمد الله وأثنى عليه، وذكر فضيلة أهل البيت، والمصيبة بقتل الحسين، ثمّ قال لهم: وأمّا ما ذكرتم ممّنْ دعاكم إلى الطلب بدمائنا، فواللّهِ لوددتُ أنّ الله انتصر لنا من عدوّنا بمن شاء من خلقه، ولو كره لقال لا تفعلوا[3].

فعادوا وناس من الشيعة ينتظرونهم ممّنْ أعلموه بحالهم، وكان ذلك قد شقّ على المختار، وخاف أن يعودوا بأمرٍ يخذّل الشيعة عنه، فلمّا قدِموا الكوفةَ دخلوا على المختار قبل دخولهم إلى بيوتهم، فقال لهم: ما وراءكم فقد فُتنتم وارتبتم! فقالوا له: إنّا قد أُمرنا بنصرك. فقال: الله أكبر، اجمعوا إليّ الشيعة، فجمع مَنْ كان قريباً منهم، فقال لهم: إنّ نفراً قد أحبّوا أن يعلموا مصداق ما جئتُ به، فرحلوا إلى الإمام المهديّ، فسألوه عمّا قدِمتُ به عليكم، فنبّأهم أنّي وزيره وظهيره ورسوله، وأمركم باتّباعي وطاعتي فيما

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣٠.
(٢) الطبري ٦/٧ ـ ١١.
(٣) الطبري ٦/١٢ ـ ١٤.

دعوتكم إليه من قتال المُحِلّين، والطّلب بدماء أهل بيت نبيّكم المصطفَين.

فقام عبد الرحمن بن شُرَيْح، وأخبرهم بحالهم ومسيرهم، وأنّ ابن الحنفيّة أمرهم بمظاهرته ومؤآزرته، وقال لهم: ليبلّغِ الشاهدُ الغائبَ، واستعدّوا وتأهّبوا. وقام جماعة من أصحابه، فقالوا نحواً من كلامه.

فاستجمعت له الشيعةُ، وكان من جملتهم الشّعْبيُّ وأبوه شراحيل، فلمّا تهيّأ أمره للخروج قال له بعض أصحابه: إنّ أشراف أهل الكوفة مجمعون على قتالكم مع ابن مُطيع، فإن أجابنا إلى أمرنا إبراهيم بن الأشتر رجَونا القوّة على عدوّنا، فإنّه فتًى رئيس، وابن رجل شريف، له عشيرة ذات عزّ وعدد.

فقال لهم المختار: فالقَوْه وادعوه. فخرجوا إليه ومعهم الشعبيُّ، فأعلموه حالهم، وسألوه مساعدتهم عليه، وذكروا له ما كان أبوه عليه من ولاء عليّ وأهل بيته. (فقال لهم: إنّي قد أجبتكم إلى الطّلب بدم الحسين وأهل بيته، على أن تولّوني الأمر)[1]. فقالوا له: أنت لذلك أهل، ولكن ليس إلى ذلك سبيل، هذا المختار قد جاءنا من قِبَل المهديّ وهو المأمور بالقتال، وقد أُمرنا بطاعته. فسكت إبراهيم ولم يُجِبْهم، فانصرفوا عنه فأخبروا المختار، فمكث ثلاثاً، ثمّ سار في بضعة عشر من أصحابه، والشعبيُّ وأبوه فيهم إلى إبراهيم، فدخلوا عليه، فألقى لهم الوسائد، فجلسوا عليها، وجلس المختار معه على فراشه، فقال له المختار: هذا كتاب من المهديّ محمّد بن عليّ أمير المؤمنين، وهو خير أهل الأرض اليوم وابن خير أهلها قبل اليوم بعد أنبياء الله ورُسُله، وهو يسألك أن تنصرنا وتؤآزرنا.

قال الشعبيُّ: وكان الكتاب معي، فلمّا قضى كلامه قال لي: ادفع الكتاب إليه، فدفعه إليه الشعبيُّ، فقرأه فإذا فيه: من محمّد المهديّ إلى إبراهيم بن مالك الأشتر، سلام عليك، فإنّي أحمد الله إليك الذي لا إله إلّا هو، أمّا بعدُ، فإنّي قد بعثتُ إليكم وزيري وأميني الذي ارتضيتُهُ لنفسي، وأمرته بقتال عدوّي، والطلب بدماء أهل بيتي، فانهضْ معهم بنفسك وعشيرتك ومَنْ أطاعك، فإنّك إن نصرتني[2] وأجبتَ دعوتي كانت لك بذلك عندي فضيلة، ولك أعِنّة الخيل، وكلّ جيشٍ غازٍ، وكلّ مِصرٍ ومنبر وثغر ظهرتَ عليه فيما بين الكوفة وأقصى بلاد الشام.

فلمّا فرغ من قراءة الكتاب قال: قد كتب إليّ ابنُ الحنفيّة قبل اليوم، وكتبتُ فلم يكتب إليّ إلّا باسمه واسم أبيه. قال المختار: إنّ ذلك زمان وهذا زمان. قال: فمَنْ يعلم

(١) ما بين القوسين من (ب).

(٢) في الأوربية: «تنصرني».

أن هذا كتابه [إليَّ]؟ فشهد جماعة ممَّنْ معه، منهم: يزيد بن أنس، وأحمر بن شميط، وعبد الله بن كامل، وجماعتهم إلاّ الشعبيّ.

فلمّا شهدوا تأخَّر إبراهيم عن صدر الفراش، وأجلس المختار عليه وبايعه، ثمّ خرجوا من عنده، وقال إبراهيم للشعبيّ: قد رأيتك لم تشهد مع القوم أنت ولا أبوك، أفترى هؤلاء شهدوا على حقّ؟ فقال له: هؤلاء سادة القرّاء ومشيخة المصر وفرسان العرب، ولا يقول مثلهم إلاّ حقّاً.

فكتب أسماءهم وتركها عنده، ودعا إبراهيم عشيرتَه ومَنْ أطاعه، وأقبل يختلف إلى المختار كلّ عشيّة عند المساء يدبِّرون[1] أمورهم، واجتمع رأيهم على أن يخرجوا ليلة الخميس لأربع عشرة من ربيع الأوّل سنة ستٍّ وستين.

فلمّا كان تلك الليلة عند المغرب صلّى إبراهيم بأصحابه، ثمّ خرج يريد المختارَ، وعليه وعلى أصحابه السلاح، وقد أتى إياس بن مُضارب عبدَ الله بن مُطيع فقال له: إنّ المختار خارج عليك بإحدى هاتين اللّيلتَين، وقد بعثتُ ابني إلى الكُناسة، فلو بعثتَ في كلّ جبّانة عظيمة بالكوفة رجلاً من أصحابك في جماعة من أهل الطّاعة لهاب المختارُ وأصحابُه الخروج عليك.

فبعث ابنُ مُطيع عبدَ الرحمن بن سعيد بن قيس الهمدانيّ إلى جبّانة السَّبيع، وقال: اكفِني قومك ولا تُحْدِثَنّ بها حَدَثاً. وبعث كعبَ بن أبي كعب الخَثْعَميَّ إلى جبّانة بِشْر، وبعث زَحْرَ بن قيس الجُعْفيَّ إلى جبّانة كِنْدة. وبعث عبدَ الرحمن بن مِخْنَف إلى جبّانة الصائديّين. وبعث شَمِرَ بن ذي الجَوْشَن إلى جبّانة سالم. وبعث يزيدَ بن رُوَيْم إلى جبّانة المُراد، وأوصى كلاًّ منهم أن لا يُؤتَى من قِبَله. وبعث شَبَثَ بن رِبْعيّ إلى السَّبْخةِ وقال: إذا سمعتَ صوت القوم فوجّهْ نحوهم.

وكان خروجهم إلى الجبَابين[2] يوم الاثنين، وخرج إبراهيم بن الأشتر يريد المختار ليلة الثلاثاء، وقد بلغه أنّ الجبَابين[2] قد مُلئت رجالاً، وأنّ إياس بن مضارب في الشُّرَط قد أحاط بالسوق والقصر، فأخذ معه من أصحابه نحو مائة دارع، وقد لبسوا عليها الأقبية، فقال له أصحابه: تجنّب الطريق. فقال: والله لأمرّنّ وسط السوق بجنب القصر، ولأرعبنّ عدوّنا، ولأرينّهم هوانَهم علينا.

فسار على باب الفيل، ثمّ على دار عَمرو بن حُرَيْث، فلقيهم إياس بن مضارب في

---

(١) في الأوربية: «المسائد يرون».
(٢) الأوربية: «الجبّانين».

الشُّرَط مُظهرين السلاح. فقال: مَـنْ أنتم؟ فقال إبـراهيم: أنا إبـراهيم بن الأشتر. فقـال إياس: ما هذا الجمع الـذي معك ومـا تريـد؟ لستُ بتاركـك حتّى أتي بك الأميـر. فقال إبراهيم: خلّ سبيلاً. قال: لا أفعل، وكان مع إياس بن مضارب رجل من همدان يقال لـه أبو قَطَن، وكان يُكْرمـه، وكان صـديقاً لابن الأشتـر، فقال لـه ابن الأشتر: ادنُ منّي يـا أبا قَطَن، فدنا منه، وهو يظنّ أنّ إبراهيم يطلب منه أن يشفع فيه إلى إياس، فلمّا دنا منه أخذ رمحاً كان معه، وطعن به إياساً في ثغـرة نحره، فصـرعه وأمـر رجلاً من قـومه، فـاحتزَّ[1] رأسه، وتفرّق أصحابُ إياس، ورجعوا إلى ابن مُطيع.

فبعث مكـانَه ابنَـه راشد بن إيـاس على الشُّرَط، وبعث مكـان راشـد إلى الكُنـاسـة سُوَيدَ بن عبد الرحمن المنقريّ أبا القعقاع بن سُويد. وأقبل إبراهيم بن الأشتر إلى المختار وقال له: إنّا اتّعدنا للخروج القابلة، وقد جاء أمر لا بدّ من الخروج الليلة، وأخبره الخبر، ففرح المختار بقتل إياس وقال: هذا أوّل الفتح إن شاء اللّه تعالى! ثمّ قال لسعيد بن مُنقِذ: قم فأشعلِ النيران في الهوادي والقصب وارفعْها، وسِرْ أنتَ يا عبد الله بن شـدّاد فنادِ: يـا منصـور أمِتْ، وقمْ أنت يا سفيـان بن ليلى وأنت يا قُـدامة بن مـالك فنـاديـا: يـا لثـارات الحسين! ثمّ لبس سلاحه.

فقال له إبـراهيم: إنّ هؤلاء الذين في الجبَـابين[2] يمنعون أصحـابنا من إتيـاننا، فلو سرتُ إلى قومي بمَنْ معي، ودعوتُ مَنْ أجابني، وسرتُ بهم في نواحي الكوفة، ودعـوتُ بشعارنا لخرج إلينا مَنْ أراد الخروج ومَنْ أتاك حبستَهُ عندك إلى مَنْ معـك، فإن عُـوجلتَ كان عندك مَنْ يمنعك إلى أن آتيك. فقـال له: افعـلْ وعجّلْ وإيّـاك أن تسير إلى أميـرهم تقاتله، ولا تقاتل أحداً وأنت تستطيع أن لا تقاتله إلاّ أن يبدأك أحد بقتال.

فخرج إبراهيم وأصحابه حتّى أتى قومه، واجتمع إليه جُلُّ مَنْ كان أجابه، وسار بهم في سكك المدينة ليلاً طويلاً، وهو يتجنّب المواضـع التي فيها الأمـراء الذين وضعهم ابن مطيع، فلمّا انتهى إلى مسجد السَّكون أتاه جماعة من خيـل زَحْر بن قيس الجُعْفيّ، ليس عليهم أمير، فحمل عليهم إبراهيم، فكشفهم حتّى أدخلهم جبّانة كِندة وهـو يقول: اللهمّ إنّك تعلم أنّا غضبنا لأهل بيت نبيّك، وثرنا لهم، فانصُرْنا على هؤلاء.

ثمّ رجع إبراهيم عنهم بعد أن هزمهم، ثمّ سار إبراهيم حتّى أتى جبّانة أُثَير، فتنادَوا بشعارهم، فوقف فيها، فأتاه سُوَيد بن عبد الرحمن المِنْقَريُّ، ورجـا أن يصيبهم، فيحظى بها عند ابن مطيع، فلم يشعر به إبراهيم إلاّ وهو معه، فقال إبراهيم لأصحابـه: يا شُـرطة

---

(١) الأوربية: «فأخذ».

(٢) في الأوربية: «الجبّانين».

الله انزلوا، فإنّكم أَوْلَى بالنصر من هؤلاء الفَسّاق الذين خاضوا في دماء أهـل بيت نبيّكم. فنـزلوا، ثمّ حمـل عليهم إبراهيم حتّى أخـرجهم إلى الصحراء فـانهزمـوا، فركب بعضهم بعضـاً وهم يتلاومـون، وتبِعهم حتّى أدخلهم الكُناسـة، فقال لإبـراهيم أصحابُـه: اتبعْهم واغتنمْ مـا دخلهم من الرُّعب. فقـال: لا، ولكنْ نأتي صـاحبنـا يُؤمن الله[1] بنـا وحشتـه، ويعلم ما كان من نصرنا له، فيزداد هو وأصحابه قوّةً، مع أنّي لا آمن أن يكون قد أُتِيَ.

ثمّ سار إبراهيم حتّى أتى باب المختار، فسمع الأصوات عاليةً والقوم يقتتلون، وقد جـاء شَبَث بن رِبْعيّ من قِبَل السَّبْخـة، فعبّأ لـه المختارُ يـزيـدَ بن أنس. وجـاء حجّـار بن أبجر[2] العِجْليُّ، فجعل المختارُ في وجهه أحمـرَ بن شميط. فبينما النـاس يقتتلون إذ جاء إبراهيم من قِبل القصر، فبلغ حجّاراً وأصحابه أنّ إبـراهيم قد أتـاهم من ورائهم ،فتفرّقـوا في الأزقّـة قبل أن يـأتيهم، وجاء قيس بن طهفـة[3] النَّهْديُّ في قـريبٍ من مائـة، وهـو من أصحـاب المختار، فحمـل على شَبَث بن رِبْعيّ (وهو يقـاتـل يـزيـد بن أنس، فخلّى لهم الـطريق حتّى اجتمعوا وأقبـل شَبَث)[4] إلى ابن مـطيـع وقـال لـه: اجمـعِ الأمـراء الـذين بالجبّابين[5] وجميع الناس، ثمّ أنفِذْ إلى هؤلاء القوم فقـاتِلْهم، فإنّ أمـرهم قد قـوي، وقد خرج المختار وظهر، واجتمع له أمره.

فلمّا بلغ قوله المختارَ خرج في جماعة من أصحابه، حتّى نزل في ظهر دَيْر هند في السبخة، وخرج أبو عثمان النَّهْديُّ، فنادى في شاكر وهم مجتمعون في دِورهم يخافون أن يظهروا لقرب كعب الخَثْعَميِّ منهم، وكان قد أخذ عليهم أفـواه السكك. فلمّـا أتاهم أبـو عثمان في جماعة[6] من أصحابه نادى: يـا لثارات الحسين! يـا منصور أمِتْ أمِتْ! يـا أيّها الحيّ المهتـدون، إنّ أمين آل محمّد ووزيـرهم قد خـرج فـنـزل ديـر هـنـد، وبعثني إليكم داعياً ومبشّراً، فاخرجوا رحِمكم الله! فخرجوا يتداعون: يا لثـارات الحسين! وقاتلوا كعبـاً حتّى خلّى لهم الطريق، فأقبلوا إلى المختار فنزلوا معه، وخرج عبد الله بن قَتـادة في نحو من مائتَين، فنزل مـع المختار، وكـان قد تعـرّض لهم كعب، فلمّا عـرفهم أنّهم من قومـه خلّى عنهم.

وخـرجت شِبـام، وهم حيّ مـن هَمْـدان، مـن آخـر ليـلتهـم، فـبـلـغ خبـرهـم

---

(١) في (ب أ): «يانس».

(٢) في (ر): «الحر»، و (ب أ): «أمجر».

(٣) في الأوربية: «طهنة».

(٤) ما بين القوسين من (ب).

(٥) في الأوربية: «بالجبّانين».

(٦) في (ر) و (ب): «عصابة».

عبدَ الرحمن بن سعيد الهمدانيَّ، فأرسل إليهم: إن كنتم تريدون المختار فلا تمرّوا على جبّانة السَّبيع. فلحِقوا بالمختار، فتوافى إلى المختار ثلاثة آلاف وثمانمائة من اثني عشر ألفاً كانوا بايعوه، فاجتمعوا له قبل الفجر، فأصبح وقد فرغ من تعبيته، وصلّى بأصحابه بغَلَس.

وأرسل ابن مطيع إلى الجبَابين[1] فأمر مَنْ بها أن يأتوا المسجد، وأمر راشد بن إياس فنادى في الناس: برئت الذمّة من رجل لم يأتِ المسجد الليلة. فاجتمعوا، فبعث ابنُ مطيع شَبَثَ بنِ رِبْعيّ في نحو ثلاثة آلاف إلى المختار، وبعث راشدَ بن إياس في أربعة آلاف من الشُّرَط.

فسار شَبَث إلى المختار، فبلغه خبره وقد فرغ من صلاة الصبح، فأرسل عمَّنْ أتاه بخبرهم، وأتى إلى المختار ذلك الوقت سِعْر بن أبي سِعْر[2] الحنفيُّ، وهو من أصحابه، لم يقدر على إتيانه إلاّ تلك الساعة، فرأى راشدَ بن إياس في طريقه، فأخبر المختار خبره أيضاً، فبعث المختارُ إبراهيمَ بن الأشتر إلى راشد في سبع[3] مائة، وقيل في ستّمائة فارس وستّمائة راجل، وبعث نُعَيمَ بن هُبَيرة، أخا مَصْقَلة بن هبيرة، في ثلاثمائة فارس وستّمائة راجل، وأمره بقتال شَبَث بن رِبْعيّ ومَنْ معه، وأمرهما بتعجيل القتال، وأن لا يستهدفا لعدوّهما، فإنّه أكثر منهما، فتوجّه إبراهيم إلى راشد، وقدّم المختارُ يزيدَ بن أنس في موضع مسجد شَبَث بن رِبْعيّ في تسعمائة أمامه، فتوجّه نُعيم إلى شَبَث فقاتله قتالاً شديداً، فجعل نُعيمٌ سِعْرَ بن أبي سِعْر[4] على الخيل، ومشى هو في الرَّجّالة، فقاتلهم حتّى أشرقت الشمس وانبسطت، فانهزم أصحابُ شَبَث حتّى دخلوا البيوت، فناداهم شَبَث وحرّضهم، فرجع إليه منهم جماعة، فحملوا على أصحاب نُعْيم وقد تفرّقوا، فهزمهم، وصبرَ نُعيم فقُتل، وأُسِر سِعْر بن أبي سِعْر[4] وجماعة من أصحابه، فأطلق العربَ وقتل الموالي، وجاء شَبَث حتّى أحاط بالمختار، وكان قد وهن لقتل نُعيم.

وبعث ابنُ مُطيع يزيدَ بن الحارث بن رُوَيْم في ألفين، فوقفوا في أفواه السكك، وولّى المختارُ يزيدَ بن أنس خيلَه، وخرج هو في الرَّجّالة، فحملت عليه خيلُ شَبَث، فلم يبرحوا مكانهم، فقال لهم يزيد بن أنَس: يا معشر الشيعة إنّكم كنتم تُقتلون وتُقْطع أيديكم وأرجلكم، وتُسْمَل أعينكم، وتُرْفَعون على جذوع النَّخْل في حبّ أهل بيت نبيّكم، وأنتم مقيمون في بيوتكم وطاعة عدوّكم، فما ظنّكم بهؤلاء القوم إذا ظهروا عليكم اليوم؟ والله

(١) في الأوربية: «الجبّانين».
(٢) في (ر) و (ب أ) «شعر بن أبي شعر»، وفي (ب): «سعد بن أبي سعد».
(٣) في (ر) و (ب أ): «تسع».
(٤) في (ر) و (ب أ): «شعر بن أبي شعر»، وفي (ب): «سعد بن أبي سعد».

لا يدَعون منكم عيناً تطرف، وليقتلُنّكم صبراً، ولترون منهم في أولادكم وأزواجكم وأموالكم ما الموت خير منه، والله لا يُنجيكم منهم إلاّ الصدق والصبر، والطّعن الصّائب، والضَّرْب الدّراك[1]، فتهيّأوا للحملة. فتيسّروا ينتظرون أمره، وجَثوا على رُكَبهم.

وأمّا إبراهيم بن الأشتر فإنّه لقي راشداً، فإذا معه أربعة آلاف، فقال إبراهيم لأصحابه: لا يهولنّكم كثرةُ هؤلاء، فوالله لرُبَّ رجلٍ خيرٌ من عشرة، واللَّهُ مع الصابرين. وقدِم خُزَيمة بن نصر إليهم في الخيل، ونزل هو يمشي في الرَّجّالة، وأخذ إبراهيم يقول لصاحب رايته: تقدّمْ برايتك، امضِ بهؤلاء وبها.

واقتتل الناس قتالاً شديداً، وحمل خُزَيمة بن نصر العبسيُّ على راشد فقتله، ثمّ نادى: قتلتُ راشداً وربِّ الكعبة! وانهزم أصحابُ راشد، وأقبل إبراهيم وخُزيمة ومَنْ معهما بعد قتل راشد نحو المختار، وأرسل البشير إلى المختار بقتل راشد، فكبّره هو وأصحابه، وقويت نفوسُهم، ودخل أصحابَ ابن مُطيع الفشلُ.

وأرسل ابنُ مُطيع حسّانَ بن فائد بن بكر العبسيَّ في جيشٍ كثيف نحو ألفين، فاعترض إبراهيمَ ليردّه عَمَّنْ بالسَّبْخة من أصحاب ابن مُطيع، فتقدّم إليهم إبراهيم، فانهزموا من غير قتال، وتأخّر حسّان يحمي أصحابه، فحمل عليه خُزَيمة، فعرفه فقال: يا حسّان لولا القرابة لقتلتُك، فانجُ بنفسكَ. فعثر به فرسُه فوقع، فابتدره الناسُ، فقاتل ساعةً، فقال له خُزَيمة: أنت آمن فلا تقتلْ نفسك، وكفّ عنه الناسَ وقال لإبراهيم: هذا ابن عمّي وقد آمنتُه، فقال: أحسنتَ! وأمر بفرسه فأُحضر فأركبه وقال: الحقْ بأهلك.

وأقبل إبراهيم نحو المختار وشَبَثُ بنُ ربعيّ محيط به، فلقِيه يزيد بن الحارث وهو على أفواه السكك التي تلي السَّبْخة، فأقبل إلى إبراهيم ليصدّه عن شَبَث وأصحابه، فبعث إبراهيمُ إليه طائفةً من أصحابه مع خُزَيْمة بن نصر، وسار نحو المختار وشبَث فيمن بقي معه، فلمّا دنا منهم إبراهيم حملٍ على شَبَث، وحمل يزيد بن أنَس، فانهزم شبَث ومَنْ معه إلى أبيات الكوفة، وحمل خُزَيمة بن نصر على يزيد بن الحارث فهزمه، وازدحموا على أفواه السكك وفوق البيوت، وأقبل المختار. فلمّا انتهى إلى أفواه السّكك رمتْه الرّماةُ بالنّبل، فصدّوه عن الدخول إلى الكوفة من ذلك الوجه.

ورجع الناسُ من السَّبْخة منهزمين إلى ابن مطيع، وجاءه قتل راشد بن إياس، فسقط في يده، فقال له عَمْرو بن الحجّاج الزبيديّ: أيّها الرجل، لا تلقِ بيدك، واخرجْ إلى الناس، واندبْهم إلى عدوّك، فإنّ الناس كثير، وكلّهم معك، إلاّ هذه الطائفة التي خرجت واللَّهُ يُخزيها، وأنا أوّل منتدب، فانتدب معي طائفةً، ومع غيري طائفة.

---

(١) في الأوربية: «الدارك». والضرب الدراك: المتتابع.

فخرج ابن مُطيع، فقام في الناس ووبّخهم على هزيمتهم، وأمرهم بالخروج إلى المختار وأصحابه.

ولما رأى المختارُ أنّه قد منعه يزيدُ بن الحارث من دخول الكوفة عدل إلى بيوت مُزَيْنة وأحْمس وبارق، وبيوتهم منفردة، فسقوا أصحابه الماء، ولم يشرب هو، فإنّه كان صائماً، فقال أحمر بن شميط لابن كامل: أتراه صائماً؟ قال: نعم. قال: لو أفطر كان أقوى له. قال: إنّه معصوم، وهو أعلم بما يصنع. فقال أحمر: صدقتَ، أستغفر الله.

فقال المختار: نِعْمَ المكان للقتال هذا. فقال إبراهيم: إنّ القوم قد هزمهم اللّهُ، وأدخل الرعبَ في قلوبهم، سِرْ بنا، فوالله ما دون القصر مانع. فترك المختارُ هناك كلَّ شيخٍ ضعيف ذي علّة (ونقلهم)[1]، واستخلف عليهم أبا عثمان النهديَّ، وقدّمَ إبراهيمَ أمامه؛ وبعث ابنُ مُطيع عَمرَو بن الحجّاج (في ألْفين، فخرج عليهم؛ فأرسل المختارُ إلى إبراهيم أن اطوِه ولا تقم[2] عليه؛ فطواه وأقام؛ وأمر المختارُ يزيدَ بن أنَس أن يواقِف عَمرَو بن الحجّاج)[3]، فمضى إليه، وسار المختار في أثر إبراهيم، ثمّ وقف في موضع مصلّى خالد بن عبد الله، ومضى إبراهيم ليدخل الكوفة من نحو الكُناسة، فخرج إليه شَمِرُ بن ذي الجَوْشَن في ألْفين، فسرّح إليه المختارُ سعيدَ بن مُنْقذ الهمدانيَّ فواقعه، وأرسل إلى إبراهيم يأمره بالمسير، فسار حتّى انتهَى إلى سكّة شَبَث، فإذا نوفل بن مُساحق في ألْفين، وقيل خمسة آلاف، وهو الصحيح، وقد أمر ابنُ مُطيع منادياً، فنادى في الناس أن الحقوا بابن مُساحق.

وخرج ابنُ مطيع فوقف بالكُناسة، واستخلف شَبَثَ بن رِبْعيّ على القصر، فدنا ابنُ الأشتر من ابن مطيع، فأمر أصحابَه بالنزول وقال لهم: لا يهولنّكم أن يقال جاء شبَث، وآل عُتَيْبَة بن النّهّاس، وآل الأشعث، وآل يزيد بن الحارث، وآل فلان، فسمّى بيوتات أهل الكوفة، ثمّ قال: إنّ هؤلاء لو وجدوا حرَّ السيوف لانهزموا عن ابن مطيع انهزام المَعْزى من الذّئب. ففعلوا ذلك.

وأخذ ابن الأشتر أسفل قَبائه، فأدخله في منطقته، وكان القَباء على الدرع، فلم يلبثوا حين حمل عليهم أن انهزموا يركب بعضهم بعضاً على أفواه السكك وازدحموا، وانتهَى ابن الأشتر إلى ابن مساحق، فأخذ بعنان دابّته، ورفع السيف عليه، فقال له: يا ابن الأشتر أنشدك الله، هل بيني وبينك من إحْنة أو[4] تطلبني بثأر؟ فخلّى سبيله، وقال:

(١) من (ر).
(٢) في الأوربية: «تغم».
(٣) ما بين القوسين من (ر).
(٤) في الأوربية: «أن».

اذكرها. فكان يذكرها له.

ودخلوا الكُناسة في آثارهم حتّى دخلوا السوقَ والمسجد، وحصروا ابن مُطيع ومعه الأشرافُ من الناس غير عَمرو بن حُرَيْث، فإنّه أتى داره، ثمّ خرج إلى البرّ، وجاء المختار حتّى نزل جانب السوق. وولّى إبراهيمَ حصار القصر ومعه يزيد بن أنَس وأحمر بن شميط، فحصروهم ثلاثاً، فاشتدّ الحصار عليهم، فقال شبَثٌ لابن مطيع: (أنظرْ لنفسك ولمن معك، فوالله ما عندهم غَناء عنك ولا عن أنفسهم. فقال: أشيروا عليّ. فقال شَبَث)[1]. الرأي أن تأخذ لنفسك ولنا أماناً وتخرج، ولا تُهْلك نفسك ومَنْ معك. فقال ابن مُطيع: إنّي لأكره أن آخذ منه أماناً، والأمور لأمير المؤمنين مستقيمة بالحجاز والبصرة. قال: فتخرج ولا يشعر بك أحد، فتنزل بالكوفة عند مَنْ تثق به[2] حتّى تلحق بصاحبك.

وأشار بذلك عبد الرحمن بن سعيد، وأسماء بن خارجة، وابن[3] مِخْنَف وأشراف الكوفة، فأقام حتّى أمسى وقال لهم: قد علمتُ أنّ الذين صنعوا هذا بكم هم[4] أراذلكم وأخسّاؤكم، وأنّ أشرافكم وأهل الفضل منكم سامعون مطيعون، وأنا مُبلغٌ ذلك صاحبي، ومُعْلمه طاعتكم وجهادكم حتّى كان الله الغالب على أمره، فأثنوا عليه خيراً.

وخرج عنهم وأتى دار أبي موسى، (فجاء ابنُ الأشتر ونزل)[5] القصر، ففتح[6] أصحابُه الباب وقالوا: يا ابن الأشتر آمنون نحن؟ قال: أنتم آمنون. فخرجوا فبايعوا المختار، ودخل المختار القصر فبات فيه، وأصبح أشراف الناس في المسجد وعلى باب القصر، وخرج المختار فصعِد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه فقال:

الحمد لله الذي وعد وليّه النصرَ وعدوّه الخُسر، وجعله فيه إلى آخر الدهر وعداً مفعولاً، وقضاءً مقضيّاً، وقد خابَ مَنِ افترى، أيّها الناس إنّا رُفعتْ لنا رايةٌ، ومُدّتْ لنا غاية، فقيل لنا في الراية أن ارفعوها، وفي الغاية أن اجروا إليها ولا تعدوها، فسمعنا دعوةَ الداعي، ومقالةَ الواعي، فكم من ناعٍ وناعية لقتلى في الواعية، وبُعْداً لمنْ[7] طغى وأدبر، وعصى وكذّب وتولّى، ألا فادخلوا أيّها الناس، وبايعوا بيعة هدى، فلا والذي

---

(١) ما بين القوسين من (ب).
(٢) في الأوربية: «إليه».
(٣) في (ر): «أبو».
(٤) في الأوربية: «أنّهم».
(٥) في (ب): «وترك».
(٦) في الأوربية: «ففتحوا».
(٧) في الأوربية: «وبعد المنّ».

جعل السماء سقفاً مكفوفاً، والأرض فجاجاً سُبُلاً، ما بايعتم بعد بيعة عليّ بن أبي طالب وآل عليّ أهدى منها!

ثمّ نزل ودخل عليه أشرافُ الكوفة، فبايعوه على كتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ، والطلب بدماء أهل البيت وجهاد المُحِلّين، والدفع عن الضعفاء، وقتال مَنْ قاتلنا، وسِلْم مَن سالمنا.

وكان ممّنْ بايعه المُنْذر بن حسّان وابنه حسّان، فلمّا خرجا من عنده استقبله سعيد بن مُنْقذ الثّوريُّ في جماعة من الشيعة، فلمّا رأوهما قالوا: هذان والله من رؤوس الجبّارين، فقتلوا المنذر وابنه حسّان، فنهاهم سعيد حتّى يأخذوا أمرَ المختار، فلم ينتهوا، فلمّا سمع المختارُ ذلك كرهه، وأقبل المختار يمنّي النّاسَ، ويستجرّ مودّةَ الأشراف، ويُحْسن السيرة.

وقيل له: إنّ ابن مُطيع في دار أبي موسى، فسكت، فلمّا أمسى بعث له بمائة ألف درهم وقال: تجهّزْ بهذه فقد علمتُ مكانك، وأنّك لم يمنعك من الخروج إلّا عدم النفقة. وكان بينهما صداقة.

ووجد المختارُ في بيت المال تسعة آلاف ألف، (فأعطى أصحابه الذين قاتل بهم حين حصر ابن مطيع في القصر، وهم ثلاثة [آلاف] وخمسمائة)[1]، لكلّ رجل منهم خمسمائة درهم، وأعطى ستّة آلاف من أصحابه أتوه بعدما أحاط بالقصر، وأقاموا معه تلك الليلة، وتلك الأيّام الثلاثة مائتين مائتين، واستقبل الناس بخير، وجعل الأشراف جلساءه، وجعل على شُرطته عبد الله بن كامل الشاكريّ، وعلى حَرَسه كَيْسان أبا عَمْرة.

فقام أبو عَمْرة على رأسه ذات يوم وهو مقبل على الأشراف بحديثه ووجهه، فقال لأبي عمرة بعضُ أصحابه من الموالي: أما ترى أبا إسحاق قد أقبل على العرب[2] ما ينظر إلينا؟ فسأله المختار عمّا قالوا له، فأخبره، فقال: قلْ لهم لا يشقّ عليهم ذلك، فأنتم منّي وأنا منكم، وسكت طويلاً ثمّ قرأ: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾[3]. فلمّا سمعوها قال بعضهم لبعض: أبشِروا، كأنّكم والله قد قتلتم، يعني الرؤساء.

وكان أوّل راية عقدها المختار لعبد الله بن الحارث أخي الأشتر على أرمينية، وبعث محمّدَ بن عُمَير بن عُطارد على أذربيجان، وبعث عبدَ الرحمن بن سعيد بن قيس على الموصل، وبعث إسحاق بن مسعود على المدائن وأرض جُوخى، وبعث قُدامة بن

---

(١) العبارة التي بين القوسين من (ب) وبها زيادة: «فدفع».

(٢) زاد في (ب): «بحديثه».

(٣) سورة السجدة، الآية: ٢٢.

أبي عيسى بن زَمعة[1] النصريَّ حليف ثقيف على بِهْقُباذ الأعلى، وبعث محمدَ بن كعب بن قَرَظة على بِهْقُباذ الأوسط، وبعث سعدَ بن حُذَيفة بن اليمان على حُلْوان، وأمره بقتال الأكراد وإقامة الطُّرق.

وكان ابن الزّبير قد استعمل على الموصل محمّد بن الأشعث بن قيس، فلمّا وليَ المختار وبعث عبدَ الرحمن بن سعيد إلى الموصل أميراً سار محمد عنها إلى تَكْريت ينظر ما يكون من الناس، ثمّ سار إلى المختار فبايعه.

فلمّا فرغ المختار ممّا يريد صار[2] يجلس للناس ويقضي بينهم، ثمّ قال: إنّ لي فيما أحاول لشُغلاً عن القضاء؛ ثمّ أقام شُرَيحاً يقضي بين الناس، ثمّ خافهم شُرَيح فتمارض، وكانوا يقولون: إنّه عثمانيٌّ، وإنّه شهد على حُجْر بن عديّ، وإنّه لم يبلغ هانىء بن عُرْوَة ما أرسله به، وإنّ عليّاً عزله عن القضاء. فلمّا بلغ شُرَيحاً ذلك منهم تمارض، فجعل المختارُ مكانَه عبدَ الله بن عُتْبَة بن مسعود، ثمّ إنّ عبد الله مرض، فجعل مكانَه عبدَ الله بن مالك الطائيَّ[3].

ذكر قتل المختار قَتَلَة الحسين، عليه السلام

وفي هذه السنة وثب المختار بمن بالكوفة من قَتَلَة الحسين.

وكان سبب ذلك أنّ مروان بن الحكَم لمّا استوسق له الشام بعث جَيشَين: أحدهما إلى الحجاز عليه حُبَيش بن دَلَجة القَيْنيُّ، وقد ذكرنا أمرَه وقتله، والجيش الآخر إلى العراق مع عُبيد الله بن زياد، وقد ذكرنا ما كان من أمره وأمر التوّابين، وكان قد جعل لابن زياد ما غلب عليه، وأمره أن ينهب الكوفة ثلاثاً[4]، فاحتبس بالجزيرة وبها قَيس عَيْلان مع زُفَر بن الحارث على طاعة ابن الزّبير، فلم يزل عُبيد الله بن زياد مشتغلاً بهم عن العراق نحو سنة.

فتُوُفّي مروان، ووليَ بعده ابنُه عبد الملك بن مروان، فأقرّ ابنَ زياد على ما كان أبوه ولّاه، وأمره بالجدّ في أمره.

فلمّا لم يمكنه في[5] زُفَر ومَنْ معه من قيس شيء أقبل إلى الموصل، فكتب

---

(١) في (ب): «ربيعة».
(٢) في (ر) و(ب أ): «أقبل».
(٣) إلى هنا ينتهي المجلّد الثالث من نسخة باريس (ب). وهذه الأخبار في: تاريخ الطبري ٦/١٤ ـ ٣٥.
(٤) الطبري ٦/٣٨.
(٥) في الأوربية: «أمر».

عبد الرحمن بن سعيد عامل المختار إلى المختار يُخْبره بدخول ابن زياد أرضَ الموصل، وأنّه قد تنحّى له عن الموصل إلى تَكْريت. فدعا المختارُ يزيدَ بن أَنَس الأسديَّ، وأمره أن يسير إلى الموصل، فينزل بأداني أرضها حتّى يمدّه بالجنود، فقال له يزيد: خلّني أنتخب ثلاثة آلاف فارس، وخلّني ممّا توجّهني إليه، فإنِ احتجتُ كتبتُ إليك أستمدّك. فأجابه المختار، فانتخب له ثلاثة آلاف، وسار عن الكوفة، وسار معه المختار والناس يشيّعونه، فلمّا ودّعه قال له: إذا لقيتَ عدوّك فلا تُناظِرْهم، وإذا مكّنتك الفرصةُ فلا تؤخّرها، وليكن خبرك كلّ يوم عندي، وإن احتجتَ إلى مَدَدٍ فاكتبْ إليّ، مع أنّي ممدّك وإن لم تستمدّ، لأنّه أشدّ لعضُدك وأرعب لعدوّكَ. ودعا له الناس بالسلامة، ودعوا له، فقال لهم: اسألوا الله لي بالشهادة، فواللّهِ لئن فاتني النصر لا تفوتني الشهادة.

فكتب المختار إلى عبد الرحمن بن سعيد أن خلّ بين يزيد وبين البلاد، فسار يزيدُ إلى المدائن، ثمّ سار إلى أرض جُوخى والراذانات[1] إلى أرض الموصل، فنزل بباتلى[2]، وبلغ خبرُه ابنَ زياد، فقال: لأبعثنّ إلى كلّ ألف ألفين، فأرسل ربيعةَ بن مخارق الغَنَويَّ في ثلاثة آلاف، وعبدَ الله بن جملة الخَثْعَميَّ في ثلاثة آلاف، فسار ربيعةُ قبل عبد الله بيوم، فنزل بيزيد بن أَنَس (بباتلى، فخرج يزيد بن أنس)[3] وهو مريض شديد المرض، راكب على حمار يُمسكه الرجال، فوقف على أصحابه وعبّأهم وحثّهم على القتال وقال: إن هلكتُ فأميركم ورقاء بن العازب[4] الأسديُّ، فإنْ هلك فأميركم عبد الله بن ضَمْرة العُذْريُّ، فإن هلك فأميركم سِعْر بن أبي سِعْر[5] الحنفيُّ، وجعل على ميمنته عبدَ الله، وعلى ميسرته سِعراً[5]، وعلى الخيل ورقاء، ونزل هو، فوُضع بين الرجال على سرير، وقال: قاتلوا عن أميركم إن شئتم أو فرّوا عنه، وهو يأمر الناس بما يفعلون، ثمّ يغمى عليه ثمّ يفيق.

واقتتل الناس عند فَلَق الصبح يوم عرَفة، واشتدّ قتالهم إلى ارتفاع الضُّحَى، فانهزم أهل الشام وأُخذ عسكرهم، وانتهى أصحابُ يزيد إلى ربيعة بن مخارق، وقد انهزم عنه أصحابه، وهو نازل ينادي: يا أولياء الحقّ أنا ابن مخارق، إنّما تقاتلون العبيد الأُبّاق ومَنْ ترك الإسلام وخرج منه! فاجتمع إليه جماعة، فقاتلوا معه، فاشتدّ القتال، ثمّ انهزم أهلُ الشام وقُتل ربيعة بن مخارق، قتله عبد الله بن ورقاء الأسديُّ، وعبد الله بن ضمرة

(١) الراذانات: راذان الأسفل وراذان الأعلى، كورتان بسواد بغداد تشتمل على قرى كثيرة. (معجم البلدان ١٢/٣).

(٢) وردت في الأصول: «ما يلى» و «ما تلى» و «باتلى».

(٣) ما بين القوسين من (ر).

(٤) في (ر) و (آ): «الضارب»، وفي (ب): «الغارب».

(٥) في (ر): «سعد بن أبي سعد»، وفي (ب): «شعر بن أبي شعر».

العُذْريُّ[1]، فلم يسر المنهزمون غير ساعة حتّى لقِيهم عبد الله بن جملة في ثلاثة آلاف فردّ معه المنهزمين.

ونزل يزيد بباتلى، فباتوا ليلتهم يتحارسون، فلمّا أصبحوا يوم الأضحى خرجوا إلى القتال، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثمّ نزلوا فصلّوا الظهر، ثمّ عادوا إلى القتال، فانهزم أهل الشام وترك[2] ابن جملة في جماعة، فقاتل قتالاً شديداً، فحمل عليه عبد الله بن قَراد[3] الخَثْعَميُّ فقتله، وحوى أهل الكوفة عسكرهم، وقتلوا فيهم قتلاً ذريعاً، وأسروا منهم ثلاثمائة أسير، وأمر يزيد بن أنس بقتلهم، وهو بآخر رمق، فقُتلوا، ثمّ مات آخر النهار، فدفنه أصحابُه وسقُط في أيديهم.

وكان قد استخلف ورقاءَ بن عازب[4] الأسديَّ، فصلّى عليه ثمّ قال لأصحابه: ماذا ترون؟ إنّه قد بلغني أنّ ابن زياد قد أقبل إليكم في ثمانين ألفاً، وإنّما أنا رجل منكم، فأشيروا عليّ، فإنّي لا أرى لنا بأهل الشام طاقة على هذه الحال، وقد هلك يزيد، وتفرّق عنّا بعضُ مَنْ معنا، فلو انصرفنا اليوم من تلقاء أنفسنا لقالوا: إنّما رجعنا عنهم لموت أميرنا ولم يزالوا لنا هائبين، وإنْ لقيناهم اليوم كنّا مخاطرين، فإنْ هزمونا اليوم لم تنفعنا هزيمتنا إيّاهم بالأمس. فقالوا: نِعْمَ ما رأيتَ. فانصرفوا.

فبلغ ذلك المختارَ وأهلَ الكوفة، فأرجف الناسُ بالمختار وقالوا: إنّ يزيد قُتل، ولم يصدّقوا أنّه مات. فدعا المختارُ إبراهيمَ بن الأشتر، وأمّره على سبعة آلاف وقال له: سِرْ، فإذا لقيتَ جيشَ يزيد بن أنَس فأنتَ الأميرُ عليهم، فارددْهم معك حتّى تلقى ابن زياد وأصحابه فتناجزَهم. فخرج إبراهيم فعسكر بحمّام أعْيَن وسار، فلمّا سار اجتمع أشرافُ الكوفة عند شبَث بن رِبْعيّ وقالوا: والله إنّ المختار تأمّر علينا بغير رِضى منّا، ولقد أدنى[5] مواليَنا، فحملهم على الدوابّ وأعطاهم فَيْئنا. وكان شبَث شيخهم، وكان جاهليّاً إسلاميّاً، فقال لهم شبَث: دَعوني حتّى ألقاه.

فذهب إليه، فلم يدع شيئاً أنكروه إلاّ ذكره له، فأخذ لا يذكر خصلة إلاّ قال له المختار: أنا أرضيهم في هذه الخصلة، وآتي لهم كلَّ ما أحبّوا، وذكر له الموالي ومشاركتهم في الفَيْء، فقال له: إن أنا تركتُ مواليكم وجعلتُ فَيئكم لكم تقاتلون معي

---

(١) في (ر): «الغنوي».
(٢) في (ر): «ونزل».
(٣) في (ر): «مراد».
(٤) في (ر) و (آ): «الضارب»، وفي (ب): «الغارب».
(٥) في الأوربية: «أذى».

بني أميّة وابنَ الزّبير، وتُعطوني على الوفاء عهد الله وميثاقه، وما أطمئنّ إليه من الأيمان؟ فقال شَبَث: حتّى أخرج إلى أصحابي، فأذكر لهم ذلك. فخرج إليهم، فلم يرجع إليه، وأجمع رأيهم على قتاله.

فاجتمع شَبَثُ بن رِبْعيّ، ومحمّد بن الأشعث، وعبد الرحمن بن سعيد بن قيس، وشَمِر حتّى دخلوا على كعب بن أبي كعب الخَثْعَميّ، فكلّموه في ذلك، فأجابهم إليه، فخرجوا من عنده حتى دخلوا على عبد الرحمن بن مِخْنَف الأزديّ، فدعوه إلى ذلك، فقال لهم: إن أطعتموني لم تخرجوا. فقالوا له: لِمَ؟ فقال: لأنّي أخاف أن تتفرّقوا وتختلفوا، ومع الرجل شُجعانكم وفُرسانكم[1] مثل فلان وفلان، ثمّ معه عبيدكم ومواليكم، وكلمة هؤلاء واحدة، ومواليكم أشدّ حَنَقاً عليكم من عدوّكم، فهم مقاتلوكم بشجاعة العرب وعداوة العجم، وإن انتظرتموه قليلاً كُفِيتموه بقدوم أهل الشام (أو مجيء أهل البصرة، فتكونوا قد كُفيتموه)[2] بغيركم، ولم تجعلوا بأسكم بينكم[3]. فقالوا: ننشدك الله أن تخالفنا وتُفسد علينا رأينا وما أجمعنا عليه! فقال: إنّما أنا رجل منكم، فإذا شئتم فاخرجوا.

فوثبوا بالمختار بعد مسير إبراهيم بن الأشتر، وخرجوا بالجبَابين[4] كلّ رئيس بجبّانة. فلمّا بلغ المختارَ خروجُهم أرسل قاصداً مُجِدّاً إلى إبراهيم بن الأشتر، فلحِقه وهو بساباط يأمره بالرجوع والسرعة، وبعث المختار إليهم في ذلك: أخبروني ماذا تريدون، فإنّي صانع كلّ ما أحببتم. قالوا: نريد أن تعتزلنا، فإنّك زعمتَ[5] أنّ ابنَ الحنفيّة بعثك ولم يبعثك. قال: فأرسلوا إليه وفداً من قِبَلكم، وأرسلِ أنا إليه وفداً، ثمّ انظروا في ذلك حتّى يظهر لكم. وهو يريد أن يريثهم بهذه المقالة حتّى يَقْدَم عليه إبراهيم بن الأشتر، وأمر أصحابه فكفّوا أيديهم، وقد أخذ عليهم أهل الكوفة بأفواه السكك، فلا يصل إليهم شيء إلّا القليل. وخرج عبدُ الله بن سَبيع في الميدان، فقاتله بنو شاكر قتالاً شديداً، فجاءه عُقْبَة بن طارق الجُشَميُّ، فقاتل معه ساعة حتّى ردّهم عنه، ثمّ أقبل، فنزل عُقبة مع شَمِر ومعه قيس عَيلان في جبّانة سَلول، ونزل عبد الله بن سَبيع مع أهل اليمن في جبّانة السَّبيع.

ولما سار رسولُ المختار وصل إلى ابن الأشتر عشيّة يومه، فرجع ابن الأشتر بقيّة

---

(١) في (ب) زيادة: «من انفسكم».

(٢) ما بين القوسين ورد. في الأوربية: «ومجيء أهل البصرة فيكفونه».

(٣) في الأوربية: «بينهم».

(٤) في الأوربية: «بالجبّانين».

(٥) في الأوربية: «عزمت».

عشيّته (تلك، ثمّ نزل حين)[1] أمسى، [فتعشّى أصحابُه]، وأراحوا دوابّهم قليلاً، ثمّ سار ليلته كلّها ومن الغد، فوصل العصر[2]، وبات ليلته في المسجد، ومعه من أصحابه أهل القوّة. ولما اجتمع أهلُ اليمن بجبّانة السَّبيع حضرت الصلاة، فكره كلّ رأس من أهل اليمن أن يتقدّمه صاحبه، فقال لهم عبد الرحمن بن مِخْنَف: هذا أوّل الاختلاف، قدّموا الرضى فيكم سيّد القرّاء رِفاعة بن شدّاد البَجَليَّ، ففعلوا، فلم يزل يصلّي بهم حتّى كانت الوقعة.

ثمّ إنّ المختار عبّأ أصحابه في السوق، وليس فيه بنيان، فأمر ابنَ الأشتر، فسار إلى مُضَر وعليهم شَبَث بن رِبْعيّ، ومحمّد بن عُمَير بن عُطارد، وهم بالكُناسة، وخشي أن يرسله إلى أهل اليمن، فلا يبالغ في قتال قومه. وسار المختارُ نحو أهلِ اليمن بجبّانة السَّبيع، ووقف عند دار عَمْرو بن سعيد، وسرّح بين يديه أحمر بن شُمَيْط البَجَليَّ، وعبدَ الله بن كامل الشاكريَّ، وأمر كلّاً منهما بلزوم طريقٍ ذكره له يخرج إلى جبّانة السَّبيع، وأسرّ إليهما أنّ شِباماً قد أرسلوا إليه يخبرونه أنّهم يأتون القومَ من ورائهم، فمضيا كما أمرهما.

فبلغ أهلَ اليمنِ مسيرُهما، فافترقوا إليهما، واقتتلوا أشدّ قتال رآه الناس، ثمّ انهزم أصحابُ أحمر بن شُمَيْط، وأصحاب ابن كامل، ووصلوا إلى المختار، فقال: ما وراءكم؟ قالوا: هُزمنا وقد نزل أحمر بن شُمَيْط ومعه ناس من أصحابه. وقال أصحاب ابن كامل: ما ندري ما فعل ابن كامل.

فأقبل بهم المختار نحو القوم حتّى بلغ دار أبي عبد الله الجَدَليّ، فوقف ثمّ أرسل عبدَ الله بن قُراد[3] الخثعميَّ في أربعمائة إلى ابن كامل وقال له: إن كان قد هلك فأنت مكانه وقاتِل القوم، وإن كان حيّاً، فاتركْ عنده ثلاثمائة من أصحابك، وامضِ في مائة حتّى تأتي جبّانة السَّبيع، فتأتي أهلها من ناحية حمّام قَطَن.

فمضى فوجد ابن كامل يقاتلهم في جماعة من أصحابه قد صبروا معه، فترك عنده ثلاثمائة رجل، وسار في مائةٍ حتّى أتى مسجدَ عبد القيس، وقال لأصحابه: إنّي أُحبّ أن يظهر المختار، وأكره أن تهلك أشرافُ عشيرتي اليومِ، ووالله لأن أموت أحبّ إليّ من أن يهلكوا على يديّ، ولكن قفوا، فقد سمعتُ أن شِباماً يأتونهم من ورائهم، فلعلّهم يفعلون ذلك، ونُعافَى نحن منه. فأجابه إلى ذلك، فبات عند مسجد عبد القيس.

---

(١) في الأوربية: «تلك اللّيلة ثمّ نزل حتى».

(٢) في (ر): «القصر».

(٣) في (ر): «مراد».

وبعث المختارُ مالك بن عَمْرو النَّهديَّ، وكان شجاعاً، وعبد الله بن شَريك النَّهْديَّ في أربعمائة إلى أحمر بن شُمَيْط، فانتهوا إليه وقد علاه القومُ وكثروه، فاشتدّ قتالهم عند ذلك.

وأمّا ابنُ الأشتر، فإنّه مضى إلى مُضَر، فلقي شَبَث بن رِبْعيّ ومَنْ معه، فقال لهم إبراهيم: ويحكم انصرفوا، فما أُحبّ أن يُصاب من مُضَر على يديّ. فأَبَوا وقاتلوه، فهزمهم، وجُرح حسّان بن فائد العبسيُّ[1]، فحُمل إلى أهله فمات، فكان مع شَبَث، وجاءت البشارة إلى المختار بهزيمة مُضر، فأرسل إلى أحمر بن شُمَيْط، وابن كامل يبشّرهما، فاشتدّ أمرهما.

فاجتمع شِبام، وقد رأسّوا عليهم أبا القَلوص، ليأتوا [أهلَ] اليمن من ورائهم، فقال بعضهم لبعض: لو جعلتم جِدّكم على مُضَر وربيعة لكان أصوب، وأبو القلوص ساكتٌ، فقالوا: ما تقول؟ فقال: قال الله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾[2]. فساروا معه نحو أهل اليمن، فلمّا خرجوا إلى جبّانة السَّبيع لقِيهم على فم السكّة الأعسرُ الشاكريُّ، فقتلوه ونادوا في الجبّانة، وقد دخلوها: يا لثارات الحسين! فسمعها يزيد بن عُمَير بن ذي مُرّان الهمدانيُّ فقال: يا لثارات عثمان! فقال لهم رِفاعة بنِ شدّاد: ما لنا ولعثمان! لا أقاتل مع قوم يبغون دم عثمان. فقال له ناس من قومه: جئتَ بنا وأطعناك، حتّى إذا رأينا قومنا تأخذهم السيوف، قلتَ: انصرفوا ودعوهم! فعطف عليهم وهو يقول، شعر:

أنا ابنُ شَدّاد على دينِ علي	لستُ لعثمانَ بن[3] أروَى بولي[4]
لأصْلِينّ اليوْم[5] فيمَنْ يَصطلي	بِحَرّ نارِ الحَرْبِ غير مؤتَلِ[6]

فقاتل حتّى قُتل.

وكان رِفاعةُ مع المختار، فلمّا رأى كِذبه أراد قتله غيلةً، قال: فمنعني قولُ النبيّ ﷺ: مَن ائتمنه رجل على دمه فقتله فأنا منه بريءٌ.

---

(١) في (ر): «العتبي».
(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٥.
(٣) في الأوربية: «من».
(٤) في الفتوح: «لست لمروان ابن ليلى بولي».
(٥) في الفتوح: «لأصطلينّ الحرب».
(٦) الطبري ٦/٥٠، الفتوح لابن أعثم ٦/١٧٧ وفيه: «أحوص نار الحرب حتى تنجلي». أنساب الأشراف ٥/٢٣٣ وفيه: «غير مُلْتوي».

فلمّا كان هذا اليوم قاتل مع أهل الكوفة، فلمّا سمع يزيدَ بن عُمَير يقول: يا لثارات عثمان، عاد عنهم، فقاتلٍ مع المختار حتّى قُتل؛ وقُتل يزيد بن عُمَير بن ذي مُرّان، والنُّعمان بن صُهْبان الجَرْميُّ، وكان ناسكاً، وقُتل الفُرات بن زَحْر بن قَيس، وجُرح أبوه زَحْر، وقُتل عبد الله بن سعيد بن قيس، وقُتل عمر بن مِخْنَف، وقاتل عبدُ الرحمن بن مِخْنَف حتّى جُرح، وحملته الرجال على أيديهم وما يشعر، وقاتل حوله رجالٌ من الأزد، وانهزم أهلِ اليمن هزيمةً قبيحةً، وأخذ من دور الوادعيّين خمسمائة أسير، فأتَى بهم المختارَ مكتّفين، فأمر المختارُ بإحضارهم وعرضهم عليه، وقال: انظروا مَنْ شهد منهم قَتْلَ الحسين فأَعْلِموني. فقتل كلّ من شهد قتلَ الحسين، فقتل منهم مائتين وثمانية وأربعين قتيلاً، وأخذ أصحابه يقتلون كلّ مَنْ كان يؤذيهم.

فلمّا سمع المختار بذلك أمر بإطلاق كلّ مَنْ بقي من الأسارى، وأخذ عليهم المواثيق أن لا يجامعوا عليه عدوّاً، ولايبغوه وأصحابَه غائلة، ونادى منادي المختار: مَنْ أغلق بابه فهو آمن إلاّ مَن شرِك في دماء آل محمّد ﷺ.

وكان عَمرو بن الحجّاج الزُّبيديُّ ممّنْ شهد قتلَ الحسين، فركب راحلته، وأخذ طريق واقصة، فلم يُرَ له خبر حتّى الساعة. وقيل: أدركه أصحابُ المختار وقد سقط من شدّة العطش، فذبحوه وأخذوا رأسه.

ولما قُتل فرات بن زَحْر بن قيس أرسلت عائشة بنت خليفة بن عبد الله الجُعْفِيّة، وكانت امرأة الحسين، إلى المختار تسأله أن يأذن لها في دفنه، ففعل، فدفنته[1].

وبعث المختار غلاماً له يُدْعى زربَى[2] (في طلب شَمِر بن ذي الجَوْشن ومعه أصحابه، فلمّا دنوا منه قال شَمِر لأصحابه: تباعدوا عنّي لعلّي يطمع فيّ، فتباعدوا عنه، فطمع زربى[2] عن أصحابه، ثمّ حمل عليه شَمِر فقتله، وسار شَمِر حتى نزل (مساء ساتِيدَما[3]، ثمّ سار حتّى نزل)[4] منه قرية يقال لها الكلتانيّة على شاطىء نهرٍ إلى جانب تلّ، ثمّ أرسل إلى أهل تلك القرية، فأخذ منها عِلْجاً فضربه وقال: امضِ بكتابي هذا إلى مُصْعَب بن الزّبير. فمضى العلجُ حتّى دخل قرية[5] فيها أبو عَمْرة صاحب المختار، وكان قد أرسله المختار إلى تلك القرية ليكون مَسْلَحَةً بينه وبين أهل البصرة، فلقي ذلك

(١) الطبري ٦/٥١، ٥٢.
(٢) في (ر): «زرقا»، وفي (ب): «زريا».
(٣) ساتيدَما: بالتاء المثناة من فوق مكسورة، وياء مثنّاة من تحت، ودال مهملة مفتوحة ثم ميم، وألف مقصورة، هو جبل بالهند لا يعدم ثلجه أبداً. (معجم البلدان ٣/١٦٨)، وفي الطبعة الأوربية «سدما».
(٤) ما بين القوسين من (ب).
(٥) في الأوربية: «القرية».

العِلج عِلجاً آخر من تلك القرية، فشكا إليه ما لقي من شَمِر، فبينا هو يكلّمه إذ مرّ به رجلٌ من أصحاب أبي عَمْرة اسمه عبد الرحمن بن أبي الكَنُود، فرأى الكتاب وعنوانه: لمُصْعَب بن الزّبير من شَمِر، فقالوا للعلج: أين هو؟ فأخبرهم، فإذا ليس بينه وبينهم إلاّ ثلاثة فراسخ، قال: فأقبلوا يسيرون إليه. وكان قد قال لشَمِر أصحابُه: لو ارتحلتَ بنا من هذه القرية، فإنّا نتخوّف بها. فقال: أوَكلّ[1] هذا فزعاً من الكذّاب! والله لا أتحوّل منها ثلاثة أيّام، ملأ الله قلوبكم[2] رعباً. فإنّهم لَنيام، إذ سُمع وقْع الحوافر، فقالوا في أنفسهم: هذا صوت الدِّبا، ثمّ اشتدّ، فذهب أصحابه لِيقوموا، فإذا بالخيل قد أشرفت من التلّ، فكبّروا وأحاطوا بالأبيات[3]، فولّى أصحابُه هاربين وتركوا خيولَهم، وقام شَمر وقد اتّزر ببُرد، وكان أبرص، فظهر بياض بَرَصه من فوق البُرد، وهو يطاعنهم بالرمح، وقد عجّلوه عن لبس ثيابه وسلاحه، وكان أصحابه قد فارقوه، فلمّا أبعدوا عنه سمعوا التكبيرَ وقائلاً يقول: قُتل الخبيثُ، قتله ابن أبي الكَنُود، وهو الذي رأى الكتاب مع العِلج، وأُلقيت جثّته للكلاب، قال: وسمعته بعد أن قاتلَنا بالرمح، ثمّ ألقاه وأخذ السيف، فقاتلَنا به وهو يرتجز، شعر:

نَبّهتمُ لَيثَ عَرينٍ باسِلا[4] ... جَهماً مُحَيّاهُ يَدُقُّ الكاهِلا
لم يُرَ يَوْماً عن عدوٍّ ناكِلا ... إلاّ كذا مُقاتلاً أوْ قاتِلا[5]
يُبرِحُهُمْ[6] ضَرْباً ويُروي العامِلا[7]

وأقبل المختار إلى القصر من جبّانة السَّبيع ومعه سُراقة بن مرداس البارقيُّ أسيراً فناداه، شعر:

امننْ عليّ اليومَ يا[8] خيرَ مَعَدْ ... (وخيرَ مَن حلَّ بِشِحْرٍ[9] والجَنَدْ)[10]

---

(1) في الأوربية: «كلّ».
(2) في الأوربية: «قلوبهم».
(3) في (ب): «الأيات» وفي (ر): «الأيتان».
(4) في الفتوح: «تيمّموا ليثاً هزبراً باسلا».
(5) في الأوربية:
لم يُرَ لوماً عن عدوّنا كلّا ... إلاّ كذا نقاتل أو قاتلا
وفي الفتوح: لم يك يوماً.
(6) في الأوربية: «ينزحهم»، وفي البداية والنهاية ٢٧١/٨ «يزعجهم».
(7) الطبري ٥٤/٦، الفتوح لابن أعثم ١٥٧/٦ وفيه: «يمنحكم طعناً وموتاً عاجلا»، تهذيب تاريخ دمشق ٣٤٢/٦.
(8) في الأوربية: «ما».
(9) في الأوربية: «حِلّ شجر».
(10) ما بين القوسين من (ر).

وخَيـرَ مَنْ لَبّى وحَيّا وسَجَدْ[1]

فأرسله المختار إلى السجن، ثمّ أحضره من الغد، فأقبل إليه وهو يقول، شعر:

ألا أبلغْ أبا إسحاقَ أنّا ... نَزَوْنا نَزْوَةً كانَتْ علَينَا
خرجنا لا نرَى الضّعفاء شيئاً ... وكان خُرُوجنا بَطراً وحَينَا
لَقِينا منهُمُ ضَرْباً طِلَحْفاً[2] ... وطَعناً صائباً حتّى انثَنَيْنَا
نُصِرْتَ على عدوّك كلّ يَوْمٍ ... بكلّ كتِيبَةٍ تَنْعى[3] حُسينَا
كنصرِ محمّدٍ في يومِ بَدْرٍ ... ويومِ الشّعبِ إذ لاقى حُنَيْنَا
فأسْجِحْ[4] إذ ملكتَ فلوْ ملَكنا ... لجُرْنا في الحكومةِ واعتَدَيْنَا
تقَبّلْ تَوْبةً منّي فإنّي ... سأشكرُ إنْ[5] جعلتَ النقد دَينَا[6]

قال: فلمّا انتهى إلى المختار قال: أصلح اللّهُ الأمير، أُحلف بالله الذي لا إله إلّا هو، لقد رأيتُ الملائكة تقاتل معك على الخيول البُلق بين السماء والأرض. فقال له المختار: اصعد المنبر فأَعْلِم الناس. فصعِد، فأخبرهم بذلك ثمّ نزل، فخلا به [المختارُ] فقال له: إنّي قد علمتُ أنّك لم تَرَ شيئاً، وإنّما أردتَ ما قد عرفتُ أن لا أقتلك، فاذهبْ عنّي حيثُ شئتَ لا تُفْسِدْ عليّ أصحابي؛ فخرج إلى البصرة، فنزل عند مُصْعَب وقال، شعر:

ألا أبلِغْ[7] أبا إسحاقَ أنّي ... رأيتُ البُلْقَ دُهماً مُصمتَاتِ
كفرْتُ بوَحيكمْ وجعلتُ نَذراً ... عليَّ قتالَكُمْ حتى المَماتِ
أُري عينَيّ ما لم تُبْصِراهُ ... كِلانا عالِمٌ بالتُّرّهاتِ[8]

---

(١) ديوان سراقة بن مرداس ٧٤، الطبري ٦/٥٤.

(٢) طِلَحْفاً: شديداً وجيعاً.

(٣) في الأوربية: «تبغي».

(٤) في الأوربية: «فاسمح».

(٥) في الأوربية: «إذ».

(٦) ديوان سراقة ٧٦ ـ ٧٧، الطبري ٦/٥٤ الفتوح لابن اعثم ٦/١٥٢، ١٥٣، تهذيب تاريخ دمشق ٦/٧١، البداية والنهاية ٨/٢٧١ باختلاف ألفاظ وأورد الدينوري في الأخبار الطوال ٣٠٣ البيتين الأولين فقط، مع اختلاف في الألفاظ.

(٧) في البداية والنهاية ٨/٢٧١ «أخبر».

(٨) ديوان سراقة ٧٨، الأخبار الطوال ٣٠٣، الطبري ٦/٥٥، الفتوح لابن أعثم ٦/١٥٤، البدء والتاريخ ٦/٢٢، تهذيب تاريخ دمشق ٦/٦٩، تاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ) ص ٥٣، البداية والنهاية ٨/٢٧١، ٢٧٢، نهاية الأرب ٢١/٢٣٤.
وزاد الطبري بيتاً هو:

=

وقُتل يومئذ عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهَمْدانيّ، وادّعى قتله سِعْر بن أبي سِعْر، وأبو الزّبَير الشِّباميُّ، وشِبام من هَمْدان، ورجل آخر، فقال ابن عبد الرحمن لأبي الزّبير الشباميّ: أتقتل أبي عبد الرحمن سيّد قومك؟ فقرأ: ﴿**لا تَجِدُ قَوْماً يُؤمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾[1] الآية.

وانجلت الوقعة عن سبعمائة وثمانين قتيلاً من قومه، وكان أكثرُ القتلِ ذلك اليومَ في أهل اليمن. وكانت الوقعة لستّ ليالٍ بقين من ذي الحجّة سنة ستٍّ وستّين.

وخرج أشراف الناس فلحِقوا بالبصرة، وتجرّد المختار لقَتَلة الحسين، وقال: ما من ديننا أن نترك قتلةَ الحسين أحياء، بئس ناصر آل محمّد، ﷺ، أنا إذاً في الدنيا، أنا إذاً الكذّاب كما سمّوني، وإنّي أستعين بالله عليهم فسمّوهم لي، ثمّ اتبعوهم حتّى تقتلوهم، فإنّي لا يسوغ ليَ الطعام والشراب حتّى أطهّر الأرض منهم. فدُلّ على عبد الله بن أسيد الجُهَنيّ، ومالك بن بَشير البدّيّ، وحَمَل بن مالك المحاربيّ[2]، فبعث إليهم المختارُ، فأحضرهم من القادسيّة، فلمّا رآهم قال: يا أعداء الله ورسوله! أين الحسين بن عليّ؟ أدّوا إليّ الحسين، قتلتم مَن أُمرتم بالصلاة عليهم. فقالوا: رحِمك الله! بُعِثنا كارهين فامنُنْ علينا واستبقِنا. فقال لهم: هلاّ مننتم على الحسين ابن بنت نبيّكم، فاستبقيتموه وسقيتموه؟ وكان البدّيّ صاحب بُرْنُسِه، فأمر بقطع يدَيْه ورِجلَيه، وتُرك يضطرب حتّى مات، وقتل الآخرين، وأمر بزياد بن مالك الضُّبَعيّ، وبعِمران بن خالد القُشَيريْ، وبعبد الرحمن بن أبي خشكارة[3] البَجَليّ، وبعبد الله بن قيس الخَوْلانيّ، فأُحضروا عنده، فلمّا رآهم قال: يا قَتَلَة الصالحين، وقَتَلَة سيّد شباب أهل الجنّة، قد أقاد الله منكم اليوم، لقد جاءكم الوَرْس في يوم نَحْس. وكانوا نهبوا من الورْس الذي كان مع الحسين. ثمّ أمر بهم فقُتلوا.

وأُحضر عنده: عبد الله وعبد الرحمن ابنا صلخت[4]، وعبد الله (بن وهْب بن عمرو)[5] الهمدانيُّ، وهو ابن عمّ أعشى همدان، فأمر بقتلهم، فقُتلوا، وأُحضر عنده: عثمان بن خالد بن أسيد الدُّهمانيّ الجُهَنيُّ، وأبو أسماء بِشْر بن شُمَيط القانصيُّ، وكانا قد اشتركا في قتل عبد الرحمن بن عَقيل وفي سلْبه، فضرب أعناقهما وأُحرقا بالنار.

= إذا قالوا أقول لهم كذبتم ... وإن خرجوا لبست لهم أداتي

(١) سورة المجادلة، الآية ٢٢.

(٢) في (ب): «المجازي».

(٣) في (ر): «حكارة».

(٤) في (ر): «فلان»، والطبري ٦/٥٨ «صلْخَب».

(٥) في (ر): «ابن عمرو بن وهب».

ثمّ أرسل إلى خَوَليّ بن يزيد الأصبحيّ، وهـو صاحب رأس الحسين، فـاختفى في مخرجه، فدخلِ أصحابُ المختار يفتّشون عنه[1]، فخرجت امرأتـه، واسمها العيـوف بنت مالك، وكانت تُعاديه منذ جاء برأس الحسين، فقالت لهم: ما تـريدون؟ فقـالوا لهـا: أين زوجـك؟ قالت: لا أدري، وأشـارت بيدهـا إلى المخرج، فـدخلوا فوجـدوه وعلى رأسـه قَوْصَرَّة، فأخرجوه وقتلوه إلى جانب أهله، وأحرقوه بالنار.

ذكر مقتل عَمرو بن سعد وغيره ممّنْ شهد قتْل الحسين

ثمّ إنّ المختار قال يوماً لأصحابه: لأقتلنّ غداً رجلاً عظيم القدَمَين، غـائر العينين، مشرف[2] الحاجبَين، يَسُرّ قتلُه المؤمنين والملائكةَ المقرّبين. وكان عنده الهيثم بن الأسـود النّخعيُّ، فعلم أنّـه يعني عَمْرو بن سعـد، فرجـع إلى منزلـه، وأرسل إلى عَمـرو مع ابنـه العُرْيان يعرّفه ذلـك، فلمّا قـاله لـه قال: جـزى اللّٰهُ أباك خيـراً، كيف يقتلني بعد العهـود والمـواثيق؟ وكان عبـد الله بن جَعْدة بن هُبَيـرة أكرم النـاس على المختار لقـرابتـه بعليّ، وكلّمه عَمرو بن سعد ليأخذ له أماناً منَ المختار، ففعل وكتب له المختار أماناً، وشرط فيه أن لا يحدث، وعنى بالحَدَث دخول الخلاء.

ثمّ إنّ عَمْرو بن سعد خرج من بيته بعد عَوْد العريان عنه، فأتَى حمّامه، فأخبر مولًى لـه بما كـان منه وبـأمانـه. فقال لـه مولاه: وأيّ حـدث أعظم ممّـا صنعتَ؟ تركتَ أهلك ورَحْلك وأتيتَ إلى ها هنا، ارجع ولا تجعل عليـك سبيلاً. فـرجع وأتى المختـارَ فأخبـره بانطلاقه[3]، فقال: كَلّا، إنّ في عنقه سلسلة ستردّه. وأصبح المختـار فبعث إليه أبـا عَمْرة فأتاه وقال: أجبِ الأميرَ. فقام عَمرو فعثر في جُبّة له، فضربه أبو عَمْرة بسيفه، فقتله وأخذ رأسـه، فأحضـره عند المختـار. فقال المختـار لابنه حفص بن عَمـرو وهو جـالسٌ عنده: أتعرف مَن هذا؟ قال: نعم ولا خير في العَيش بعده! فأمـر به فقُتـل، وقال المختـار: هذا بحسين، وهذا بعليّ بن الحسين، ولا سواء، والله لو قتلتُ به ثـلاثة أربـاع قريش مـا وفوا أنملة من أنامله[4].

وكـان السبب في تهيّج المختـار على قتله أنّ يـزيـد بن شـراحيـل الأنصـاريَّ أتى محمّـدَ بن الحنفيّة، وسلّم عليـه، وجـرى الحـديث إلى أن تـذاكـرا المختـار، فقـال ابن الحنفيّة: إنّه يزعم أنّه لنا شيعة، وقَتَلة الحسين عنده على الكراسي يحدّثونه.

(١) في الأوربية: «عليه».
(٢) الأوربية: «مترف».
(٣) في الأوربية: «بإطلاقه».
(٤) الطبري ٦/٦١، البداية والنهاية ٨/٢٧٣، ٢٧٤.

فلمّا عاد يزيد أخبر المختار بذلك، فقتل عَمرَو بن سعد، وبعث برأسه ورأس ابنه إلى ابن الحنفيّة، وكتب إليه يُعلِمُه أنّه قد قتل مَنْ قدر عليه، وأنّه في طلب الباقين ممّن حضر قتْل الحسين.

قال عبد الله بن شَريك: أدركتُ أصحاب الأردية[1] المعلَّمة، وأصحاب البرانس السُّود من أصحاب السّواري، إذا مرّ بهم عَمرو بن سعد قالوا: هذا قاتل الحسين، وذلك قبل أن يقتله. وقال ابن سيرين: قال عليّ لَعمرو بن سعد: كيف أنتَ إذا قمتَ مقاماً تُخيّر فيه بين الجنّة والنار، فتختار النار؟

ثمّ إنّ المختار أرسل إلى حَكيم بن طُفَيل الطّائيّ، وكان أصاب سلَب العبّاس بن عليّ، ورمى الحسينَ بسهم، وكان يقول: تعلّق سهمي بسِرْباله وما ضرّه، فأتاه أصحابُ المختار فأخذوه، وذهب أهلُه فشفعوا بعديّ بن حاتم، فكلّمهم عديّ فيه، فقالوا: ذلك إلى المختار. فمضى عديّ إلى المختار ليشفع فيه، وكان المختار قد شفّعه في نفرٍ من قومه أصابهم يوم جبّانة السبيع، فقالت الشيعة: إنّا نخاف أن يشفّعه المختارُ فيه، فقتلوه رمياً بالسهام، كما رمى الحسينَ حتّى صار كأنّه القُنْفذ؛ ودخل عديّ بن حاتم على المختار، فأجلسه معه، فشفع فيه عديّ، فقال المختار: أتستحلّ أن تطلب في قتَلَة الحسين؟ فقال عديّ: إنّه مكذوبٌ عليه. قال: إذاً ندعُه لك.

فدخل ابن كامل فأخبر المختار بقتله، فقال: ما أعجلكم إلى ذلك؟ ألا أحضرتموه عندي؟ وكان قد سرّه قتلُه. فقال ابن كامل: غلبتْني عليه الشيعةُ. فقال عديّ لابن كامل: كذبتَ، ولكن ظننتَ أنّ مَنْ هو خير منك سيشفّعني فقتلتَهُ. فسبّه ابن كامل، فنهاه المختار عن ذلك.

وبعث المختار إلى قاتل عليّ بن الحسين، وهو مُرّة بن مُنقذ من عبد القيس، وكان شجاعاً، فأحاطوا بداره، فخرج إليهم على فرسه وبيده رمحه، فطاعنهم، فضُرب على يده، وهرب منهم فنجا، ولحِق بمُصعَب بن الزّبَير، وشُلّت يده بعد ذلك.

وبعث المختار إلى زيد بن رُقاد الجُنُبيّ[2]، كان يقول: لقد رميتُ فتًى منهم بسهم وكفّه على جبهته (يتّقي النَّبلَ، فأثبتُّ كفّه في جبهته، فما استطاع أن يُزيل كفّه عن)[3] جبهته، وكان ذلك الفتي عبد الله بن مسلم بن عَقيل، وإنّه قال حين رميتُهُ: اللهمّ إنّهم استقلّونا واستذلّونا، فاقتلْهم كما قتلونا! ثمّ إنّه رمى الغلام بسهم آخر، وكان يقول: جئتُهُ

---

(١) في الأوربية: «الأزدية».

(٢) في الأوربية: «الحبّاني».

(٣) ما بين القوسين من (ر).

وهو ميت، فنزعتُ[1] سهمي الذي قتلته به من جوفه، فلم أزل أُنَضنِضه[2] من جبهته حتّى أخذتُه وبقي النَّصلُ؛ فلمّا أتاه أصحاب المختار خرج إليهم بالسيف، فقال لهم ابن كامل: لا تطعنوه ولا تضربوه بالسيف، ولكنِ ارموه بالنبل والحجارة. ففعلوا ذلك به، فسقط، فأحرقوه حيّاً[3].

وطلب المختارُ سِنانَ بن أنَس الذي كان يَدّعي قَتْلَ الحسين، فرآه قد هرب إلى البصرة، فهدّم داره[4].

وطلب عبدَ الله بن عُقْبَة الغَنَويَّ، فوجده قد هرب إلى الجزيرة، فهدّم داره، وكان قد قتل منهم غلاماً. وطلب آخر من بني أسد يقال له حَرْملة[5] بن الكاهن[6]، كان قد قتل رجلاً من أهل الحسين ففاته.

وطلب أيضاً رجلاً من خَثْعَم اسمه عبد الله بن عُرْوة الخثْعميّ، كان يقول: رميتُ فيهم باثني عشر سهماً؛ ففاته ولحِق بمُصْعَب بن الزّبير، فهدّم داره.

وطلب أيضاً عمرَو بن الصُّبَيْح الصُّدائيَّ، كان يقول: لقد طعنتُ فيهم وجرحتُ، وما قتلتُ منهم أحداً، فأُتي ليلاً فأُخذ، وأُحضر عند المختار، فأمر بإحضار الرماح، وطُعن بها حتّى مات[7].

وأرسل إلى محمد بن الأشعث، وهو في قريةٍ له إلى جَنْب القادسيّة، فطلبوه فلم يجدوه، وكان قد هرب إلى مُصْعَب، فهدم المختارُ داره، وبنى بلبِنها وطِينِها دار حُجْر بن عديّ الكِنْديّ، كان زياد قد هدمها[8].

(بَحِير بن ريسان[9]: بفتح الباء الموحدة، وكسر الحاء المهملة. شِبام: بكسر الشين المعجمة، والباء الموحّدة: بطن من هَمْدان؛ وهَمْدان: بسكون الميم، وبالدال المهملة. وسِعْر: بكسر السين المهملة. وأحمر بن شُمَيط: بالحاء المهملة، والراء المهملة، وشُمَيط بالشين المعجمة. وشَبَث: بفتح الشين المعجمة والباء الموحّدة. جبّانة أُثَير:

(١) في الأوربية: «فزعت».
(٢) أُنَضْنِضُه: أحرّكه.
(٣) الطبري ٦/٦٤، ٦٥.
(٤) الطبري ٦/٦٥.
(٥) في (ر): «خزيمة».
(٦) الطبري ٦/٦٥ «الكاهل».
(٧) الطبري ٦/٦٥.
(٨) الطبري ٦/٦٦.
(٩) في (ر): «رستان».

بضمّ الهمزة، وبالثاء المثلّثة، وبالياء المثنّاة من تحت، وبالراء المهملة. عُتَيْبَة بن النَّهّاس: بالعين المهملة، وبالتاء المثنّاة من فوق، ثم بالياء المثنّاة من تحت، وبالياء الموحّدة. حسّان بن فائد: بالفاء).

ذكر بيعة المثنّى العبديّ للمختار بالبصرة

وفي هذه السنة دعا المثنّى بن مُخَرِّبة العَبديُّ بالبصرة إلى بيعة المختار، وكان ممّن شهد عين الوردة مع سليمان بن صُرَد، ثمّ رجع فبايع للمختار، فسيّره إلى البصرة يدعو بها إليه، فقدِم البصرةَ ودعا بها، فأجابه رجال من قومه وغيرهم، ثمّ أتى مدينة الرزق فعسكر عندها، وجمعوا الميرة بالمدينة، فوجّه إليهم القُبَاعُ[1] أميرُ البصرة، ودعا بها عَبّادَ بن حُصَين، وهو على شُرطته، وقيس بن الهيثم في الشُّرَط والمقاتلة، فخرجوا إلى السَّبْخة، ولزِم الناسُ بيوتهم، فلم يخرج أحد، وأقبل عبّاد فيمَن معه، فتواقف هو والمثنّى، فسار عبّاد نحو مدينة الرزق، وترك قيساً مكانه.

فلمّا أتى عبّاد مدينة الرزق أصعد على سورها ثلاثين رجلاً وقال لهم: إذا سمعتم التكبير فكبّروا، ورجع عبّاد إلى قيس، وأنشبوا القتال مع المثنّى، وسمع الرجال الذين في دار الرزق التكبيرَ فكبّروا، وهرب مَنْ كان بالمدينة، وسمع المثنّى التكبير من ورائهم، فهرب فيمَن معه، فكفّ عنهم قيس وعبّاد ولم يتبعاهم.

وأتى المثنّى قومَه عبدَ القيس، فأرسل القُباعُ عسكراً إلى عبد القيس ليأتوه بالمثنّى ومَنْ معه. فلمّا رأى زياد بن عَمرو العَتَكيُّ ذلك أقبل إلى القُباع فقال له: لتَرُدّنّ خيلك عن إخواننا أو لنقاتلنّهم. فأرسل القباعُ الأحنفَ بن قيس، وعمر بن عبد الرحمن المخزوميَّ ليُصلحا بين الناس، فأصلح الأحنف الأمرَ على أن يخرج المثنّى وأصحابُه عنهم، فأجابوه إلى ذلك وأخرجوهم عنهم، فسار المثنّى إلى الكوفة في نفرٍ يسير من أصحابه[2].

(مُخَرِّبة: بضمّ الميم، وفتح الخاء المعجمة، وتشديد الراء وكسرها، ثمّ باء مفتوحة).

ذكر مكر المختار بابن الزبير

فلمّا أخرج المختارُ عاملَ بن الزّبَير عن الكوفة، وهو ابن مُطيع، سار إلى البصرة،

---

(١) في (آ) و (ر): «القناع».
(٢) الطبري ٦/٦٦ - ٦٨.

وكَرِه أن يأتي ابنَ الزّبير مهزوماً، فلمّا استجمع للمختار أمرُ الكوفة أخذ يخادع ابن الزّبير، فكتب إليه: قد عرفتَ مناصحتي إيّاك وجهدي على أهل عداوتك، وما كنتَ أعطيتَني إذا أنا فعلتُ ذلك [من نفسك]، فلمّا وفيتُ لك لم تفِ بما عاهدتني عليه، فإن تُرِدْ مراجعتي ومناصحتي فعلتُ، والسلام.

وكان قصدُ المختار أن يكفّ ابن الزّبير عنه ليتمّ أمره، والشيعة لا يعلمون بشيءٍ من أمره، فأراد ابن الزّبير أن يعلم أسِلْمٌ هو أم حَرْب، فدعا عمرَ بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزوميَّ، فولاّه الكوفة وقال له: إنّ المختار سامعٌ مطيع؛ فتجهّز بما بين ثلاثين ألف درهم إلى أربعين ألفاً، وسار نحو الكوفة. وأتَى الخبر إلى المختار بذلك، فدعا المختارُ زائدة بن قُدامة، وأعطاه سبعين ألف درهم وقال له: هذا ضعف ما أنفق عمر بن عبد الرحمن في طريقه إلينا، وأمره أن يأخذ معه خمسمائة فارس ويسير حتّى يلقاه بالطريق، ويعطيه النفقة ويأمره بالعود، فإن فعل وإلاّ فلْيُرِه[1] الخيل.

فأخذ زائدةُ بن قُدامة المال، وسار حتّى لقي عمر، فأعطاه المالَ، وأمره بالانصراف، فقال له: إنّ أمير المؤمنين قد ولاّني الكوفة، ولا بدّ من إتيانها. فدعا زائدةُ الخيلَ، وكان قد كمّنها، فلمّا رآها قد أقبلتْ[2] أخذ المال، وسار نحو البصرة، فاجتمع هو وابن مطيع في إمارة الحارث بن أبي ربيعة، وذلك قبل وثوب المثنّى بن مُخَرِّبة العبديّ بالبصرة[3].

وقيل: إنّ المختار كتب إلى ابن الزبير: إنّي اتّخذتُ الكوفةَ داراً، فإن سَوّغتني ذلك، وأمرتَ لي بألف ألف درهم سرتُ إلى الشام، فكفيتُك ابنَ مروان. فقال ابن الزّبير: إلى متى أماكر كذّاب ثقيف ويماكرني؟ ثمّ تمثّل[4]، شعر:

عاري الجواعرْ مَنْ ثَمودُ أصلُهُ عَبدٌ ويَزْعُمُ أنّهُ مَنْ يَقْدمُ

وكتب إليه: والله ولا درهم:

ولا أمتري [عبدَ] الهوانِ ببدرتي وإنّي لآتي للحتفَ[5] ما دمتُ أسمعُ[6]

---

(١) في الأوربية: «فأره».

(٢) في الأوربية: «أقللت».

(٣) الطبري ٦/٧١، ٧٢.

(٤) في الأوربية: «تماثل».

(٥) في (ر): «الخيف».

(٦) في الأوربية:
ولا درهم ولا امتري الهون بدرتي وإنّي لآتي الحنيف ما دمتُ أسمعُ»

ثمّ إنّ عبد الملك بن مروان بعث عبدَ الملك بن الحارث بن أبي الحكَم بن أبي العاص إلى وادي القرى، وكان المختار قد وادع ابن الزّبير ليكفّ عنه ليتفرّغ لأهل الشام. فكتب المختار إلى ابن الزّبير: قد بلغني أنّ ابن مروان قد بعث إليك جيشاً، فإن أحببتَ أمددتُك بمدد.

فكتب إليه ابن الزّبير: إن كنتَ على طاعتي فبايعْ لي الناس قِبَلك، وعجّلْ إنفاذ الجيش، ومُرْهم ليسيروا إلى مَنْ بوادي القرى من جُند ابن مروان فلْيقاتلوهم، والسّلام.

فدعا المختارُ شُرَحْبيل بن وَرس الهَمْدانيَّ، فسيّره في ثلاثة آلاف، أكثرهم من الموالي، وليس فيهم من العرب إلّا سبعمائة رجل، وقال: سِرْ حتّى تدخل المدينة، فإذا دخلتَها فاكتبْ إليّ بذلك حتّى يأتيك أمري. وهو يريد إذا دخلوا المدينة أن يبعث عليهم أميراً، ثمّ يأمر ابن ورس بمحاصرة ابن الزّبير بمكّة. وخشي ابن الزّبير أن يكون المختار إنّما يكيده، فبعث من مكّة عبّاسَ بن سهل بن سعد في ألْفَين، وأمره أن يستنفر الأعراب، وقال له: إن رأيتَ القوم على طاعتي، وإلّا فكايدْهم حتّى تُهْلكهم.

فأقبل عبّاس بن سهل حتّى لقي ابن ورس بالرَّقيم، وقد عبّأ ابن ورس أصحابه، وأتى عبّاس وقد تقطّع أصحابُه، ورأى ابنَ ورس على الماء، وقد عبّأ أصحابه، فدنا منهم وسلّم عليهم، ثمّ قال لابن ورس سرّاً: ألستم على طاعة ابنِ الزّبير؟ قال: بلى. قال: فسِرْ بنا على عدوّه الذي بوادي القرى. فقال ابنُ ورس: ما أُمرتُ بطاعتكم، إنّما أُمرتُ أن آتي المدينة، فإذا أتيتُها رأيتُ رأيي. فقال له عبّاس: إن كنتم في طاعة ابن الزّبير فقد أمرني أن أسيّركم إلى وادي القرى. (فقال: لا أتبعك، أَقْدَم المدينة، وأكتب إلى صاحبي، فيأمرني بأمره. فقال عبّاس: رأيُك أفضل، وفطن لما يريد وقال: أمّا أنا فسائرٌ إلى وادي القرى)[1].

ونزل عبّاس أيضاً، وبعث إلى ابن ورس بجزائرَ وغَنَم مسلَّخة، وكانوا قد ماتوا جوعاً، فذبحوا واشتغلوا بها واختلطوا على الماء، وجمع عبّاس من أصحابه نحو ألف رجل من الشجعان، وأقبل نحو فُسطاط ابن ورس، فلمّا رآهم نادى في أصحابه، فلم يجتمع إليه مائة رجل حتّى انتهَى إليه عبّاس، واقتتلوا[2] يسيراً، فقُتل ابن ورس في سبعين من أهل الحِفاظ، ورفع عبّاس راية أمانٍ لأصحاب ابن ورس، فأتوها إلّا نحوٌ من ثلاثمائة رجل مع سليمان بن حِمْير الهمدانيّ وعبّاس بن جَعْدة الجدلي، فظفر ابنُ سهل منهم بنحو من مائتين فقتلهم، وأفلت الباقون فرجعوا، فمات أكثرهم في الطريق.

---

(١) ما بين القوسين من (ر).

(٢) في الأوربية: «ويقتتلوا».

وكتب المختار بخبرهم إلى ابن الحنفيّة يقول: إنّي أرسلتُ إليك جيشاً ليُذلّوا لك الأعداء، ويُحرزوا البلاد، فلمّا قاربوا طَيْبَةَ[1] فُعِلَ بهم كذا وكذا، فإن رأيتَ أن أبعث إلى المدينة جيشاً كثيفاً، وتبعث إليهم من قِبَلك رجلاً، حتّى يعلموا أنّي في طاعتك فافعلْ، فإنّك ستجدهم بحقّكم أعرف، وبكم أهل البيت أرأف منهم بآل الزّبير، والسّلام.

فكتب إليه ابن الحنفيّة: أمّا بعدُ، فقد قرأتُ كتابك، وعرفتُ تعظيمك لحقّي، وما تنويه من سروري، وإنّ أحبّ الأمور كلّها إليّ ما أطيع الله فيه، فأطِع الله ما استطعتَ، وإنّي لو أردتُ القتال، لوجدتُ الناس إليّ سراعاً، والأعوانَ لي كثيراً، ولكن أعتزِلُكُم وأصبر حتّى يحكم الله، وهو خير الحاكمين. وأمره بالكفّ عن الدّماء[2].

ذكر حال ابن الحنفيّة مع ابن الزّبير ومسير الجيش من الكوفة

ثمّ إنّ ابن الزّبير دعا محمّد بن الحنفيّة ومَنْ معه من أهل بيته (وشيعته)[3]، وسبعة عشر رجلاً من وجوه أهل الكوفة، منهم أبو الطُّفَيْل عامر بن واثلة، له صُحبة، ليبايعوه، فامتنعوا وقالوا: لا نبايع حتّى تجتمع الأمّة؛ فأكثَرَ الوقيعةَ في ابن الحنفيّة وذمَّه، فأغلظ له عبد الله بن هانىء الكِنديّ وقال: لئن لم يضرّك إلّا تَرْكُنا بَيعتك لا يضرّك شيء، وإنّ صاحبنا يقول: لو بايعَتْني الأمّةُ كلّها غير سعدٍ مولى معاوية ما قبِلتُهُ. وإنّما عرَّض بذكر سعد، لأنّ ابنَ الزّبير أرسل إليه فقتله، فسبّه عبدُ الله وسبّ أصحابَه، وأخرجهم من عنده، فأخبروا ابن الحنفيّة بما كان منهم، فأمرهم بالصبر، ولم يلحّ عليهم ابن الزّبير.

(فلمّا استولى المختار على الكوفة، وصارت الشيعة تدعو لابن الحنفيّة، خاف ابنُ الزّبير)[4] أن يتداعى الناس إلى الرضا به، فألحّ عليه وعلى أصحابه في البيعة له، فحبسهم بزمزم، وتوعّدهم بالقتل والإحراق، وإعطاء الله عهداً إن لم يبايعوا أن ينفّذ فيهم ما توعّدهم به، وضرب لهم في ذلك أجلاً.

فأشار بعضُ مَن كان مع ابن الحنفيّة عليه أن يبعث إلى المختار يُعْلمه حالهم، فكتب إلى المختار بذلك، وطلب منه النجدة. فقرأ المختار الكتاب على الناس وقال: إنّ هذا مهديّكم وصريح أهل بيت نبيّكم، (وقد تُركوا محظوراً عليهم، كما يُحظر)[5] على

---

(١) في الأوربية: «الطيبة».

(٢) الطبري ٦/٧٢ - ٧٥.

(٣) من (ر).

(٤) ما بين القوسين من (ر).

(٥) في الأوربية: قد تركوه محصوراً عليهم كما يحصر.

الغنم، ينتظرون القتل والتّحريق في الليل والنهار، لستُ أبا إسحاق إن لم أنصرهم نصراً مؤزّراً، وإن لم أسرّب الخيل في أثر الخيل كالسيل يتلوه السيل، حتّى يحلّ بابن الكاهليّة الويل[1]! يعني ابن الزبير.

وذلك أنّ أمّ خُوَيلد أبي العَوّام زُهْرة بنت عَمرو من بني كاهل بن أسد بن خُزَيْمة.

فبكى الناسُ وقالوا: سرّحْنا إليه وعجّلْ. فوجّه أبا عبد الله الجَدَليَّ في سبعين راكباً من أهل القوّة، ووجّه ظَبْيان بن عُمارة أخا بني تميم ومعه أربعمائة، وبعث معه لابن الحنفيّة أربعمائة ألف درهم، وسيّر أبا المعمّر في مائة، وهانىء بن قيس في مائة، وعُمَير بن طارق في أربعين، ويونس بن عِمران في أربعين. فوصل أبو عبد الله الجَدَليُّ إلى ذات عِرْق، فأقام بها حتّى أتاه عُمَير ويونس في ثمانين راكباً، فبلغوا مائةً وخمسين رجلاً، فسار بهم حتّى دخلوا المسجد الحرام، (ومعهم الرايات)[2]، وهم ينادون: يا لثارات الحسين! حتّى انتهوا إلى زمزم، وقد أعدّ ابن الزّبير الحطب ليحرّقهم، وكان قد بقي من الأجل يومان، فكسروا الباب، ودخلوا على ابن الحنفيّة فقالوا: خلِّ بيننا وبين عدوّ الله ابن الزّبير! فقال لهم: إنّي لا أستحلّ القتال في الحَرَم. فقال ابن الزّبير: واعجبا لهذه الخشبيّة[3]! ينعون الحسين كأنّي أنا قتلتُه، والله لو قدرتُ على قَتَلَته لقتلتهم.

وإنّما قيل لهم خشبيّة لأنّهم دخلوا مكّة وبأيديهم الخشب، كراهة شَهْرِ[4] السيوف في الحرم، وقيل: لأنّهم أخذوا الحطب الذي أعدّه ابن الزّبير.

وقال ابن الزّبير: أتحسبون أنّي أخلّي سبيلهم دون أن يبايع ويبايعوا؟ فقال الجَدَليُّ: إي وربّ الركن والمقام، لَتُخلينّ سبيله، أو لنجالدنّك بأسيافنا جِلاداً[5] يرتاب منه المبطلون! فكفّ ابنُ الحنفيّة أصحابه وحذّرهم الفتنة.

ثمّ قدِم باقي الجُنْد ومعهم المال حتّى دخلوا المسجد الحرام، فكبّروا وقالوا: يا لثارات الحسين! فخافهم ابن الزّبير، وخرج محمّد بن الحنفيّة ومَنْ معه إلى شِعب عليّ، وهم يسبّون ابنَ الزبير، ويستأذنون محمّداً فيه، فأبَى عليهم. فاجتمع مع محمّد في الشِّعب أربعة آلاف رجل، فقسم بينهم المالَ وعَزّوا وامتنعوا[6]. فلمّا قُتل المختار تضعضعوا واحتاجوا.

---

(١) الطبري ٦/٧٣ - ٧٦.

(٢) في (ب): «ومعه الكافركوبات».

(٣) في (ر): «الخبيثة».

(٤) الأوربية: «إشهار».

(٥) الأوربية: لنجادلنّك بأسيافنا جدالاً.

(٦) الطبري ٦/٧٦، ٧٧.

ثمّ إنّ البلاد استوثقت لابن الزّبير بعد قتل المختار، فأرسل إلى ابن الحنفيّة: ادخلْ في بيعتي وإلاّ نابذتُك. وكان رسوله عُرْوَة بن الزّبير. فقال ابن الحنفيّة: بؤساً لأخيك ما ألجّه فيما أسخط الله وأغفله عن ذات الله! وقال لأصحابه: إنّ ابن الزّبير يريد أن يثور بنا، وقد أذِنْتُ لمَنْ أحبَّ الانصرافَ عنّا، فإنّه لا ذمام عليه منّا ولا لوم، فإنّي مقيم حتّى يفتح الله بيني وبين ابن الزّبير، وهو خير الفاتحين.

فقام إليه أبو عبد الله الجَدَليُّ وغيره، فأعلموه أنّهم غير مفارقيه. وبلغ خبرُه عبدَ الملك بن مروان، فكتب إليه يُعْلمه أنّه إن قدِم عليه أحسن إليه، وأنّه ينزل إلى الشام إن أراد حتّى يستقيم أمر الناس، فخرج ابن الحنفيّة وأصحابه إلى الشام، وخرج معه كُثَيِّر عَزّة، وهو يقول، شعر:

هُدِيتَ يا مهديّنا ابنَ المُهتَدي ... أنتَ الذي نَرْضَى بهِ ونَرْتَجِي[1]

أنتَ ابنُ خَيرِ النّاسِ بعدَ النّبي ... أنتَ إمامُ الحَقّ لَسنا نَمْتَري

يابنَ عليٍّ سِرْ ومَنْ مثلُ عَلي

فلمّا وصل مَدْيَن بلغه غدر عبد الملك بعَمرو بن سعيد، فندم على إتيانه وخافه، فنزل أَيْلة، وتحدّث الناس بفضل محمّد وكثرة عبادته وزُهده وحُسن هَدْيه. فلمّا بلغ ذلك عبدَ الملك ندم على إذنه له في قدومه بلده، فكتب إليه: إنّه لا يكون في سلطاني مَنْ لم يبايعني. فارتحلَ إلى مكّة ونزل شِعب أبي طالب، فأرسل إليه ابنُ الزّبير يأمره بالرحيل عنه، وكتب إلى أخيه مُصْعَب بن الزّبير يأمره أن يسيّر نساء مَنْ مع ابن الحنفيّة، فسيّر نساء، منهنّ امرأة أبي الطُّفيل عامر بن واثلة، فجاءت حتّى قدِمتْ عليه، فقال الطُّفيل، شعر:

إنْ يَكُ سيّرها مُصعَبُ ... فإنّي إلى مُصْعَب مُتْعَبُ

أقودُ الكتيبَةَ مُستَلئماً ... كأنّي أخو عزّةٍ أحرَبُ

وهي عدّة أبيات.

وألحّ ابنُ الزّبير على ابن الحنفيّة بالانتقال إلى مكّة، فاستأذنه أصحابه في قتال ابن الزّبير، فلم يأذن لهم وقال: اللهمّ ألبِسْ ابنَ الزّبير لباس الذُّلّ والخوف، وسلّطْ عليه وعلى أشياعه مَنْ يسومهم الذي يسوم الناس.

ثمّ سار إلى الطّائف، فدخل ابن عبّاس على ابن الزّبير وأغلظ له، فجرى بينهما كلام كرهنا ذكره. وخرج ابن عبّاس أيضاً فلحِق بالطّائف، ثمّ تُوُفّي، فصلّى عليه ابن

---

(١) في الفتوح لابن أعثم ٦/٢٤١:

هديت يا مهدي يا ابن المهتدي ... أنت الذي نرضى به ونقتدي

الحنفيّة وكبّـر عليه أربعاً، وبقي ابن الحنفيّـة حتّى حصر الحجّـاجُ ابنَ الزّبيـر، فأقبـل من الطّائف فنزل الشّعب، فطلبه الحجّاج ليبايع عبد الملك، (فامتنع حتّى يجتمع النّاس.

فلمّا قُتل ابن الزّبير كتب ابنُ الحنفيّة إلى عبد الملك)[1] يـطلب منه الأمـان له ولِمَنْ معه، وبعث إليه الحجّاجُ يأمره بالبيعة، فأبَى وقال: قد كتبتُ إلى عبد الملك، فإذا جاءني جوابُه بايعتُ.

وكان عبد الملك كتب إلى الحجّاج يوصيه بابن الحنفيّـة، فتركـه، فلمّا قـدِم رسولُ ابن الحنفيّـة، وهو أبـو عبد الله الجَـدَليّ، ومعه كتـاب عبد الملك بـأمانـه وبسطِ حقّـه[2] وتعظيم أهله[3]، حضر عنـد الحجّاج، وبـايع لعبـد الملك بن مروان، وقـدِم عليه الشّـام، وطلب منه أن لا يجعل للحجّاج عليه سبيلاً، فأزال حكمَ الحجّاج عنه.

وقيـل: إنّ ابن الزبيـر أرسل إلى ابن عبّـاس وابن الحنفيّة أن يبـايعـا، فقـالا: حتّى يجتمع النّاس على إمامٍ ثمّ نبايع، فإنّك في فتنة. فعظم الأمر بينهما، وغضب من ذلك، وحبس ابن الحنفيّة في زمزم، وضيّق على ابن عبّاس في منزله، وأراد إحراقهمـا، فأرسـل المختارُ جيشاً، كما تقدّم، فأزال عنهما ضرَرَ ابن الزّبير.

فلمّـا قُتل المختـار قوي عليهمـا ابنُ الـزّبيـر وقـال: لا تجـاوراني[4]. فخـرجـا إلى الطائـف، وأرسل ابن عبّاس ابنَه عليّـاً إلى عبد الملك بـالشام وقـال: لئن يربّني بنـو عمّي أحبّ إليّ من أن يربّني رجلٌ من بني أسد؛ يعني ببني عمّه بني أميّـة، لأنّهم جميعهم من ولد عبد مَنَاف، ويعني برجل من بني أسد ابنَ الزبير، فإنّه من بني أسد بن عبد العُـزّى بن قُصَيّ. ولما وصل عليّ بن عبد الله بن عبّاس إلى عبـد الملك، سألـه عن اسمه وكنيتـه، فقـال: اسمي عليّ، والكنية أبـو الحسن. فقال: لا يجتمـع هذا الاسم وهـذه الكنيـة في عسكري، أنت أبو محمّد.

ولما وصل ابن عبّاس إلى الطّائف توفّي به، وصلّى عليه ابن الحنفيّة.

ذكر الفتنة بخراسان

في هذه السنة كان حصار عبد الله بن خازم مَنْ كان بخُراسان من بني تميم، بسبب قتلهم ابنه محمّداً، وقد تقدّم ذكره، فلمّا تفرّقت بنو تميم بخُـراسان، على مـا تقدّم، أتى

(١) ما بين القوسين من (ر).
(٢) في (ب): «أمله».
(٣) في (ب): «حقه».
(٤) في الأوربية: «تجاورا لي»، وفي (ب): «تجاوزا لي».

قصر فَرْتَنا[1] عدّة من فرسانهم ما بين السبعين إلى الثمانين، فولّوا أمرهم عثمان بن بِشْر بن المُحْتَفِز المازنيَّ، ومعه شُعْبَة بن ظَهير النَّهْشَليُّ، وورْد بن الفلق العنبريُّ، وزُهير بن ذُؤيب العَدَويُّ، وجَيْهان بن مَشْجَعَة الضَّبِّيُّ، والحجّاج بن ناشب[2] العَدَويُّ، ورقبة[3] بن الحُرّ، في فرسانٍ من تميم وشجعانهم، فحاصرهم ابنُ خازم، فكانوا يخرجون إليه فيقاتلونه، ثمّ يرجعون إلى القصر.

فخرج ابنُ خازم يوماً في ستّة آلاف، وخرج إليه أهل القصر، فقال لهم عثمان بن بِشْر: ارجعوا فلن تُطِيقوه، فحلف زهير بن ذُؤَيب بالطّلاق أنّه لا يرجع حتّى ينقض[4] صفوفهم. فاستبطن نهراً قد يبس، فلم يشعر به أصحاب عبد الله حتّى حمل عليهم، فحطّ أوّلهم على آخرهم، واستدار وكرّ راجعاً، واتّبعوه يصيحون به، ولم يجسر أحد أن ينزل إليه حتّى رجع إلى موضعه، فحمل عليهم، فأفرجوا له حتّى رجع.

فقال ابن خازم لأصحابه: إذا طاعنتم زهيراً فاجعلوا في رماحكم كلاليب، ثمّ علّقوها في سلاحه. فخرج إليهم يوماً فطاعنهم، فأعلقوا فيه أربعة أرماح (بالكلاليب، فالتفت إليهم ليحمل عليهم، فاضطّربت أيديهم، وخلّوا رماحهم، فعاد يجرّ أربعة أرماح حتّى)[5] دخل القصر.

فأرسل ابنُ خازم إلى زُهير يضمن له مائة ألف ومَيْسان طعمة ليناصحه، فلم يُجِبه. فلمّا طال الحصار عليهم أرسلوا إلى ابن خازم ليُمْكنهم من الخروج ليتفرّقوا، فقال: لا، إلّا على حكمي، فأجابوا إلى ذلك. فقال زهير: ثكِلَتْكم أمّهاتكم! والله ليقتلنّكم عن آخركم، وإن طبتم بالموت نفساً فموتوا كراماً، اخرجوا بنا جميعاً، فإمّا أن تموتوا كراماً، وإمّا أن ينجو بعضكم ويهلك بعضكم، وايم الله، لئن شددتم عليهم شدّةً صادقةً ليفرجُنّ لكم، فإنْ شئتم كنتُ أمامكم، وإن شئتم كنتُ خلفكم. فأبوا عليه. فقال: سأريكم. ثمّ خرج هو ورقبة بن الحُرّ، وغلام تركيّ، وابن ظَهير، فحملوا على القوم حملةً منكرةً، فأفرجوا لهم، فمضوا، فأمّا زهير فرجع ونجا أصحابه.

فلمّا رجع زُهير إلى مَنْ بالقصر قال: قد رأيتم، أطيعوني. قالوا: إنّا نضعف عن[6] هذا ونطمع في الحياة. فقال: لا أكون أعجزكم عند الموت. فنزلوا على[7] حكم ابن

(١) في الأوربية: «قصره قريباً». وفي (ب): «فرسا».
(٢) في (ب): «ثابت».
(٣) في الأوربية: «ورقيّة».
(٤) الأوربية: «يتعرّض».
(٥) ما بين القوسين من (ر).
(٦) في الأوربية: «من».
(٧) في الأوربية: «عن».

خازم، فأرسل إليهم فقيّدهم وحُملوا إليه رجلاً رجلاً، فأراد أن يمنّ عليهم فأبَى عليه ابنُه موسى وقال له: إنْ عفوتَ عنهم قتلتُ نفسي، فقتلهم إلّا ثلاثة: أحدهم الحجّاج بن ناشب، فشفع فيه بعض مَنْ معه، فأطلقه، والآخر جَيْهان بن مَشْجَعَة الضَّبّيُّ الذي ألقى نفسه على محمّد بن عبد الله، كما تقدّم، والآخر رجل من بني سعد من تميم، وهو الذي ردّ الناس عن ابن خازم يوم لِحقوه، وقال: انصرفوا عن فارس مُضَر.

وقال: ولما أرادوا حمل زهير بن ذُؤَيب وهو مقيّد أبَى، واعتمد على رُمحه فوثب الخندق، ثمّ أقبل إلي ابن خازمٍ يحجل في قيوده، فجلس بين يديه، فقال له ابنُ خازم: كيف شكرك إن أطلقتك وأطعمتك مَيْسان؟ قال: لو لم تصنع بي إلّا حقْن دمي لشكرتُك. فلم يمكّنه ابنه موسى من إطلاقه، فقال له أبوه: ويحك نقتل مثل زهير! مَنْ لقتال عدوّ المسلمين؟ مَنْ لحِمى نساء العرب؟ فقال: والله لو شركتَ في دم أخي لقتلتُك! فأمر بقتله. فقال زُهير: إنّ لي حاجة، لا تقتلْني ويخلط دمي بدماء هؤلاء اللئام، فقد نهيتُهم عمّا صنعوا، وأمرتهم أن يموتوا كراماً ويخرجوا عليكم مُصْلِتين، وايمِ الله، لو فعلوا لأذعروا بُنَيّك هذا، وشغلوه بنفسه عن طلب ثأر أخيه، فأبوا، ولو فعلوا ما قُتل منهم رجل حتّى يقتل رجالاً. فأمر به ابن خازم فقُتل ناحيةً[1].

فلمّا بلغ الحَريشَ قتلُهم قال:

أعاذِلَ إنّي لم أُلِمْ في قتالِهِمْ ... وقد عضّ سيفي كَبْشَهم ثمّ صمّمَا[2]

اعاذِلَ ما وليّتُ حتى تبدّدتْ[3] ... رجالٌ وحتى لم أجِدْ مُتَقَدَّمَا

أعاذِلَ أفناني السّلاحُ، ومَنْ يُطِلْ ... مقارَعَةَ الأبطالِ يَرْجِعْ مُكَلَّمَا

أعَينيّ إنْ أنزَفتُما الدّمعَ فاسكُبا ... دماً لازماً لي دون أن تسكُبا[4] دَمَا[5]

أبَعدَ زُهَيرٍ وابنِ بِشرٍ تَتَابعا[6] ... وَوَرْدٍ أُرَجّي[7] في خُراسانَ مَغنَمَا

أعاذلَ كم من يومِ حرْبٍ شَهِدتُه ... أكُرُّ إذا ما فارِسُ السُّوء أحجَمَا[8]

يعني زُهَير بن ذُؤَيْب، وابن بِشْر هو عثمان، ووَرْد بن الفلق.

---

(١) نهاية الأرب ٢١/٦٤ - ٦٦.

(٢) في (ر): «صمصما».

(٣) في (ب): «تبدرت بي»، وفي الأوربية: «شردت بي».

(٤) في الأوربية: «سكبا».

(٥) في (ر): «أرسلهما الدما».

(٦) في (آ): «سايعا»، وفي الأوربية «متابعاً».

(٧) في (ر): «ان حيّ».

(٨) الطبري ٦/٨٠.

ذكر مسير ابن الأشتر إلى قتال ابن زياد

وفي هذه السنة لثمانٍ بقين من ذي الحجّة سار إبراهيم بن الأشتر لقتال عُبيد الله بن زياد، وكان مسيره بعد فراغ المختار من وقعة السَّبيع بيومَين، وأخرج المختارُ معه فرسانَ أصحابه ووجُوهَهم[1] وأهلَ البصائر منهم ممّنْ له تجربة، وخرج معه المختار يشيّعه، فلمّا بلغ دَير عبد الرحمن بن أمّ الحكَم لقِيه أصحابُ المختار معهم الكرسيّ يحملونه على بغل أشهب، وهم يدعون الله له بالنصر ويستنصرونه، وكان سادنَ الكرسيّ حَوشبُ البَرْسميُّ، فلمّا رآهم المختارُ قال:

أمَا وربِّ المُرْسَلاتِ عُرْفا لَنَقتلنّ بعد صفٍّ صفّا
وبعد ألفٍ قاسطين ألفا[2]

ثمّ ودّعه المختارُ وقال له: خذْ عنّي ثلاثاً: خَفِ الله، عزّ وجلّ، في سرّ أمرك وعَلانيتك، وعجّل السير، وإذا لقيتَ عدوّك فناجِزْهم ساعةَ تلقاهم.

ورجع المختارُ، وسار إبراهيم فانتهَى إلى أصحاب الكرسيّ، وهم عُكُوف عليه، قد رفعوا أيديهم إلى السماء يدعون الله، فقال إبراهيم: اللهمّ لا تؤآخِذْنا بما فعل السُّفهاء منّا، هذه سُنّة بني إسرائيل، والذي نفسي بيده، إذ عكفوا على عِجْلهم، ثمّ رجعوا وسار إلى قصده[3].

ذكر حال الكرسيّ الذي كان المختار يستنصر به

قال الطُّفَيْل بن جَعْدة بن هُبَيرة: أضقنا إضاقةً شديدة، فخرجتُ يوماً، فإذا جار لي زيّات عنده كرسيٌّ ركبه الوسخ، فقلتُ في نفسي: لو قلتُ للمختار في هذا شيئاً فأخذتُهُ من الزيّات وغسلتُهُ، فخرج عُود نُضار، قد شرب الدُّهْن وهو يَبِص[4]، قال فقلتُ للمختار: إنّي كنتُ أكتمُك شيئاً، وقد بدا لي أن أذكره لك، إنّ أبي جَعْدة كان يجلس على كرسيّ عندنا، ويروي أنّ فيه أثراً من عليّ. قال: سبحان الله أخّرتَه إلى هذا الوقت! ابعثْ به، فأحضرتُه عنده وقد غُشي[5]، فأمر لي باثني عشر ألفاً ثمّ دعا: الصلاة جامعة، فاجتمع الناسُ، فقال المختار:

---

(١) في الأوربية: «ووجّههم».
(٢) الطبري ٦/٨١.
(٣) الطبري ٦/٨١، ٨٢.
(٤) في الأوربية: «بيض».
(٥) في (ر): «سرعني».

إنّه لم يكن في الأمم الخالية أمر إلاّ وهو كائن في هذه الأمّة مثله، وإنّه كان في بني إسرائيل التابوت، وإنّ هذا فينا مثل التابوت. فكشفوا عنه، وقامت السَّبَئِيَّةُ[1] فكبّروا.

ثمّ لم يلبثوا أن أرسل المختار الجُندَ لقتال ابن زياد، وخرج بالكرسيّ على بغل وقد غُشّي، فقُتل أهل الشام مقتلةً عظيمة، فزادهم ذلك فتنة[2]، فارتفعوا حتّى تعاطوا الكفرَ، فندمتُ على ما صنعتُ، وتكلّم الناسُ في ذلك تعييبه.

وقيل: إنّ المختار قال لآل جَعْدَة بن هُبَيرة، وكانت أمّ جعدة أمّ هانىء أخت عليّ بن أبي طالب لأبوَيْه: إيتوني بكرسيّ عليّ. فقالوا: والله ما هو عندنا. فقال: لتكونُنّ حمقى، اذهبوا فأتوني به. قال: فظنّوا أنّهم لا يأتونه بكرسيّ إلاّ قال: هذا هو، وقبِله منهم. فأتوه بكرسيّ، وقبضه منهم، وخرجتْ شِبام وشاكر ورؤوس أصحاب المختار وقد جعلوا عليه الحرير، وكان أوّلَ من سَدَنَه موسى بنُ أبي موسى الأشعريُّ، كان يُلِمّ بالمختار لأنّ أمّه أمّ كلثومٍ بنت الفضل بن العبّاس، فعتب الناسُ على موسى، فتركه وسَدَنه حَوْشبُ البَرْسميُّ حتّى هلك المختار. وقال أعشى همدان في ذلك، شعر:

شَهِدتُ عليكم أنّكُمْ سَبَئِيَّةٌ[3] … وإنّي بكم يا شُرطةَ الشِّرْك عارِفُ
فأُقْسِمُ ما كرسيّكم بسَكينَةٍ[4] … وإن كان قد لُفّتْ عليهِ اللّفائفُ
وأن ليس كالتّابوت فينا وإن سعتْ … شِبامٌ حَوالَيه ونَهْدٌ وخارِفُ
وإنّي امرُؤٌ أحْبَبتُ[5] آلَ[6] محمّدٍ … وتابعتُ وَحياً[7] ضُمّنَتهُ المَصاحِفُ[8]
وبايَعتُ عبدَ اللّهِ لما تَتابَعَتْ … عليهِ قُرَيشٌ شُمطُها والغطارِفُ

وقال المتوكّل اللّيثيّ:

أبلغْ أبا إسحاقَ إنْ جئتَهُ … أنّي بكرسيّكُمْ كافِرُ[9]

---

(١) في الأصول: «السبابية»، وفي الأوربية «السبائية».
(٢) في (آ) و(ر): «قتلة».
(٣) في الأصول: «السبابية»، وفي الأوربية «السبائية».
(٤) في (آ) و(ر): «بسفينة».
(٥) في (آ) و(ر): «بايعت».
(٦) في الأوربية: «أجبت إلى».
(٧) في (آ) و(ر): «أمراً».
(٨) إلى هنا في: أنساب الأشراف ٢٤٢/٥ وفيه: «وآثرت حياً» وزاد بيتاً بين الثالث والرابع.
(٩) في أنساب الأشراف ٢٤٢/٥:
أبلغ شِباماً وأبا هانىءٍ … أنّي بكُرْسيّهم كافرُ
ولم يذكر غيره.

تَـرَوْا شِـبـامَ حَـوْلَ أعـوادِهِ   وتـحـمِـلُ الـوَحـيَ لـهُ شـاكِـرُ
مُـحَـمَّـرَةً أعـيُـنُـهـم حـوْلَـهُ   كـأنَّـهـنَّ الـحِـمَّصُ الـحـادِرُ[1]

ذكر عدّة حوادث

وحجّ بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزّبير[2].

وكان[3] على المدينة مُصْعَب بن الزبير عاملاً لأخيه عبد الله، وعلى البصرة عبد الله بن أبي ربيعة المخزوميُّ لابن الزُّبير أيضاً، وكان بالكوفة المختار متغلّباً عليها، وبخُراسان عبد الله بن خازم.

[الوَفَيات]

وفي هذه السنة تُوُفّي أسماء بن حارثة[4] الأسلميُّ، وله صُحْبة، وهو من أصحاب الصُّفّة، وقيل: بل مات بالبصرة في إمارة ابن زياد.

وتوفّي جابر بن سَمُرَة[5] وهو ابن أخت سعد بن أبي وقّاص، وقيل: مات في إمارة بِشر بن هارون.

وتوفّي أسماء بن خارجة[6] بن حِصْن بن حُذَيْفة بن بدر الفزاريُّ سيّد قومه.

(حارثة: بالحاء المهملة، والثاء المثلّثة).

---

(١) في الأوربية: «الحامض الحازر»، والأبيات والخبر في: تاريخ الطبري ٦/٨٢ - ٨٤، والبداية والنهاية ٨/٢٧٩.

(٢) تاريخ خليفة ٢٦٣، المحبّر ٢٢، المعرفة والتاريخ ٣/٣٣١، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٦٨، مروج الذهب ٣/٣٩٨، تاريخ العظيمي ١٨٨، نهاية الأرب ٢١/٦٦، تاريخ دمشق ٤٥٤، ٤٥٥، مآثر الإنافة ١/١٢٣.

(٣) في (ر): «وكان تقدم».

(٤) انظر عن (أسماء بن حارثة) في: تاريخ أسماء الصحابة لابن حبّان ٣٧ رقم ٦٩، وترتيب أسماء الصحابة ٣٦ رقم ١٠، وأسد الغابة ١/٧٨، ٧٩، وغيره.

(٥) انظر عن (جابر بن سمرة) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٨٢ رقم ١٣، وفيه مصادر ترجمته.

(٦) انظر عن (أسماء بن خارجة) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ٧٢ رقم ٣، وفيه مصادر ترجمته.

٦٧
ثم دخلت سنة سبْعٍ وستّين

ذكر مقتل ابن زياد

ولما سار إبراهيم بن الأشتر من الكوفة أسرع السير ليلقوا ابن زياد قبل أن يدخل أرض العراق، وكان ابن زياد قد سار في عسكر عظيم من الشام، فبلغ الموصل وملكها، كما ذكرناه أوّلاً، فسار إبراهيم وخلّف أرض العراق، وأوغل في أرض الموصل، وجعل على مقدّمته الطُّفَيْل بن لَقيط النَّخعيّ، وكان شجاعاً. فلمّا دنا ابنُ زياد عبّأ أصحابه، ولم يَسِرْ إلاّ على تعبيةٍ واجتماع، إلاّ أنّه يبعث الطُّفَيل على الطّلائع حتّى يبلغ نهر الخازر من بلد الموصل، فنزل بقرية بارشيا[1]. وأقبل ابنُ زياد إليه حتّى نزل قريباً منهم على شاطىء الخازر.

وأرسل عُميرُ بن الحُباب السُّلَميُّ، وهو من أصحاب ابن زياد، إلى ابن الأشتر أنِ القَني، وكانت قيس كلّها مضطّغنة على ابن مروان وقعةَ مرج راهط، وجُند عبد الملك يومئذ كلب. فاجتمع عُمير وابن الأشتر، فأخبره عُمير أنّه على ميسرة ابن زياد، وواعده أن ينهزم بالناس، فقال له ابن الأشتر: ما رأيك؟ أَخَنْدِق عليّ وأتوقّف يومين أو ثلاثة؟ فقال عُمَير: لا تفعلْ، وهل يريدون إلاّ هذا؟ فإنّ المطاولة خير لهم، هم كثير أضعافكم، وليس يطيق القليلُ الكثيرَ في المطاولة، ولكن ناجزِ القومَ، فإنّهم قد مُلئوا منكم رعباً، وإن هم شامّوا أصحابك، وقاتلوهم يوماً بعد يوم ومرّة بعد مرّة أنِسوا بهم واجترأوا عليهم. وقال إبراهيم: الآن علمتُ أنّك لي مُناصح، وبهذا أوصاني صاحبي. قال عُمَير: أطِعْه فإنّ الشيخ قد ضرّسته الحرب، وقاسى منها ما لم يُقاسِه أحد، وإذا أصبحتَ فناهضهم[2].

وعاد عُمير إلى أصحابه، وأذكى ابن الأشتر حرسه[3]، ولم يدخل عينَه غمضٌ، حتّى إذا كان السَّحَرُ الأوّل عبّأ أصحابه، وكتّب كتائبه، وأمّر أُمَراءه، فجعل سفيانَ بن يزيد

---

(١) في (ب): «برشيا».

(٢) الطبري ٦/٨٦، ٨٧.

(٣) في الأوربية: «ضرسه».

الأزديَّ على ميمنته، وعليّ بن مالك الجُشَميّ على ميسرته، وهو أخو الأَحْوَص، وجعل عبدَ الرحمن بن عبد الله، وهو أخو إبراهيم بن الأشتر لأمّه، على الخيل، وكانت خيله قليلة، وجعل الطُفيل بن لقيط على الرَّجّالة، وكانت رايتُه مع مزاحم بن مالك. فلمّا انفجر الفجر صلّى الصبح بغَلَس، ثمّ خرج فصفّ أصحابه، وألحق كلّ أمير بمكانه، ونزل إبراهيم يمشي ويحرّض النـاس، ويُمنيهم الظَّفَر، وسار بهم رويداً، فأشرف على تلٍّ عظيم مشرفٍ على القوم، وإذا أولئك القوم لم يتحرّك منهم أحد، فأرسل عبدَ الله بن زُهَير السَّلُوليَّ ليأتيه بخبر القوم، فعاد إليه وقال له: قد خرج القوم على دَهَش وفشل، لقيني رجلٌ منهم، وليس له كلام إلاّ: يا شيعة أبي تراب! يا شيعة المختار الكذّاب! قال: فقلتُ له: الذي بيننا أجلّ من الشتْم.

وركب إبراهيم وسار على الرايات يحثّهم، ويذكر لهم فعلَ ابن زياد بالحسين وأصحابه وأهل بيته من السبْي والقتل ومنع الماء، وحرّضهم على قتله.

وتقدّم القومُ إليه، وقد جعل ابنُ زياد على ميمنته الحُصَينَ بن نُمَير السَّكُونيَّ، وعلى ميسرته عُمَير بن الحُباب السُّلَميَّ، وعلى الخيل شُرَحْبيل بن ذي الكَلاع الحِميريَّ. فلمّا تدانَى الصفّان حمل الحُصينِ بن نُمير في ميمنة أهل الشام على ميسرة إبراهيم، فثبت له عليّ بن مالك الجشميُّ فقُتل، ثمّ أخذ رايتَه قُرّة بن عليّ، فقُتل في رجال من أهل البأس وانهزمت الميسرة، فأخذ الراية عبد الله بن ورقاء بن جُنادة السَّلوليُّ ابنُ أخي حُبْشيّ بن جنادة صاحب رسول الله ﷺ، فاستقبل المنهزمين، فقال: إليّ يا شُرطة الله. فأقبل إليه أكثرهم. فقال: هذا أميركم يُقاتل ابن زياد، ارجعوا بنا إليه. فرجعوا، وإذا إبراهيم كاشفٌ رأسه ينادي: إليّ شُرطةَ الله، أنا ابن الأشتر، إنّ خير فُرّاركم كُرّاركم، ليس مُسيئاً[1] من أعْتَبَ[2]. فرجع إليه أصحابُه. وحملت ميمنة إبراهيم على ميسرة ابن زياد، وهم يرجون أن ينهزم عُمَير بن الحُباب، كما زعم، فقاتلهم عُمير قتالاً شديداً وأنِف من الفرار. فلمّا رأى ذلك إبراهيم قال لأصحابه: اقصدوا هذا السواد الأعظم، فوالله لو[3] هزمناه لانجفل مَنْ ترون يمنةً ويسرةً انجفال طير ذعرتَها. فمشى أصحابه إليهم فتطاعنوا، ثمّ صاروا إلى السيوف والعَمَد، فاضطربوا بها مليّاً، وكان صوت الضَرب بالحديد كصوت القصّارين[4]، وكان إبراهيم يقول لصاحب رايته: انغمِس برايتك فيهم. فيقول: ليس لي متقدَّم. فيقول: بلى، فإذا تقدّم شدّ إبراهيم بسيفه، فلا يضرب [به] رجلاً إلاّ صرعه،

(١) في الأوربية: «شيئاً».
(٢) في (آ): «أعسر».
(٣) في الأوربية: «لئن».
(٤) في (آ) و (ر): «القصابين».

وكـرد[1] إبراهيم الـرَّجّالـة [من] بين يديـه كأنّهم الجِمْـلان، وحمل أصحـابُه حملة رجـلٍ واحد. واشتدّ القتال، فانهزم أصحابُ ابن زياد، وقُتل من الفريقَين قتلى كثيرة[2].

وقيل: إنّ عُمير بن الحُباب أوّل من انهزم، وإنّما كان قتاله أوّلاً تعذيراً.

فلمّا انهزموا قال إبراهيم: إنّي قد قتلتُ رجـلاً تحت راية منفـردة على شاطىء نهـر الخازر، فالتمِسـوه، فإنّي شممتُ منـه رائحة المسـك، شرّقت يـداه، وغرّبت رِجْـلاه[3]. فـالتمسوه فـإذا هو ابن زيـاد قتيلاً بضـربة إبـراهيم، فقد قـدّتْه بنصفَين وسقط، كمـا ذكـر إبراهيم، فأخذ رأسُه، وأحرقَتْ جثّته.

وحمـل شَـريـك بن جَـديـر التغلبيُّ على الحُصَين بن نُمَيـر السَّكـونيّ وهـو يـظنّـه عُبيد الله بن زياد، فاعتنق كلّ واحد منهما صاحبه، فنادى التغلبيُّ: اقْتلوني وابنَ الزّانيـة! فقتلوا الحُصَين[4].

وقيل: إنّ الذي قتل ابن زياد شَريك بن جَدِير، وكـان هذا شَـريك شهـد صِفّين مع عليّ، وأصيبت عينه، فلمّا انقضت أيّام عليّ لحِق شَرِيـك ببيتَ المقدس فـأقام بـه، فلمّا قُتل الحسين عاهد الله تعالى إن ظهر مَنْ يطلـب بـدمه ليقتلنّ ابنَ زيـاد، أو ليموتنّ دونـه. فلمّـا ظهر المختـار للطّلب بثأر الحسين، أقبـل إليه، وسـار مع إبـراهيم بن الأشتر، فلمّـا التقوا حمل على خيل الشام يهتكهـا صفّاً صفّـاً مع أصحـابه من ربيعـة، حتّى وصلوا إلى ابن زياد، وثار الرهج، فلا يُسمع إلاّ وقْـع الحديـد، فانفـرجت[5] عن الناس وهمـا قتيلان شَرِيك وابن زياد. والأول أصحّ. وشريك هو القائل:

كـلّ عـيشٍ قـد أراهُ بـاطِـلاً[6] غيـرَ رَكْـزِ[7] الـرّمـحِ في ظـلّ الفـرَسْ[8]

قال: وقتل شُرَحْبيل بن ذي الكَـلاع الحِمْيَريُّ، وادّعى قتله سفيـان بن يزيـد الأزديُّ وورقاء بن عازب الأسديّ وعبيد الله بن زهير السُّلَميُّ، وكان عُيَيْنَة بن أسماء مع ابن زياد، فلما انهزم أصحابه حمل أخته هند بنت أسماء، وكانت زوجة عبيـد الله بن زياد، فـذهب بها وهو يرتجز:

---

(١) في الأوربية: «وكرّر»، والكرد: الطرد.
(٢) الطبري ٦/٨٧ - ٩٠.
(٣) الطبري ٦/٩٠.
(٤) الطبري ٦/٩٠.
(٥) في الأوربية: «فانفجر».
(٦) الطبري: «قذرا».
(٧) في الأوربية: «ذكر».
(٨) الطبري ٦/٩١.

إنْ تصرمي حِبالَنا[1] فرُبّما أرديتُ في الهيجا الكميَّ المُعلِمَا

ولما انهزم أصحابُ ابنِ زياد تبِعهم أصحابُ إبراهيم، فكان مَنْ غرق أكثر ممّنْ قُتل، وأصابوا عسكرهم وفيه من كلّ شيء.

وأرسل إبراهيم البشارةَ إلى المختار وهو بالمدائن، وأنفذ إبراهيمُ عمّاله إلى البلاد، فبعث أخاه عبد الرحمن بن عبد الله إلى نَصِيبين، وغلب على سِنْجار ودارا وما والاهما من أرض الجزيرة، فولّى زُفَر بن الحارث قَرْقِيسيا، وحاتم بن النُّعمان الباهليَّ حرّان، والرُّهاء، وسُمَيْساط، وناحيتها، وولّى عُمَير بن الحُباب السُّلَميَّ كَفرتُوثا وطور عَبْدِين[2].

وأقام إبراهيم بالموصل، وأنفذ رأس عُبَيد الله بن زياد إلى المختار ومعه رؤوس قوّاده، فأُلْقيت في القصر، فجاءت حيّة دقيقة، فتخلّلت الرؤوس حتّى دخلت في فم عُبيد الله بن زياد، ثمّ خرجت من منخره، ودخلت في منخره، وخرجت من فيه، فعلت هذا مراراً؛ أخرج هذا الترمِذيُّ في جامعه[3].

وقال المُغيرة: أوّل مَن ضرب الزُّيوف[4] في الإسلام عُبيد الله بن زياد، وقال بعض حُجّاب ابن زياد: دخلتُ معه القصر حين قُتل الحسين، فاضطّرم في وجهه ناراً، فقال بكمّه هكذا على وجهه وقال: لا تحدّثَنّ بهذا أحداً.

وقال المغيرة: قالت مَرجانة لابنها عُبيد الله بعد قتل الحسين: يا خبيث قتلتَ ابنَ رسول الله ﷺ، لا ترى الجنّة أبداً! وقال ابن مفرّغ حين قُتل ابن زياد:

إنّ المَنايا إذا ما زُرْنَ طاغيَةً هتّكنَ أستارَ حُجّابٍ وأبوابِ

أقولُ بُعداً وسُحقاً عندَ مَصرَعِه لابنِ الخَبيثةِ وابنِ الكَوْدَنِ الكابي[5]

لا أنتَ زُوحِمْتَ عَن مُلْكٍ فتمنَعهُ ولا متَتَّ إلى قومٍ بأسْبابِ[6]

لا مِن نِزارٍ ولا من جَذْمِ ذي يمنٍ جُلْمود ذا ألقيت مِن بينِ ألْهابِ

لا تَقبلُ الأرضُ موْتاهم إذا قُبِرُوا وكيفَ تَقبلُ رِجساً بَينَ أثْوابِ؟

---

(١) في الأوربية: «خيالنا».

(٢) طور عَبْدِين: بفتح العين، وسكون الباء ثم دال مكسورة وياء مثنّاة من تحت ونون. بُليدة من أعمال نصيبين في بطن الجبل المشرف عليها المتّصل بجبل الجوديّ. (معجم البلدان ٤/٤٨).

(٣) في (آ) و(ر): «صحيحه». والحديث في المناقب عند الترمذي (٣٨٦٩)، عن واصل بن عبد الأعلى، عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن عمارة بن عُمير، وقال: هذا حديث حسن صحيح. (٥/٣٢٥، ٣٢٦)، وانظر: المعرفة والتاريخ ٣/٣٢٩.

(٤) في (آ) و(ر): «الزبور».

(٥) في الأوربية: «الكوذر الطابي».

(٦) في الأوربية:

لأنت زاحمتَ عن مُلكٍ فتمنعه ولا متنت إلى قومك بأسبابِ

وقال سُراقة البارقيُّ يمدح إبراهيم بن الأشتر:

أتاكم غُلامٌ مِن[1] عـرانينِ مَـذْحِـجٍ ... جَـرِيٌّ على الأعـداء غيـر نَـكُـولِ

فيـا ابنَ زيـادٍ بُؤْ بـأعـظمِ مـالِـكٍ ... وذُقْ حـدّ مـاضي الشّفـرَتينِ صَقيـلِ

جـزَى اللّهُ خيـراً شُـرْطـةَ اللّهِ إنّهمْ ... شفَـوْا مِنْ عُـبيـد الـلهِ أمسِ غليـلي[2]

وقال عُمَير بن الحُباب السُّلَميُّ يذمّ جيش ابن زياد:

ومـا كان جيشٌ يجمعُ الخمرَ والزّنـا ... مُـحِـلًّا إذا لاقَـى الـعـدوَّ لـيُـنْـصَـرَا

ذكر ولاية مُصْعَب بن الزُّبير البصرة

وفي هذه السنة عَـزل عبدُ الله بن الـزبير الحـارثَ بن أبي ربيعة، وهـو القُباع، عن البصـرة، واستعمل عليهـا أخاه مُصْعَبـاً. فقدِمَهـا مصعبٌ متلثّماً، ودخـل المسجد وصعِـد المنبر، فقال الناسُ: أمير أمير! وجاء الحـارث بن أبي ربيعة، وهـو الأميرُ، فسَفَـرَ مُصْعَب لِثامه فعرفوه، وأمر مصعبُ الحارث بالصّعود إليه، فأجلسه تحته بـدرجة، ثمّ قـام مُصْعب فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:

بسم الله الـرحمن الـرحيم، ﴿طسم تِلْكَ آيَاتُ الكِتَـابِ المُبِينِ نَتْلُو عَلَيْـكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالحَقِّ لِقَـوْمٍ يُؤمِنُونَ﴾ إلى قَـوْلِهِ ﴿مِنَ المُفْسِـدِينَ﴾[3]؛ فأشـار بيده نحـو الشـام؛ ﴿وَنُـرِيـدُ أنْ نَمُنَّ عَلى الَّـذِينَ اسْتُضْعِفُـوا في الأرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أئِمَّـةً وَنَجْعَلَهُمُ الـوَارِثِينَ﴾[4]؛ وأشار نحـو الحجاز؛ ﴿وَنُـرِيَ فِرْعَـوْنَ وَهَامَـانَ وَجُنُودَهُمَـا مِنْهُمْ مَا كَـانُوا يَحْذَرُونَ﴾[5]؛ وأشار نحو الكوفة، وقال: يا أهل البصرة بلغني أنّكم تلقّبون أُمراءكم، وقد لقّبتُ نفسي بالجزّار[6].

ذكر مسير مُصْعَب إلى المختار وقتل المختار

ولمـا هرب أشـرافُ الكوفـة من وقعة السَّبيـع أتَى جماعـةٌ منهم إلى مُصْعَب، فأتـاه شَبَثُ بن رِبْعيّ على بغلة قد قطع ذَنَبها وطَرَف أُذُنها، وشقّ قَباءَه وهـو ينادي: يـا غَزْوَتـاه! فرُفع خبره إلى مُصْعب، فقال: هـذا شبَث بن رِبعيّ، فأدخل عليه، فـأتاه أشـرافُ الكوفـة

(١) في (ر) و (آ): «أتاكم من الموالي».

(٢) الأبيات في ديوان سراقة ٨١، وأنساب الأشراف ٥/٢٥١، وتاريخ الطبري ٦/٩٢، والبداية والنهاية ٨/٢٨٣.

(٣) سورة القصص، الآيات من ١ ـ ٤.

(٤) سورة القصص، الآية ٥.

(٥) سورة القصص، الآية ٦.

(٦) في (بَ): «بالجرار»، و (آ): «وبالخزاز»، و (ر): «بالجزاز». والخبر في تاريخ الطبري ٦/٩٣.

فدخلوا عليه، وأخبروه بما اجتمعوا عليه، وسألوه النصرَ لهم، والمسير إلى المختار معهم.

وقدِم عليه محمّد بن الأشعث أيضاً واستحثّه على المسير، فأدناه مُصْعَب وأكرمه لشرفه، وقال لأهل الكوفة حين أكثروا عليه: لا أسير حتّى يأتيني المهلّبُ بن أبي صُفْرَة. وكتب إليه، وهو عامله على فارس، يستدعيه ليشهد معهم قتال المختار، فأبطأ المهلّب، واعتلّ بشيءٍ من الخراج لكراهية الخروج، فأمر مُصعبٌ محمّدَ بن الأشعث أن يأتي المهلّبَ يستحثّه، فأتاه محمّد ومعه كتاب مُصْعَب، فلمّا قرأه قال له: أمَا وجد مُصْعب بريداً غيرك؟ فقال: ما أنا ببريدٍ لأحد، غير أن نساءنا وأبناءنا وحَرَمنا غلَبَنا عليهم عبيدنا.

فأقبل المهلّب معه بجموعٍ كثيرة وأموال عظيمة، فقدِم البصرة، وأمر مُصْعب بالعسكر عند الجسر الأكبر، وأرسلَ عبدَ الرحمن بن مِخْنَف إلى الكوفة، فأمره أن يُخرج إليه مَنْ قدر عليه، وأن يثبّط الناس عن المختار، ويدعوهم إلى بيعة ابن الزّبير سرّاً، ففعل، ودخل بيته مستتراً، ثمّ سار مُصْعب فقدّم أمامه عبّاد بن الحُصَين الحَطَميَّ التميميَّ، وبعث عمرَ بن عُبيد الله بن مَعْمر على ميمنته، والمهلّبَ على ميسرته، وجعل مالك بن مِسْمع على بكر، ومالك بن المُنْذر على عبد القيس، والأحنف بن قيس على تميم، وزياد بن عَمْرو العَتَكيَّ على الأزد، وقيسَ بن الهَيْثم على أهل العالية.

وبلغ الخبرُ المختار، فقام في أصحابه فأعلمهم ذلك، وندبهم إلى الخروج مع أحْمر بن شُمَيْط، فخرج وعسكر بحمّام أعْين، ودعا المختار رؤوس الأرباع الذين كانوا مع ابن الأشتر، فبعثهم مع أحمر بن شُمَيْط، فسار وعلى مقدّمته ابنُ كامل الشاكريُّ، فوصلوا إلى المَذار، وأتى مُصْعَب فعسكر قريباً منه، وعبّأ كلّ واحد منهما جُنده، ثمّ تزاحفا، فجعل ابنُ شُمَيط ابنَ كامل على ميمنته، وعلى الميسرة عبد الله بن وُهَيب الجُشَميَّ، وجعل أبا عَمْرَة مولى عُرَيْنة على الموالي.

فجاء عبد الله بن وُهَيب الجُشَمِيُّ إلى ابن شُمَيط فقال له: إنّ الموالي والعبيد أولو خور[1] عند المصدوقة، وإنّ معهم رجالاً كثيراً على الخيل وأنت تمشي، فمُرْهم فليمشوا معك، فإنّي أتخوّف أن يطيروا[2] عليها ويسلّموك. وكان هذا غشّاً منه للموالي، لما كانوا لقوا منهم بالكوفة، فأحبّ أن كانت عليهم الهزيمة، وأن لا ينجو منهم أحد. فلم يتّهمه ابن شُمَيط، ففعل ما أشار به، فنزل الموالي معه.

وجاء مُصْعب وقد جعل عبّادَ بن الحُصَين على الخيل، فدنا عبّاد من أحمر

(١) في الأوربية: «جور».

(٢) في (ر): «يطردوا».

وأصحابه، وقال: إنّا ندعوكم إلى كتاب الله وسنّة رسوله، وإلى بيعة[1] المختار، وإلى أن نجعل هذا الأمر شورى في آل الرسول. فرجع عبّاد فأخبر مُصْعباً، فقال له: ارجعْ فاحملْ عليهم. فرجع وحمل على ابن شُمَيط وأصحابه، فلم ينزل منهم أحد، ثمّ انصرف إلى موقفه، وحمل المهلّب على ابن كامل، فجال بعضهم في بعض، فنزل ابن كامل، فانصرف عنه المهلّب، ثمّ قال المهلّب لأصحابه: كرّوا عليهم كرّةً صادقةً، فحملوا عليهم حملةً منكرة، فولّوا، وصبر ابن كامل في رجال من هَمْدان ساعة ثمّ انهزم، وحمل عُمر بن عُبيد الله على عبد الله بن أنَس، فصبر ساعةً ثمّ انصرف، وحمل النَاسُ جميعاً على ابن شُمَيط، فقاتل حتّى قُتل، وتنادوا: يا معشر بَجيلة وخَثْعَم الصبرَ! فناداهم المهلّب: الفرار اليوم أنجى لكم، علامَ تقتلون أنفسكم مع هذه العبيد؟ ثمّ قال: والله ما أرى كثرة القتل اليوم إلّا في قومي.

ومالت الخيل على رَجّالة ابن شُمَيط فانهزمت، وبعث مُصْعبٌ عبّاداً على الخيل، فقال: أيّما أسيرٍ أخذته فاضربْ عنقه. وسرّح محمّدَ بن الأشعث في خيلٍ عظيمة من أهل الكوفة فقال: دونكم ثأركم. فكانوا أشدّ على المنهزمين من أهل البصرة، لا يدركون منهزماً إلّا قتلوه، ولا يأخذون أسيراً فيعفون عنه، فلم ينجُ من ذلك الجيش إلّا طائفة أصحاب الخيل، وأمّا الرجّالة فأُبيدوا إلّا قليلاً.

قال معاوية بن قرّة المُزَنيُّ: انتهيتُ إلى رجل منهم، فأدخلتُ السنان في عينه، فأخذتُ أخضخض عينه به. فقيل له: أفعلتَ هذا؟ فقال: نعم، إنّهم كانوا عندنا أحلّ دماء من التُرك والدّيلم. وكان معاوية هذا قاضي البصرة.

فلمّا فرغ مُصْعب منهم أقبل حتّى قطع من تلقاء واسط، ولم تكن بُنيتْ[2] بعد، فأخذ في كسكر، ثمّ حمل الرجالَ وأثقالهم والضعفاء في السفن، فأخذوا في نهر خرشاد، ثمّ خرجوا إلى نهر قُوسان، ثمّ خرجوا إلى الفرات.

وأتى المختارَ خبرُ الهزيمة ومَنْ قُتل بها من فرسان أصحابه، فقال: ما من الموت بُدّ، وما من ميتة أموتها أحبّ إليّ من أن أموت ميتةَ ابن شُمَيط. فعلموا أنّه إن لم يبلغ ما يريد يقاتل حتّى يُقْتَل.

ولما بلغه أنّ مُصْعباً قد أقبل إليه في البرّ والبحر سار حتّى وصل السَّيْلَحِين، ونظر إلى مجتمع الأنهار: نهر الحيرة[3]، ونهر السيلحين، ونهر القادسيّة، ونهر يوسف[4]، فسكَر

---

(١) في (ر): «وإلى بيعة أمير المؤمنين».

(٢) في الأوربية: «يكن يبيت».

(٣) في الأوربية: «الخريرة».

الفرات، فذهب ماؤها في هذه الأنهار، وبقيت سفن أهل البصرة في الطّين، فلمّا رأوا ذلك خرجوا من السفن إلى ذلك السكْر، فأصلحوه وقصدوا الكوفة، وسار المختار إليهم فنزل حَرُوراء، وحال بينهم وبين الكوفة، وكان قد حصّن القصر والمسجد، وأدخل إليه عُدّة الحصار.

ويقبل مُصعَب وقد جعل على ميمنته المهلّب، وعلى ميسرته عمر بن عُبيد الله، وعلى الخيل عبّاد بن الحُصَين؛ وجعل المختارُ على ميمنته سُلَيم بن يزيد الكِنديّ، وعلى ميسرته سعيد بن مُنْقذ الهمدانيّ، وعلى الخيل عَمْرو بن عبد الله النهديّ، وعلى الرجال مالك بن عبد الله النَّهْديّ. وأقبل محمّد بن الأشعث فيمَنْ هرب من أهل الكوفة، فنزل بين مُصعب والمختار. فلمّا رأى ذلك المختارُ بعث إلى كلّ جيش من أهل البصرة رجلاً من أصحابه، وتدانَى الناس، فحمل سعيد بن منقذ على بكر وعبد القيس، وهم في ميمنة مُصْعب، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فأرسل مُصْعب إلى المهلّب ليحمل على مَنْ بإزائه، فقال: ما كنتُ لأجزُر الأزد خشيةَ أهل الكوفة حتّى أرى فرصتي.

وبعث المختارُ إلى عبد الله بن جَعدة بن هُبَيرة المخزوميّ، فحمل على مَنْ بإزائه، وهم أهل العالية، فكشفهم، فانتهوا إلى مُصْعب، فجثا مُصْعبٌ على رُكبتيه وبرك الناس عنده، فقاتلوا ساعةً وتحاجزوا.

ثمّ إنّ المهلّب حمل في أصحابه على مَنْ بإزائه، فحطموا أصحاب المختار حطمة منكرة فكشفوهم. وقال عبد الله بن عَمْرو النَّهْديُّ، وكان ممّن شهد صِفّين: اللهمّ إنّي على ما كنتُ عليه بصِفّين، اللهمّ أبرأ إليك من فعل هؤلاء، لأصحابه [حين انهزموا]، وأبرأ إليك من أنفُس هؤلاء، يعني أصحاب مُصْعب، ثمّ جالد بسيفه حتّى قُتل.

وانقصف[1] أصحاب المختار كأنّهم أجمة قصب فيها نار، وحمل مالك بن عَمْرو النَّهديُّ، وهو على الرَّجّالة، ومعه نحو خمسين رجلاً، وذلك عند المساء، على أصحاب ابن الأشعث حملةً منكرةً، فقُتل ابن الأشعث، وقُتل عامّة أصحابه.

وقاتل المختار على فم سكّة شَبَث عامّة ليلته، وقاتل معه رجالٌ من أهل البأس، وقاتلت معه هَمْدان أشدّ قتال، وتفرّق الناس عن المختار، فقال له مَنْ معه: أيّها الأمير اذهبْ إلى القصر، فجاء حتّى دخله، فقال له بعضُ أصحابه: ألم تكن وعدتَنا الظَّفَر وأنّا سنهزمهم[2]؟ فقال: أما قرأتَ في كتاب الله تعالى: **﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ**

---

(٤) في الأوربية: «رسف».

---

(١) في الأوربية: «وانقصت».
(٢) في الأوربية: «سنزهمهم».

الكِتَابِ﴾[1]. فقيل: إنّ المختار أوّل من قال بالبداء.

فلمّا أصبح مُصْعب أقبل يسير فيمَنْ معه نحو السَّبْخة، فمرّ بالمهلّب، فقال له المهلّب: يا[2] له فتحاً، ما أهنأه لو لم يُقتل محمّد بن الأشعث. قال: صدقتَ. ثمّ قال مُصْعب للمهلّب: إنّ عُبيد الله بن عليّ بن أبي طالب قد قُتل، فاسترجع المهلّب، فقال مُصْعب: قد كنتُ أُحبّ أن يشهد هذا الفتح، أتدري مَن قتله؟ إنّما قتله مَنْ يزعم أنّه شيعة لأبيه.

ثمّ نزل السَّبخة فقطع عنهم الماء والمادّة، وقاتلهم المختار وأصحابه قتالاً ضعيفاً، واجترأ الناس عليهم، فكانوا إذا خرجوا رماهم الناس من فوق البيوت، وصبّوا عليهم الماء القذِر، وكان أكثر معاشهم من النساء، تأتي المرأة متخفّية، ومعها القليل من الطّعام والشراب إلى أهلها. ففطن مُصْعَب بالنّساء فمنعهنّ، فاشتدّ على المختار وأصحابه العطش، وكانوا يشربون ماء البئر يعملون فيه العسل، فكان ذلك ما يروي بعضهم.

ثمّ إنّ مُصْعباً أمر أصحابه، فاقتربوا من القصر واشتدّ الحصار عليهم، فقال لهم المختار: ويحكم إنّ الحصار لا يزيدكم إلاّ ضَعْفاً، فانزلوا بنا فنقاتل حتّى نُقتَل كراماً إن نحنُ قُتلنا، فوالله ما أنا بآيس إن صدقتموهم أن ينصركم الله. فضعفوا ولم يفعلوا. فقال لهم: أمّا أنا فوالله لا أعطي بيدي، ولا أحكّمكم في نفسي، وإذا خرجتُ فقُتلتُ لم تزدادوا إلاّ ضعفاً وذلاًّ، فإن نزلتم على حُكمهم، وثبت أعداؤكم فقتلوكم، وبعضكم ينظر إلى بعضٍ فتقولون: يا ليتنا أطعنا المختار، ولو أنّكم خرجتم معي كنتم إن أخطأتم الظفر مُتّم كراماً.

فلمّا رأى عبد الله بن جَعْدَة بن هُبَيرة ما عزم عليه المختار تدلّى من القصر، فلحِق بناسٍ من إخوانه، فاختفى عندهم سرّاً. ثمّ إن المختار تطيّب وتحنّط، وخرج من القصر في تسعة عشر رجلاً، منهم السائب بن مالك الأشعريُّ، وكانت تحته عُمْرَة بنت أبي موسى الأشعريّ، فولدت له غلاماً اسمه محمّد، فلمّا أخذ القصر وُجد صبيّاً فتركوه.

فلمّا خرج المختار قال للسائب: ماذا ترى؟ قال: ما ترى أنت. قال: ويحك يا أحمق إنّما أنا رجل من العرب رأيتُ ابنَ الزّبير قد وثب بالحجاز، ورأيتُ ابنَ نَجْدة وثب باليمامة، ومروان بالشام، وكنت فيها كأحدهم، إلاّ أنّي قد طلبتُ بثأر أهل البيت إذ نامت عنه العرب، فقاتلْ على حسبك إن لم يكن لك نيّة. فقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ما

---

(1) سورة الرعد، الآية ٣٩.

(2) في الأوربية: «ما».

كنتُ أصنع أن أُقاتل على حسبي. ثمّ تقدّم المختارُ فقاتل حتّى قُتل، قتله رجلان من بني حنيفة أخوان، أحدهما طَرَفة، والآخر طَرّاف، ابنا عبد الله بن دجاجة.

فلمّا كان الغد من قتله دعاهم بَحير بن عبد الله المسكيُّ[1] ومَن معه بالقصر إلى مَا دعاهم المختار، فأبَوا عليه، وأمكنوا[2] أصحاب مُصْعب من أنفسهم، ونزلوا على حكمه، فأخرجوهم مكتَّفين، فأراد إطلاق العرب وقتل الموالي، فأبَى أصحابُه عليه، فعُرضوا عليه فأمر بقتلهم، وعُرض عليه بَحِير المسكيُّ[3]، فقال لمُصْعَب: الحمد لله الذي ابتلانا بالأسر، وابتلاك بأن تعفو عنّا، هما منزلتان: إحداهما رضاء الله، والأخرى سخطه، من عفا عفا الله عنه وزاد عزّاً، ومَنْ عاقب لم يأمن القصاص، يا ابن الزّبير نحن أهل قِبلتكم وعلى ملّتكم، ولسنا تُركاً ولا دَيْلَماً، فإنْ[4] خالفنا إخواننا من أهل مِصْرنا، (فإمّا أن نكون أصبنا وأخطأوا، وإمّا أن نكون أخطأنا وأصابوا)[5]، فاقتتلنا بيننا كما اقتتل أهلُ الشام بينهم، ثمّ اجتمعوا، وكما اقتتل أهلُ البصرة واصطلحوا واجتمعوا، وقد ملكتم فأسجحوا[6]، وقد قدرتم فاعفوا. فما زال بهذا القول حتّى رقّ لهم الناس ومُصْعب، وأراد أن يُخلّي سبيلهم.

فقام عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث فقال: أَتُخلّي سبيلهم؟ اخترْنا أو اخترْهم. وقام محمّد بن عبد الرحمن بن سعيد الهَمْدانيُّ فقال مثله، وقام أشرافُ الكوفة فقالوا مثلهما، فأمر بقتلهم، فقالوا له: يا ابنَ الزبير (لا تقتلنا واجعلنا على مقدّمتك إلى أهل الشام غداً، فما بكم عنّا غنًى، فإنْ قُتلنا لم نُقتل)[7] حتَّى نُضْعِفهم لكم، وإن ظفرنا بهم كان ذلك لكم. فأَبَى عليهم. فقال بَحِير المسكيّ: لا تخلطْ دمي بدمائهم إذ عصَوْني. فقتلهم.

وقال مسافر بن سعيد بن نمران النّاعطيّ: ما تقول يا ابن الزّبير لربّك غداً وقد قتلتَ أُمّةً من المسلمين حكّموك في أنفسهم صبراً؟ اقتلوا منّا بعدّة مَنْ قتلنا منكم، ففينا رجال لم يشهدوا موطناً من حربنا يوماً واحداً، كانوا في السواد وجباية الخراج وحفْظ الطُّرق. فلم يسمع منه وأمر بقتله.

---

(١) في (ر): «السلمي».
(٢) في (ر): «وأمسكوا».
(٣) في (ر): «السلمي».
(٤) في الأوربية: «فإنما».
(٥) في الأوربية: «فإمّا أن يكن أصبنا أو أخطأنا».
(٦) في الأوربية: «فاسمحوا».
(٧) ما بين القوسين من (ب).

ولما أراد قتلهم استشار مُصْعبٌ الأحنفَ بن قيس، فقال: أرى أن تعفو، فإنّ العفو أقرب للتقوى. فقال أشرافُ أهل الكوفة: اقتلهم، وضجّوا، فقتلهم. فلمّا قُتلوا قال الأحنف: ما أدركتم بقتلهم ثأراً، فليته لا يكون في الآخرة وبالاً.

وبعثت عائشةُ بنتُ طلحة امرأةَ مُصْعب إليه في إطلاقهم، فوجدهم الرسول قد قُتلوا.

وأمر مُصْعب بكفّ المختار بن أبي عُبيدة، فقُطعتْ وسُمّرت بمسمار إلى جانب المسجد، فبقيت حتّى قدِم الحجّاج، فنظر إليها وسأل عنها فقيل: هذه كفّ المختار، فأمر بنزعها.

وبعث مُصْعبٌ عُمّالَه على الجبال والسواد، وكتب إلى إبراهيم بن الأشتر يدعوه إلى طاعته ويقول له: إن أطعتَني فَلَكَ الشامُ وأعِنّةُ الخيل، وما غلبتَ عليه من أرض المغرب ما دام لآل الزّبير سلطان، وأعطاه عهدَ الله على ذلك. وكتب عبد الملك بن مروان إلى ابن الأشتر يدعوه إلى طاعته ويقول: إن أنتَ أجبتني فلك العراقُ. فاستشار إبراهيمُ أصحابه فاختلفوا، فقال إبراهيم: لو لم أكن أصبتُ ابنَ زياد وأشراف الشام لأجبتُ عبد الملك، مع أنّي لا أختار على أهلِ مصري وعشيرتي غيرهم. فكتب إلى مُصْعب بالدخول معه. فكتب إليه مُصْعب أن أقبِلْ، فأقبل إليه بالطّاعة، فلمّا بلغ مُصْعباً إقباله إليه بعث المهلّب على عمله بالموصل والجزيرة وأرمينية وأذْرَبَيْجان.

ثمّ إنْ مُصْعباً دعا أمّ ثابت بنت سَمُرة بن جُنْدَب امرأة المختار، وعُمرة بنت النُّعمان بن بشير الأنصاريّة امرأته الأخرى، فأحضرهما وسألهما عن المختار. فقالت أمّ ثابت: نقول فيه بقولك أنت، فأطلقها، وقالت عُمرةُ: رحمه الله، كان عبداً لله صالحاً، فحبسها، وكتب إلى أخيه عبد الله بنِ الزّبير: إنّها تزعم أنّه نبيّ، فأمره بقتلها، فقُتلت ليلاً بين الكوفة والحيرة، قتلها بعضُ الشُّرَط، ضربها ثلاث ضربات بالسيف وهي تقول: يا أبتاه! يا عترتاه! فرفع رجل يده فلطم القاتل وقال: يا ابن الزّانية عذّبتَها! ثمّ تشحّطت فماتت، فتعلّق الشُّرطيُّ بالرجل، وحمله إلى مُصْعب، فقال: خلّوه فقد رأى أمراً فظيعاً. فقال عُمر[1] بن أبي ربيعة المخزوميُّ في ذلك:

إنّ مِن أعجبِ العجائبِ عندي ... قتْلَ بَيضاء حُرّةٍ عُطْبولِ[2]

---

(١) في الأوربية: «عمرو».

(٢) هكذا في كل المصادر، عدا العقد الفريد ففيه «عَيْطَبُول»، وهي المرأة الفتية الجميلة الممتلئة الطويلة العنق:

والبيت في: الكامل للمبرّد:

إنّ من أعظم الكبائر عندي ... قتل حسناء غادةٍ عُطْبُولِ

قُتلتْ هكَذا على غيرِ جُرْمٍ[1] إنّ للَّهِ درّها مِنْ قَتِيلِ[2]
كُتِبَ القَتلُ والقتالُ علَينا وعلى المُحصَناتِ[3] جَرُّ الذّيُولِ[4]

وقال سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت الأنصاريُّ في ذلك أيضاً:

أَتى راكبٌ بالأمرِ ذي النبإ[5] العجَبْ بقتلِ ابنةِ النُّعمانِ ذي الدِّينِ والحسبْ
بقَتلِ فَتاةٍ ذاتِ دَلٍّ سَتيرَةٍ مهذّبةِ الأخلاقِ والخِيمِ[6] والنَّسَبْ
مُطهَّرَةٍ مِن نَسلِ قَوْمٍ أكارِمٍ مِنَ المُؤثرين[7] الخَيرَ في سالِفِ الحِقَبْ
خَليلُ النّبيّ المُصْطفى ونَصِيرُهُ وصاحِبُهُ في الحرْبِ والضرْبِ[8] والكُرَبْ
أتاني بأنّ المُلْحِدينَ تَوافَقُوا على قتْلِها، لا جُنبوا[9] القتلَ والسَّلَبْ
فلا هَنأتْ آلَ الزّبَيرِ مَعيشَةٌ وذاقوا لباسَ الذلّ والخوْفِ والحرَبْ
كأنّهُمُ إذ أبرَزُوها وقُطِّعَتْ بأسيافِهم فازوا بمملكةِ العرَبْ
ألَمْ تَعجَبِ الأقوامُ مِنْ قتْلِ حُرّةٍ مِنَ المُحصَناتِ[10] الدّينِ محْمودة الأدَبْ!
من الغافِلاتِ المُؤمِناتِ، بَريئةٍ من الذّمّ والبُهتانِ والشكّ والكذِبْ[11]
علَينا كتابٌ[12] القتلِ والبأسِ واجِبٌ وهنّ العفافُ في الحِجالِ وفي الحُجُبْ[13]

(١) في الأخبار الطوال: «قتلوها بغير ذنب سَفاهاً». وفي الكامل للمبرّد، وفي العقد الفريد «قُتلت باطلاً على غير ذنبٍ»، وفي مروج الذهب: «قتلوها ظلماً على غير جرم»، وفي تاريخ اليعقوبي: «قتلوها بغير جرمٍ أتته».
(٢) البيت من (ب).
(٣) في العقد الفريد، ومروج الذهب، وتاريخ اليعقوبي والبدء والتاريخ: «الغانيات».
(٤) الأبيات في: ملحق ديوان عمر بن أبي ربيعة ٤٩٨، والأخبار الطوال ٣١٠، ونسبه لبعض الشعراء، وتاريخ اليعقوبي ٢/٢٦٤، وتاريخ الطبري ٦/١١٢، والفتوح لابن أعثم ٦/٢٠٠، والعقد الفريد ٤/٤٠٧، ومروج الذهب ٣/١٠٧، والبدء والتاريخ ٦/٢٣ وفيه البيت الأخير ونسبه إلى عبد الرحمن بن حسّان، والبداية والنهاية ٨/٢٨٩، والكامل في اللغة للمبرّد ٢/١٨١، وأنساب الأشراف ٥/٢٦٤.
(٥) في الأوربية: «البناء».
(٦) في الأوربية: «في الخيم».
(٧) في الأوربية: «الموتورين».
(٨) الطبري «النكب».
(٩) في الأوربية: «حسنوا».
(١٠) في الأخبار الطوال: «المخلصات».
(١١) في الأخبار الطوال:
«مِن الزور... ... والريب»
(١٢) في الأوربية: «ديات».
(١٣) في الأخبار الطوال:

عـلى دِيـنِ أجـدادٍ لـهـا وأُبـوّةٍ	كِـرامٍ مَضَتْ لم تُخْـزِ أهـلاً ولم تُـرِبْ
مِنَ الـخَـفِـراتِ لا خَـروجٌ بَـذِيَّـةٌ[1]	مـلائـمَـةٌ تَبْغي على جـارِهـا الجُنُبْ[2]
وَلا الجارِ ذي القُرْبَى ولم تـدرِ مـا الخَنـا	ولم تَـزْدَلِفْ يـومـاً بسـوءٍ ولم تـجبْ[3]
عـجبتُ لهـا إذْ كُـتِّـفَـتْ[4] وَهـيَ حيّـةٌ	ألا إنّ هـذا الخَطبَ من أعجبِ العجبْ[5]

وقيل: إنّ المختار إنّما أظهر الخلاف لابن الزُّبير عند قدوم مُصْعب البصرة، وإنّ مُصْعباً لما سار إليه فبلغه مسيره أرسل إليه أحمر بن شُمَيْط، وأمره أن يُواقعه بالمَذار، وقال: إنّ الفتح بالمذار، لأنّه بلغه أنّ رجلاً من ثَقيف يُفْتَح عليه بالمذار فتحٌ عظيم، فظنّ أنّه هو، وإنّما كان ذلك للحجّاج في قتال عبد الرحمن بن الأشعث.

وأمر مُصْعبٌ عَبّاداً الحَطَميَّ بالمسير إلى جمع المختار، فتقدّم وتقدّم معه عُبيدُ الله بن عليّ بن أبي طالب، وبقي مُصْعب على نهر البصريّين، وخرج المختار في عشرين ألفاً، وزحف مُصْعب ومَن معه، فوافوه مع الليل، فقال المختار لأصحابه: لا يبرحنّ أحد منكم حتّى يسمع منادياً ينادي: يا محمّد، فإذا سمعتموه فاحملوا.

فلمّا طلع القمر أمر منادياً فنادى: يا محمّد، فحملوا على أصحاب مُصْعب، فهزموهم وأدخلوهم عسكرهم، فلم يزالوا يُقاتلونهم حتّى أصبحوا، وأصبح المختار وليس عنده أحد، وأصحابه قد أوغلوا في أصحاب مُصْعب، فانصرف المختار منهزماً حتّى دخل قصر الكوفة، وجاء أصحابه حين أصبحوا، فوقفوا مليّاً، فلم يروا المختار فقالوا: قد قُتل، فهرب منهم مَن أطاق الهرب، فاختفوا بدُور الكوفة، وتوجّه منهم نحو القصر ثمانية آلاف، فوجدوا المختار في القصر، فدخلوا عليه، وكانوا قد قتلوا تلك الليلة من أصحاب مُصْعب خلقاً كثيراً، منهم محمّد بن الأشعث، وأقبل مُصْعب فأحاط بالقصر، وحاصرهم أربعة أشهر، يخرج المختار كلّ يوم فيقاتلهم في سوق الكوفة.

فلمّا قُتل المختار بعث مَن في القصر يطلب الأمان، فأبَى مُصْعب، فنزلوا على

= عـلينـا كـتـاب الله في الـقـتـل واجـب   وهُنّ الضعـاف في الحجـال وفي الحُجُب

(1) في (ب): «بذمة».

(2) البيت في الأوربية:

مـن الـخـفـرات لا خـروج بـرنّـةٍ   بـلائـمـة تبقى عـلى جـارهـا الجنَبْ

(3) الطبري «تحب».

(4) الطبري «كُفِّنَت».

(5) الطبري ٦/١١٣، وقد وردت الأبيات من ٨ ـ ١٠ في: الأخبار الطوال للدينوري ص ٣١٠ مع ثلاثة أبيات أخرى لم ترد أعلاه، ومن ٧ ـ ٩ في أنساب الأشراف ٥/٢٦٤ باختلاف ألفاظ وتقديم وتأخير.

حكمه، فقُتل من العرب سبعمائة أو نحو ذلك، وسائرهم من العجم، وكان عدّة القتلى ستّة آلاف رجل[1].

ولما قُتل المختار كان عُمره سبعاً وستّين سنة، وكان قتله لأربع عشرة خلت من رمضان سنة سبْعٍ وستّين[2].

قيل: إنّ مُصْعَباً لقي ابنَ عمر فسلّم عليه وقال له: أنا ابن أخيك مُصْعب. فقال له ابن عمر: أنت القاتل سبعة آلاف من أهل القِبْلة في غداةٍ واحدة غير ما بدا لك. فقال مُصْعب: إنّهم كانوا كَفَرة فَجَرَة[3]. فقال: والله لو قتلتَ عدّتهم غنماً من تُراث أبيك لكان ذلك سَرَفاً.

وقال ابن الزّبير لعبد الله بن عبّاس: ألم يبلُغْك قتْلُ الكذّاب؟ قال: ومَن الكذّاب؟ قال: ابن أبي عُبيد. قال: قد بلغني قتل المختار. قال: كأنّك نكرتَ تسميته كذّاباً، ومتوجّعٌ له. قال: ذاك رجل قتل قَتَلَتنا، وطلب ثأرنا، وشفى غليلَ صدورنا، وليس جزاؤه منّا الشّتْمُ والشماتة.

وقال عُرْوة بن الزّبير لابن عبّاس: قد قُتل الكذّاب المختار، وهذا رأسه. فقال ابن عبّاس: قد بقيت لكم عَقَبةٌ كَؤُود، فإنْ صعِدتموها فأنتم أنتم، وإلاّ فلا، يعني عبد الملك بن مروان.

وكانت هدايا المختار تأتي ابنَ عمر وابنَ الحنفيّة فيقبلانها، وقيل: ردّ ابنُ عمر هديته.

ذكر عزل مُصْعَب بن الزّبَير وولاية حمزة بن عبد الله بن الزُّبير

وفي هذه السنة عزل عبدُ الله بن الزُبير أخاه مُصْعباً عن العراق، بعد أن قتل المختار، وولّى مكانه ابنَه حمزة بن عبد الله، وكان حمزة جواداً مخلّطاً، يجود أحياناً حتّى لا يدع شيئاً يملكه، ويَمنعُ أحياناً ما لا يُمْنَعُ مثلُه، وظهر منه بالبصرة خِفّة وضعف، فيقال إنّه ركب يوماً، فرأى فَيْض البصرة فقال: إنّ هذا الغدير إن رفقوا به ليكفينّهم صيفهم[4]، فلمّا كان بعد ذلك رآه جازراً فقال: قد قلتُ لو رفقوا به لكفاهم. وظهر منه غير ذلك، فكتب الأحنف إلى أبيه، وسأله أن يعزله عنهم ويُعد مُصْعباً، فعزله، فاحتمل مالاً كثيراً

(١) الطبري ٦/١١٤ - ١١٦.
(٢) الطبري ٦/١١٦.
(٣) الطبري ٦/١١٣ «كفرة سحرة».
(٤) الأوربية: «ضيعتهم».

من مال البصرة، فعرض له مالك بن مِسمَع فقال له: لا ندعك تخرج بعطايانا. فضمن له عُبيد الله بن عبد الله العطاءَ، فكفَّ عنه، وشخص حمزة بالمال، وأتى المدينة فأوْدعه رجالاً، فجحدوه إلّا رجلاً واحداً فوفَى له، وبلغ ذلك أباه فقال: أبعده الله! أردتُ أن أباهي به بني مروان فنكص.

وقيل: إنّ مصعباً أقام بالكوفة سنةً بعد قتل المختار معزولاً عن البصرة، عزله أخوه عبد الله، واستعمل عليها ابنَه حمزة، ثمّ إنّ مُصْعباً وفد على أخيه عبد الله، فردّه على البصرة، وقيل: بل انصرف مُصْعب إلى البصرة بعد قتل المختار، واستعمل على الكوفة الحارث بن أبي ربيعة، فكانتا في عمله، فعزله أخوه عن البصرة واستعمل ابنَه حمزة، ثمّ عزل حمزة بكتاب الأحنف وأهل البصرة وردّ مُصْعباً[1].

ذكر عدّة حوادث

حجّ بالناس [في هذه السنة] عبد الله بن الزّبير[2]، وكان عامله على الكوفة والبصرة مَنْ تقدّم ذكره، وكان على قضاء الكوفة عبد الله بن عُتْبة بن مسعود، وعلى قضاء البصرة هشام بن هُبَيرة، وبالشام عبد الملك بن مروان، وبخُراسان عبد الله بن خازم[3].

[الوفَيات]

وفي هذه السنة مات الأحنف بن قيس[4] بالكوفة مع مُصْعب، وقيل: مات سنة إحدى وسبعين بالكوفة لما سار مُصْعب إلى قتال عبد الملك بن مروان. وقُتل هُبَيرة بن مريم[5] مولى الحسين بن عليّ بالخازَر، وهو من أصحاب المختار وثقات المحدّثين. وفيها توفي جُنادة بن أبي أميّة[6]، وأدرك الجاهليّة، وليست له صُحْبة. وقتل مُصْعبٌ عبدَ الرحمن[7]، وعبدَ الربّ ابنَيْ حُجْر بن عديّ، وعِمرانَ بن حُذَيْفة بن اليمان، قتلهم صبراً بعد قتل المختار، وبعد قتل أصحابه.

---

(١) الطبري ٦/١١٧، ١١٨، نهاية الأرب ٢١/٦٧.

(٢) تاريخ خليفة ٢٦٤، المحبّر ٢٢، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٦٨، المعرفة والتاريخ ٣/٣٣١، الطبري ٦/١١٨، مروج الذهب ٣/٣٩٨، تاريخ العظيمي ١٨٨، نهاية الأرب ٢١/٦٧، البداية والنهاية ٨/٢٩٣، تاريخ دمشق ٤٥٤ و ٤٥٥، مآثر الإنافة ١/١٢٣.

(٣) الطبري ٦/١١٨، نهاية الأرب ٢١/٦٧.

(٤) انظر عن (الأحنف بن قيس) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ٧١ رقم ١ وفيه مصادر ترجمته.

(٥) انظر عن (هبيرة بن مريم) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ٢٦٤ رقم ١١٧ وفيه مصادر ترجمته.

(٦) انظر عن (جُنادة بن أبي أميّة) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ٣٨٣ رقم ١٥٠ وفيه مصادر ترجمته.

(٧) انظر عن (مُصعب بن عبد الرحمن) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ٢٤٩ رقم ١٠٣ وفيه مصادر ترجمته.

٦٨
ثم دخلت سنة ثمان وستين

ذكر عزل حمزة وولاية مُصْعب البصرة

وفي هذه السنة ردّ عبد الله بن الزّبير أخاه مُصْعباً إلى العراق.

وسببه: أنّ الأحنف رأى من حمزة بن عبد الله اختلاطاً وحمقاً، فكتب إلى أبيه، فعزله وردّ مُصْعباً، واستعمل على الكوفة الحارث بن أبي ربيعة[1].

وقيل: كان سبب عزله حمزة أنّه قصر بالأشراف وبسط يده، ففزعوا إلى مالك بن مِسمع، فضرب خيمته على الجسر، ثمّ أرسل إلى حمزة: الحقْ بأبيك؛ وأخرجه عن البصرة، فقال العُدَيل العِجْليُّ:

إذا ما خَشينا مِنْ أميرٍ ظُلامةً ... دعَوْنا أبا سُفيان[2] يوْماً فعسكَرَا

ذكر حروب الخوارج بفارس والعراق

في هذه السنة استعمل مُصْعبٌ عمرَ بنَ عُبيد الله بن مَعْمر على فارس، وولّاه حرب الأزارقة، وكان المهلّب على حربهم أيّام مُصعب الأولى، وأيّام حمزة بن عبد الله بن الزّبير. فلمّا عاد مُصْعب أراد أن يولّي المهلّبَ بلادَ الموصل والجزيرة وأرمينيّة، ليكون بينه وبين عبد الملك بن مروان، فكتب إليه، وهو بفارس، في القدوم عليه، فقدِم واستخلف على عمله ابنَه المُغيرة، ووصّاه بالاحتياط، وقدِم البصرة، فعزله مُصْعب عن حرب الخوارج وبلاد فارس، واستعمل عليهما عمر بن عُبيد الله بن مَعْمَر. فلمّا سمع الخوارج به قال قَطَريّ بن الفُجاءة: قد جاءكم شجاعٌ وهو شجاع وبطَل، جاء يقاتل لدِينه وملكه بطبيعةٍ لم أرَ مثلها لأحد، ما حضر حرباً إلاّ كان أوّل فارس يقتل قِرنه.

---

(١) الطبري ٦/١١٩.

(٢) في (ر): «غسان».

وكان الخوارج قد استعملوا عليهم بعد قتل عُبيد الله بن الماحوز الزُّبيرَ بنَ الماحوز، على ما ذكرناه سنة خمس وستّين، فجاءت الخوارج إلى إصطخر، فقدّم إليهم عمر ابنَه عُبيد الله في خيل، فاقتتلوا فقُتل عُبيد الله بن عمر، وأراد الزّبير بن الماحوز قتال عمر، فقال له قَطَرِيّ: إنّ عمر مأثور فلا نقاتله، فأبَى فقاتله، فقُتل من فرسان الخوارج تسعون رجلاً، وطعن عمرُ صالحَ بن مخارق فشتر عينه، وضرب قَطَرِيّاً على جبينه ففلقه، وانهزمت الخوارج وساروا إلى سابور، فعاد عمر ولقِيهم بها ومعه مُجّاعة بن سِعْر، فقتل مُجّاعةُ بعمودٍ كان معه أربعة عشر رجلاً من الخوارج، وكاد عمر يهلك في هذه الوقعة، فدافع عنه مجّاعة، فوهب له عمر تسعمائة ألف درهم[1]، فقيل في ذلك:

قد ذُدتُ عاديةَ الكَتِيبَةِ عن فتًى قد كادَ يُتْرَكُ لحمُهُ أقطاعَا

وظهر عليهم فساروا وقطعوا قنطرةً بينهما ليمتنع من طلبهم، وقصدوا نحو أصبهان، فأقاموا عندها حتّى قووا واستعدّوا، ثمّ أقبلوا حتى مرّوا بفارس وبها عمر، فقطعوها في غير الموضع الذي هم به، أخذوا على سابور، ثمّ على أرّجان، حتّى أتوا الأهواز.

فقال مُصْعَب: العجب لعمر! قطع هذا العدوُّ الذي هو بصدد محاربته أرض فارس، فلم يقاتلهم، ولو قاتلهم وفرّ كان أعذر له[2]. وكتب إليه: يا ابن مَعمَر ما أنصفتني، تجبي الفَيْء وتَحِيد عن العدوّ، فاكفني أمرَهم.

فسار عمر من فارس في أثرهم مُجِدّاً يرجو أن يلحقهم قبل أن يدخلوا العراق، وخرج مُصْعب فعسكر عند الجسر الأكبر، وعسكر الناس معه، وبلغ الخوارجَ وهم بالأهواز إقبالُ عمر إليهم، وأنّ مُصْعباً قد خرج من البصرة إليهم، فقال لهم الزُّبير بن الماحوز: من سوء الرأي وقوعكم بين هاتَين الشوكتَين، انهضوا بنا إلى عدوّنا نَلقَهم من وجهٍ واحد. فسار بهم فقطع بهم أرض جُوخى والنّهروانات، فأتى المدائن وبها كَرْدم بن مَرْثَد القُراديُّ[3]، فشنّوا الغارة على أهل المدائن يقتلون الرجال والنساء والولدان، ويشقّون أجواف الحبالى. فهرب كَرْدَم، وأقبلوا إلى ساباط، ووضعوا السيف في الناس يقتلون، وأرسلوا جماعة إلى الكرخ[4] فلقوا أبا بكر بن مِخْنَف، فقاتلهم قتالاً شديداً، فقُتل أبو بكر وانهزم أصحابُه، وأفسد الخوارج في الأرض.

فأتى أهلُ الكوفة أميرَهم، وهو الحارث بن أبي ربيعة ولقَبُه القُباع، فصاحوا به

---

(١) الكامل للمبرّد ٢/٢٤٤.

(٢) المبرّد ٢/٢٤٥.

(٣) في (ب) و(آ): «الفراري».

(٤) في الأوربية: «الكرج».

وقالوا: اخرجْ، فإنّ العدوّ قد أظلَّ علينا[1] ليست له بقيّة. فخرج حتّى نزل النُّخَيْلة، فأقام أيّاماً، فوثب إليه إبراهيم بن الأشتر، فحثّه على المسير، فسار حتّى نزل دير عبد الرحمن، فأقام بـه حتّى دخل إليـه شَبَث بن رِبْعيّ، فأمره بالمسير، فلمّا رأى النـاسُ بُطءَ[2] مسيره رَجَزُوا به فقالوا:

سـارَ بنـا القُبـاعُ سَيـراً نُكـرَا[3] يَسيـرُ يَـوْمـاً ويُـقيـمُ شَهـرَا[4]

فسار من ذلك المكان، فكان كلّما نزل منزلاً أقام بـه حتّى يصيح بـه الناسُ، فبلغ الفراتَ في بضعة عشر يوماً، فأتاها وقد انتهى إليها الخوارج، فقطعوا الجسرَ بينهم وبينه، وأخذوا رجلاً اسمه سِماك بن يزيد ومعه بنت له، فأخذوها ليقتلوها، فقـالت لهم: يا أهـل الإسلام! إنّ أبي مُصابٌ فلا تقتلوه، وأمّا أنا فجارية، والله ما أتيتُ فـاحشةً قطّ، ولا آذيتُ جـارةً لي، ولا تـطلّعتُ ولا تشرّفت قطّ. فلمّـا أرادوا قتلهـا سقـطت ميتـة، فقـطّعـوهـا بـأسيافهم[5]، وبقي سِمـاكٌ معهم حتّى أشرفـوا على الصَّـراة[6]، فـاستقبـل أهـلَ الكـوفـة فناداهم: اعبروا إليهم فإنّهم قليل خبيث. فضربوا عُنقه وصلبوه[7].

فقال إبراهيم بن الأشتر للحارث: انـدبْ معي الناس حتّى أعبـر إلى هؤلاء الكلاب فأجيئك برؤوسهم. فقال شَبَث، وأسماء بن خارجة، ويزيد بن الحارث، ومحمّد بن عُمَير وغيرهم: أصلح الله الأمير، دَعهم فلْيذهبوا؛ وكأنّهم حسدوا إبراهيم[8].

فلمّـا رأى الخوارج كثرة الناس قـطعوا الجسـر، واغتنم ذلـك الحـارثُ فتحبّس ثمّ جلس للناس فقال: أمّا بعدُ فإنّ أوّل القتال الرمية بالنَّبل وإشراع الرماح والطعن ثمّ الطعن شزراً ثمّ السَّلة آخر ذلـك كلّه. فقال لـه رجل: قـد أحسن الأمير الصفـةَ ولكن متى نصنع هذا وهذا البحر بيننا وبينهم؟ فمرْ بهذا الجسر فليُعْقَدْ ثمّ عبّرْنا إليهم، فـإنّ الله سيُريـك ما تحبّ.

---

(١) في (ر): «أضلنا»، وفي الأوربية: «أبطلنا».

(٢) في (ب): «ثبط».

(٣) في الكامل للمبرّد:

«إنّ القُبـاع سـار سيـراً نُكْـراً»

(٤) أنساب الأشراف ٥/٢٧٦، الكامل للمبرّد ٢/٢٤٥، الطبري ٦/١٢٣، تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ٦٤.

(٥) المبرّد ٢/٢٤٥، ٢٤٦.

(٦) في (ر) «الصراط»، وزاد في (ب): «الفرابة»، وهو وهْم. والصَّراة: بفتح الصاد المهملة، نهران ببغداد: الصَّراة الكبرى. والصَّراة الصغرى. (معجم البلدان ٣/٣٩٩).

(٧) الطبري ٦/١٢٤.

(٨) الطبري ٦/١٢٤.

فعقدَ الجسرَ وعبرَ الناسُ، فطاردَ الخوارجَ حتّى أتوا المدائن، وطاردت بعض خيلهم عند الجسر طراداً ضعيفاً فرجعوا، فأتبعهم الحارثُ عبدَ الرحمن بن مِخنَف في ستّة آلاف ليُخرجهم من أرض الكوفة، وقال له: إذا وقعوا في أرض البصرة فاتركْهم. فسار عبد الرحمن يتبعهم حتّى وقعوا في أرض أصبهان، فرجع عنهم ولم يقاتلهم، وقصدوا الرّيّ وعليها يزيد بن الحارث بن رُوَيْم الشيبانيُّ، فقاتلهم، فأعان أهلُ الريّ الخوارجَ، فقُتل يزيد وهرب ابنه حَوْشب، ودعاه أبوه ليدفع عنه فلم يرجع، فقال بعضهم:

فلَوْ كانَ حُرّاً حَوْشَبٌ ذا حَفيظَةٍ رأى ما رأى في المَوْتِ عيسَى بن مُصْعَب

يعني أنّ عيسى بن مُصْعب لم يفرّ عن أبيه، بل قاتل عنه معه حتّى قُتل.

وقال بِشر بن مروان يوماً وعنده حَوْشب هذا وعِكْرمة بن رِبْعيّ: مَنْ يدلّني على فرس جواد؟ فقال عِكْرِمة: فرس حَوْشب، فإنّه نجا عليه يوم الريّ. وقال بِشْر أيضاً يوماً: مَنْ يدلّني على بغلةٍ قويّة الظَّهر؟ فقال حَوْشب: بغلة واصل بن مسافر[1]، كان عِكْرِمة يُتّهم بامرأة واصل، فتبسّم بِشْر وقال: لقد انتصفتَ.

ولما فرغ الخوارج من الريّ انحطّوا إلى أصبهان، فحاصروها وبها عتّاب بن ورقاء، فصبر لهم، وكان يقاتلهم على باب المدينة ويرمون من السُّور بالنَّبل والحجارة. وكان مع عتّاب رجل من حَضْرَمَوت يقال له أبو هُرَيرة، فكان يحمل عليهم ويقول:

كيفَ تَرَوْنَ يا كلابَ النّارِ شَدَّ أبي هُرَيرَةَ الهَرّارِ
يهرّكم باللّيلِ والنّهارِ يا ابنَ أبي الماحوز والأشرارِ
كيفَ تَرَى حرْبي على المضْمارِ

فلمّا طال ذلك على الخوارج كمن له رجل منهم ذات يوم، فضربه بالسيف على حبل عاتقه فصرعه، فاحتمله أصحابُه وداووه حتّى برأ، وخرج إليهم على عادته.

ثمّ إنّ الخوارج أقامت عليهم أشهُراً حتّى نفدت أطعمتهم، واشتدّ عليهم الحصار، وأصابهم الجهدُ الشديدُ، فقال لهم عتّاب: أيّها الناس قد نزل بكم من الجهد ما ترون، وما بقي إلاّ أن يموت أحدكم على فراشه، فيدفنه أخوه إن استطاع، ثمّ يموت هو فلا يجد من يدفنه ولا يصلّي عليه، والله ما أنتم بالقليل، وإنّكم الفرسان الصُّلَحاء، فاخرجوا بنا إلى هؤلاء وبكم قوّة وحياة، قبل أن تضعفوا عن الحركة من الجهد، فوالله إنّي لأرجو إن صدقتموهم أن تَظْفَروا بهم. فأجابوه إلى ذلك.

(١) في (آ): «مساور»، و(ب): «متبادر»!

ذكر قتل ابن الماحوز وإمارة قَطَريّ بن الفُجاءة

لما أمر عتّاب أصحابه بقتال الخوارج وأجابوه إلى ذلك جمعَ الناس وأمر لهم بطعام كثير، ثمّ خرج حين أصبح، فأتَى الخوارج وهم آمنون، فحملوا عليهم فقاتلوهم حتّى أخرجوهم من عسكرهم، وانتهوا إلى الزّبير بن الماحوز، فنزل في عصابة من أصحابه، فقاتل حتّى قُتل، وانحازت الأزارقة إلى قَطَرِيّ بن الفُجاءة المازنيّ، وكنيته أبو نعامة، فبايعوه، وأصاب عتّابٌ وأصحابه من عسكره ما شاؤوا، وجاء قطَريّ فنزل في عسكر الزّبير، ثمّ سار عن أصبهان وتركها، وأتَى ناحية كَرمان وأقام بها حتّى اجتمعت إليه جموعٌ كثيرة، وجبى المالَ وقوي. ثمّ أقبل إلى أصبهان، ثمّ أتَى إلى أرض الأهواز، فأقام بها والحارث بن أبي ربيعة عامل مُصْعب على البصرة، فكتب إلى مُصْعب يخبره بالخوارج، وأنّهم ليس لهم إلاّ المهلّب. فبعث إلى المهلّب وهو على الموصل والجزيرة فأمره بقتال الخوارج، وبعث إلى الموصل إبراهيم بن الأشتر، وجاء المهلّب إلى البصرة وانتخب الناسَ وسار بهم نحو الخوارج، ثمّ أقبلوا إليه حتّى التقوا بسُولاف، فاقتتلوا بها ثمانية أشهر أشدّ قتالٍ رآه الناس.

ذكر حصار الرّيّ

وفيها أمر مُصْعب عَتّاب بن ورقاء الرياحيَّ، عاملَه على أصبهان، بالمسير إلى الريّ وقتال أهلها، لمساعدتهم الخوارج على يزيد بن الحارث بن رُوَيْم وامتناعهم من مدينتهم، فسار إليهم عتّاب، فنازلهم وقاتلهم وعليهم الفرُّخان، وألَحّ عليهم عتّاب بالقتال، ففتحها عَنوةً وغَنِم ما فيها، وافتتح سائر قلاع نواحيها[1].

وفيها كان بالشام قحْطٌ شديد، حتّى إنّهم لم يقدروا من شدّته على الغزو[2].

وفيها عسكر عبد الملك بن مروان ببُطْنان [حَبيب]، وهو قريب [من] قنّسرين، وشتّى بها ثمّ رجع إلى دمشق[3].

ذكر خبر عُبيد الله بن الحُرّ ومقتله

في هذه السنة قُتل عبيد الله بن الحُرّ الجُعْفيّ، وكان من خيار قومه صلاحاً وفضلاً واجتهاداً، فلمّا قُتل عثمان ووقعت الحرب بين عليّ ومعاوية قصد معاويةَ، فكان معه

---

(١) نهاية الأرب ٢١/ ٦٨.

(٢) تاريخ خليفة ٢٦٥، تاريخ الطبري ٦/ ١٢٧.

(٣) تاريخ الطبري ٦/ ١٢٧.

لمحبّته عثمان، وشهِد معه صِفّين هو ومالـك بن مِسمَع، وأقـام عُبيد الله عنـد معاويـة[1]. وكان له زوجة بالكوفة، فلمّا طالت غيبته زوّجها أخوها رجلاً يقال له عِكْرِمة بن الخبيص، وبلغ ذلك عُبيدَ الله، فأقبل من الشام، فخاصم عِكْرِمة إلى عليّ، فقال له: ظاهرتَ علينا عدوّنا فغُلْتَ. فقال له: أيمنعني ذلك من عدلك؟ قال: لا، فقصّ عليـه قصّته، فـردّ عليه امرأته، وكـانت حبلى، فوضعهـا عند مَن يثق إليـه حتّى وضعت، فألحق الـولد بعِكـرِمة، ودفع المرأة إلى عُبيد الله، وعاد إلى الشـام فأقـام به حتّى قُتـل عليٌّ، فلمّا قُتـل أقبل إلى الكوفة فأتَى إخوانَه فقال: ما أرى أحداً ينفعـه اعتزالـه، كنّا بـالشام فكـان من أمر معـاوية كَيْت وكَيْت، فقالوا: وكان من أمر عليّ كَيْت وكَيْت، وكانوا يلتقون بذلك[2].

فلمّا مات معاوية وقُتـل الحسين بن عليّ لم يكن عُبيد الله فيمَنْ حضـر قتله، يغيب عن ذلـك تعمُّداً، فلمّـا قُتل جعـل ابن زيـاد يتفقّـد الأشـراف من أهـل الكـوفـة، فلم يـرَ عُبيدَ الله بن الحُرّ، ثمّ جـاءه بعد أيّـام حتّى دخل عليـه فقال لـه: أين كنتَ يا ابنَ الحُـرّ؟ قال: كنتُ مريضاً. قال: مـريض القلب أم مريض البـدن؟ فقال: أمّـا قلبي فلم يمرض، وأمّا بدني فقد مَنّ الله عليّ بالعـافية. فقـال ابن زياد: كـذبتَ، ولكنّك كنتَ مـع عدوّنـا. فقال: لو كنتُ معه لرأى مكاني.

وغفل عنه ابن زياد، فخرج فركب فرسه، ثمّ طلبه ابن زياد فقالـوا: ركب السـاعـة. فقال: عَلَيّ به. فأحضر الشُّرَط خلفه، فقالوا: أجبِ الأمير. فقال: أبلغوه عنّي أنّي لا آتيه طائعاً أبداً. ثمّ أجرى فرسَه، وأتَى منزلَ أحمد بن زياد الطّائيّ، فاجتمع إليه أصحابُه، ثمّ خرج حتّى أتى كربلاء، فنظر إلى مَصارِع الحسين ومَنْ قُتل معه، فاستغفر لهم، ثمّ مضى إلى المدائن وقال في ذلك:

يـقـولُ أمـيـرٌ غـادِرٌ وابـنُ غـادِرٍ	ألا كنتَ قـاتلتَ الحسينَ بنَ فـاطـمَـهْ[3]
ونَـفسـي عـلى خِـذْلانِـهِ واعـتـزالِـهِ	وبيعـةِ هـذا النّـاكثِ العهـد لائمَـهْ[4]
فـيـا نَـدَمـي أن لا أكـونَ نـصـرْتُـهُ	ألا كـلّ نَـفسٍ لا تـشـدّدُ[5] نـادِمَـهْ
وإنّـي لأنّـي لـم أكُـنْ مِـن حُـمـاتـه	لـذو حَـسْـرةٍ أن لا تـفـارق لازمَـهْ[6]

(١) الطبري ٦/١٢٨.

(٢) الطبري ٦/١٢٨.

(٣) البيت في أنساب الأشراف ٥/٢٩٢:

يـقـول أبـو جـائـر حـقُّ جـائـرٍ ألا كنتَ قـاتـلتَ الشهيـد ابن فـاطمـه

(٤) في الأنساب «العهد سادمه».

(٥) في (آ) وأنساب الأشراف «تسدد».

(٦) في الأوربية، ورد الشطر الثاني:

سقَى اللَّهُ أرواحَ الذينَ تَبادرُوا[١] ... إلى نصرِهِ سحّاً[٢] منَ الغيثِ دائمَهْ[٣]
وقَفتُ على أجداثِهمْ ومحالِّهمْ ... فكادَ الحشا ينقضّ والعينُ ساجمَهْ
لَعَمْري، لقد كانوا مصاليتَ في الوَغى ... سراعاً إلى الهيجا حُماة خَضارِمَهْ
تأسَّوا على نصرِ ابنِ بنتِ نَبيّهمْ ... بأسيافِهم آساد غيلٍ ضراغِمَهْ
فإنْ يقتلوا في كلّ نفسٍ بقيّةً ... على الأرض قد أضحت لذلك واجمَهْ
وما إن رأى الرّاؤونَ أفضلَ منهُمُ ... لدى الموْتِ سادات وزُهر قماقِمَهْ
يُقتّلهمْ[٤] ظلماً ويرْجو ودادَنا ... فدَعْ خطّةً ليستْ لنا بملائمَهْ
لعمري لقد راغمتمونا[٥] بقَتلِهِمْ ... فكم ناقمٍ منّا عليكم وناقمَهْ
أهمُّ مراراً أن أسيرَ بجحْفَلٍ ... إلى فئةٍ زاغتْ عنِ الحقّ ظالمَهْ
فكُفّوا وإلاّ زِدتُكُم[٦] في كتائبٍ ... أشدّ عليكم من زحوفِ الدّيالمَهْ[٧]

وأقام ابن الحُرّ بمنزله على شاطىء الفرات إلى أن مات يزيد ووقعت الفتنة، فقال: ما أرى قريشاً تُنصِف[٨]، أين أبناء الحرائر؟ فأتاه كلّ خليع، ثمّ خرج إلى المدائن، فلم يدَعْ مالاً قُدم به للسلطان إلاّ أخذ منه عطاءه وعطاء أصحابه، ويكتب لصاحب المال بذلك، ثمّ جعل يتقصّى[٩] الكُوَرَ على مثل ذلك، إلاّ أنّه لم يتعرّض لمال أحدٍ ولا ذمّة[١٠]. فلم يزل كذلك حتّى ظهر المختارُ وسمع ما يعمل في السواد، فأخذ امرأته فحبسها، فأقبل عُبيد الله في أصحابه إلى الكوفة، فكسر باب السجن وأخرجها، وأخرج كلّ امرأةٍ فيه، وقال في ذلك:

ألم تَعلَمي يا أُمَّ تَوْبةَ أنّني ... أنا الفارسُ الحامي حقائقَ مَذْحِجِ

لذي جيرة أن لا يفارق لازمه

(١) في (آ) «تبارزوا»، وفي أنساب الأشراف: «تآزروا».
(٢) في (ب): «سقياً».
(٣) الشطر في أنساب الأشراف:
على نصره سَقْياً من الله دائمه
(٤) في الأوربية: «بقتلهم».
(٥) في الأوربية: «زاعمتمونا».
(٦) في الأوربية: «ذدتكم».
(٧) نهاية الأرب ٢١/٦٩، ٧٠، وفي أنساب الأشراف ٥/٢٩٢ (٤) أبيات ١ و٢ و٣ و٥.
(٨) في الأوربية: «ينصف».
(٩) في الأوربية: «يُنقِص».
(١٠) في نهاية الأرب ٢١/٧٠ «ولا دمه».

وأنّي صَبَحتُ السِّجنَ في سَوْرة الضُّحى ... بكلِّ فتًى حامي الذِّمارِ مُدَجَّجِ
فما إن بَرِحْنا[1] السجنَ حتّى بدا لَنا ... جَبينٌ كقَرْنِ الشمسِ غيرُ مُشنَّجِ
وخَدٌّ أسيلٌ عن فتاةٍ حَبيبَةٍ[2] ... إلَينا سَقاها كلُّ دانٍ مُشَجَّجِ[3]
فما العَيشُ إلاّ أنْ أزُورَكَ آمِناً ... كعادَتِنا مِن قبلِ حَرْبي ومُخرَجي
وما زلتُ محبُوساً لحبسِكِ واجِماً ... وإنّي بما تَلْقَيْنَ مِن بَعدِه شَجِ

وهي طويلة[4].

وجعل يعبث[5] بعمّال المختار وأصحابه، فأُحْرقتْ بهَمَذان داره، ونهبوا ضيعته، فسار عُبيد الله إلى ضِياع همذان، فنهبها جميعها، وكان يأتي المدائنَ فيمرّ بعمّال جُوخى، فيأخذ ما معهم من المال، ثمّ يميل إلى الجبل، فلم يزل على[6] ذلك حتّى قُتل المختار[7].

وقيل: إنّه بايع المختار بعد امتناع، وأراد المختارُ أن يسطو به، فامتنع لأجل إبراهيم بن الأشتر. ثمّ سار مع ابن الأشتر إلى الموصل، ولم يشهد معه قتالَ ابن زياد، أظهر المرض. ثمّ فارق ابنَ الأشتر وأقبل في ثلاثمائة إلى الأنبار، فأغار عليها، وأخذ ما في بيت مالها. فلمّا فعل ذلك أمر المختار بهدْم داره وأخذ امرأته، ففعل ما تقدّم ذِكره. وحضر مع مُصْعب قتال المختار وقتْله، فلمّا قُتل المختار قال الناس لمُصعب في ولايته الثانية: إنّا لا نأمن أن يثِب ابن الحُرّ بالسواد كما كان يفعل بابن زياد والمختار، فحبسه، فقال:

فمَنْ مُبلغُ الفتيانِ أنّ أخاهُمُ ... أتى دونَهُ بابٌ شديدٌ وحاجِبُهْ
بمَنزِلَةٍ ما كانَ يَرضَى بمِثلِها ... إذا قامَ عَنَّتْهُ كُبولٌ تُجاذِبُهْ[8]
على الساق فوْق الكعبِ أسوَدُ صامتٌ ... شديدٌ يُداني خَطوَهُ ويُقارِبُهْ
وما كان ذا من عُظْمِ جُرْمٍ جَرَمْتُه[9] ... ولكن سعى السّاعي بما هوَ كاذبُهْ

---

(١) الطبري: «برِحْن».
(٢) الطبري: «حيّة».
(٣) في (آ): «متشحج».
(٤) انظر بقيّتها في: تاريخ الطبري ٦/١٢٩، ١٣٠.
(٥) في الأوربية: «يبعث».
(٦) في الأوربية: «عن».
(٧) نهاية الأرب ٢١/٧٠، ٧١.
(٨) الطبري: «تُجاوِبُه».
(٩) الطبري: «جنيته».

وقد كان في الأرض العريضةِ مسلكٌ　　وأيُّ امرىءٍ ضاقتْ عليهِ مذاهبُهْ[1]

وقال:

بأيِّ بلاءٍ، أمْ بأيّة نعمةٍ　　تقدّم قبلي مسلمٌ والمهلّبُ؟

يعني مسلم بن عَمْرو والد قُتَيبة، والمهلّب بن أبي صُفْرَة.

وكلّم عُبيدُ الله قوماً من وجوه مَذحج ليشفعوا له إلى مُصْعب، وأرسل إلى فتيان مَذْحج وقال: البسوا السلاحَ واستروه، فإن شفَّعهم مُصْعب فلا تعترضوا لأحد، وإن خرجوا ولم يشفّعهم فاقصدوا السجن، فإنّي سأعينكم من داخل[2].

فلمّا شفع أولئك النفرُ فيه شفّعهم مُصْعب وأطلقه، فأتى منزله، وأتاه الناس يهنّئونه، فقال لهم: إنّ هذا الأمر لا يصلح إلاّ بمثل الخلفاء الماضين الأربعة، ولم نَرَ لهم فينا شبيهاً فنُلقي إليه أزِمّتنا، فإن كان مَنْ عزّ بزّ فعلامَ نعقد في أعناقنا بيعةً، وليسوا بأشجع منّا لقاءً ولا أعظمَ مناعةً، وقد قال رسول الله ﷺ: «لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الله تعالى»، وكلّهم عاصٍ مخالف قويّ الدنيا ضعيف الآخرة، فعلامَ تُستحلّ حُرمتنا ونحن أصحاب النُّخَيْلة والقادسيّة وجَلولاء ونهاوند، نلقى الأسِنّة بنُحورنا، والسيوف بجباهنا، ثمّ لا يُعْرَف حقّنا وفضلنا؟ فقاتلوا عن حريمكم، فإنّي قد قلبتُ ظهرَ المِجَنّ، وأظهرتُ لهم العداوة، ولا قوّة إلاّ بالله، وخرج عن الكوفة وحاربهم وأغار.

فأرسل إليه مُصْعبُ سيفَ بن هانىء المراديَّ، فعرض عليه خراجَ بادوريا وغيرها، ويدخل في الطاعة، فلم يُجِب إلى ذلك، فبعث إليه مُصْعبُ الأبردَ بن قُرّة الرياحيّ فقاتله، فهزمه عُبَيد الله وضربه على وجهه، فبعث إليه أيضاً حُرَيثَ بن يزيد، فقتله عُبيد الله، فبعث إليه مُصْعبُ الحجّاجَ بن جارية الخَثْعميَّ، ومسلمَ بن عَمْرو، فلقِياه بنهر صَرْصَر، فقاتلهما فهزمهما، فأرسل إليه مُصْعب يدعوه إلى الأمان والصّلة، وأن يولّيه أيَّ بلدٍ شاء، فلم يقبل، وأتى نَرسَى، ففرّ دِهْقانها بمال الفَلُّوجة، فتبِعه ابنُ الحُرّ حتى مرّ بعين تمر، وعليها بِسطام بن مَصْقلة بن هُبَيرة الشيباني، فالتجأ إليهم الدِّهْقان، فخرجوا إلى عُبيد الله فقاتلوه، ووافاهم الحجّاج بن جارية الخثعميّ، فحمل على عُبَيد الله، فأسره عُبيد الله، وأسر أيضاً بِسطامَ بن مَصْقَلة وناساً كثيراً، وبعث ناساً من أصحابه فأخذوا المال الذي مع الدِّهقان وأطلق الأسرى[3].

---

(١) الطبري ٦/١٣١ وزاد بيتاً:

وفي الدهر والأيام للمرء عِبرةٌ　　وفيما مضى إن ناب يوماً نوائبُهْ

(٢) نهاية الأرب ٢١/٧١.

(٣) الطبري ٦/١٣١، ١٣٢.

ثمّ إنّ عبيد الله أتَى تَكْريت، فأقام يجبي الخراج، فبعث إليه مُصْعبُ الأبردَ بن قُرّة الرّياحيّ، والجَوْنَ بن كَعب الهمْدانيَّ في ألف، وأمدّهم المهلّب بيزيد بن المغفّل في خمسمائة، فقال لعُبيد الله رجلٌ من أصحابه: قد أتاك جمْعٌ كثير فلا تقاتلْهم. فقال:

يُخَوّفُني بالقَتلِ قَومي وإنّما | أموتُ إذا جاء الكتابُ المُؤجَّلُ
لعلّ القَنا تُدني[1] بأطرافِها الغِنَى[2] | فنحيا كراماً أوْ نَكُرّ فَنُقْتَلُ[3]
ألم تَرَ أنّ الفَقرَ يُزري بأهلِهِ | وأنّ الغنى فيه العُلى والتجمُّلُ
وإنّكَ إلاّ تركبِ النهولَ لا تنلْ | من المالِ ما يُرْضي الصّديقَ ويفضلُ[4]

وقاتلهم عُبيد الله يومَين وهو في ثلاثمائة، ولما كان عند المساء تحاجزوا، وخرج عُبيدُ الله من تِكْريت وقال لأصحابه: إنّي سائر بكم إلى عبد الملك بن مروان فتجهّزوا، وقال: إنّي خائفٌ أن أموتَ ولم أُذْعَرْ مُصْعباً وأصحابه. وسار نحو الكوفة فبلغ كَسْكر، فأخذ بيتَ مالها، ثمّ أتَى الكوفة فنزل بحمّام جرير، فبعث إليه مُصْعبُ عمرَ بن عُبيد الله بن مَعْمَر فقاتله، (فخرج إلى دَيْر الأعور، فبعث إليه مُصْعَبُ حجّارَ بن أبْجر، فانهزم حجّار، فشتمه مُصْعبُ، وضمّ إليه الجَوْنَ بن كعب الهمدانيَّ، وعمر بن عُبيد الله بن مَعْمَر، فقاتلوه)[5] بأجمعهم، وكثُرت الجراحات في عسكر عُبيد الله بن الحُرّ، وعُقرت خيولهم، فانهزم حجّار، ثمّ رجع فاقتتلوا قتالاً شديداً حتّى أمسوا، وخرج ابن الحُرّ من الكوفة[6].

وكتب مُصْعَبُ إلى يزيد بن الحارث بن رُوَيْم الشيبانيّ، وهو بالمدائن، يأمره بقتال ابن الحُرّ، فقدّم ابنَه حَوْشباً، فلقِيه بباجِسْرى، فهزمه عُبيد الله وقتل فيهم، وأقبل ابن الحُرّ إلى المدائن فتحصّنوا منه، فخرج عُبيد الله فوجّه إليه الجَوْنَ بن كَعب الهمدانيَّ، وبِشْرَ بن عبد الله الأسديَّ، فنزل الجَوْنُ بحَوْلايا، وقدم بِشْر إلى تامَرّا فلقي ابن الحرّ، فقتله ابن الحرّ وهزم أصحابه، ثمّ لقي الجَوْنَ بن كعب بحَوْلايا، فخرج إليه عبد الرحمن بن عبد الله، فقتله ابن الحرّ وهزم أصحابه، وخرج إليه بشير بن عبد الرحمن بن بشير العِجْليّ، فقاتله بسُوراء قتالاً شديداً، فرجع عنه بشير، وأقام ابنُ

---

(١) في الأوربية: «تدلي».
(٢) في (ر): «القنى».
(٣) في الأوربية: «فنجدي كراماً نجتدي ونُؤمّلُ»
(٤) أورد الطبري ٦/١٣٣ البيتين الأولين فقط. وهي في: أنساب الأشراف ٥/٢٩٦.
(٥) ما بين القوسين من (ب).
(٦) الطبري ٦/١٣٤.

الحُرّ بالسواد يُغير ويجبي الخراج[1].

ثمّ لحِق بعبد الملك بن مروان، فلمّا صار إليه أكرمه وأجلسه معه على السرير، وأعطاه مائة ألف درهم، وأعطى أصحابَه مالاً، فقال له ابن الحرّ ليوجّه معه جُنداً يقاتل بهم مُصْعباً، فقال له: سِرْ بأصحابك وادعُ مَنْ قدرتَ عليه، وأنا مُمِدُّك بالرجال.

فسار بأصحابه نحو الكوفة، فنزل بقريةٍ إلى جانب الأنبار، فاستأذنه أصحابُه في إتيان الكوفة، فأذِن لهم، وأمرهم أن يُخْبروا أصحابه بقدومه ليخرجوا إليه، فبلغ ذلك القيسيّةَ، فأتوا الحارث بن أبي ربيعة عامل ابن الزّبير بالكوفة، فسألوه أن يرسل معهم جيشاً يقاتلون عُبيد الله ويغتنمون الفرصة فيه بتفرّق أصحابه، فبعث معهم جيشاً كثيفاً، فساروا فلقوا ابن الحرّ، فقال لابن الحرّ أصحابه: نحن نفرٌ يسيرٌ، وهذا الجيش لا طاقة لنا فيه. فقال: ما كنتُ لأدعهم، وحمل عليهم وهو يقول:

يا لكَ يوْماً فاتَ فيه نَهبي وغابَ عني ثقتي وصحبي[2]

ثمّ عطفوا عليه فكشفوا أصحابه وحاولوا أن يأسروه، فلم يقدروا على ذلك، وأذِن لأصحابه في الذهاب، فذهبوا فلم يعرض لهم أحد، وجعل يقاتل وحده، فحمل عليه رجل من باهلة يكنّى أبا كدية فطعنه، وجعلوا يرمونه، ويكتّبون عليه، ولا يدنون منه، وهو يقول: أهذه نَبْلٌ أم مغازل؟ فلمّا أثخنته الجراح خاض إلى معبر هناك، فدخله ولم يدخل فرسه، فركب السفينة ومضى به الملاّح حتّى توسّط الفرات، فأشرفت عليه الخيلُ، وكان معه في السفينة نَبَطٌ، فقالوا لهم: إنّ في السفينة طَلِبة أمير المؤمنين، فإن فاتكم قتلناكم، فوثب ابن الحُرّ ليرمي نفسه في الماء، فوثب إليه رجل عظيم الخَلْق، فقبض على يديه وجراحاته تجري دماً، وضربه الباقون بالمجاذيف، فلمّا رأى أنّه يُقصَدُ به نحوَ القيسيّة قبض على الذي معه، وألقى نفسه معه في الماء فغرقا[3].

وقيل في قتله: إنّه كان يغشى مُصْعب بن الزّبير بالكوفة، فرآه يقدّم عليه غيره، فكتب إلى عبد الله بن الزّبير قصيدةً يعاتب فيها مُصْعباً ويخوّفه مسيره إلى ابن مروان يقول فيها:

أبلِغْ أميرَ المُؤمنينَ رِسالَةً فلَستُ على رَأيٍ قَبيحٍ أُوارِبُهْ

---

(١) الطبري ٦/١٣٤، ١٣٥، نهاية الأرب ٢١/٧٣.
(٢) نهاية الأرب ٢١/٧٤.
(٣) الطبري ٦/١٣٥، نهاية الأرب ٢١/٧٤.

أفي الحقّ أن أُجفى[1] ويَجعـل مُصعبٌ[2]	وزيـراً لـه مَن كنتُ فيـهِ أُحـارِبُـهْ[3]
فكيفَ وقـد آتيتُكم[4] حقّ بيعتي	وحَقّي يُلوّى عنـدكـم وأُطـالِبُـهْ
وأبـليتُـكُمْ مـا لا[5] يُضيَّع مثلُهُ	وآسيتُكم والأمـرُ صَعبٌ مَـراتبُـهْ
فلمّـا استنـارَ الملكُ وانقـادتِ العِـدَى	وأُدرِكَ مـن مَـلْك[6] الـعـراقِ رَغـائبُـهْ
جفـا مُصْعبٌ عنّي ولـوْ كـان غيـرهُ	لأصبَـحَ فيمـا بَينَنـا لا أُعـاتِبُـهْ
لقـد رابني من مُصْعبٍ أنّ مُصْعَبـاً	أرَى كـلَّ ذي غِشّ لنـا هـوَ صـاحبُـهْ
ومـا أنـا إنْ حَـلأتُـمـونـي[7] بـوارِدٍ	على كَـدَرٍ[8] قد غُصّ بـالماء[9] شـارِبُـهْ
ومـا لامـرِىءٍ إلاّ الّـذي الـلّهُ سـائِقٌ	إلَيـه ومـا قـد خَطّ في الـزَّبْـرِ كـاتبُـهْ
إذا قمتُ عنـد البابِ أدخـلَ مسلمـاً[10]	ويمنعني أن أدخـلَ البـابَ حـاجبُـهْ[11]

فحبسه مُصْعب، وله معه معاتبات من الحبس، ثمّ إنّه قـال قصيدة يهجـو فيها قيس عَيْلان، منها:

ألم تَـرَ قيسـاً قيسَ عَيْـلان بَـرْقعَتْ	لِحاهـا وبـاعَتْ نَبلَها بـالمَغازِلِ[12]

فـأرسل زُفَـرُ بن الحارث الكـلائيّ إلى مُصْعب: إنّي قد كفيتُـك قتال ابن الـزرقاء، يعني عبد الملك بن مروان، وابن الحُرّ يهجو قيسـاً، ثمّ إنّ نفراً من بني سُلَيْم أسـروا ابنَ الحُرّ، فقال: إنّما قلتُ:

---

(١) في (آ) و (ر): «أخفى».
(٢) في (ب): «مصعباً».
(٣) الطبري:

«وزيـرَه مـن قـد كـنـت فـيـه أُحـاربـه»

(٤) في (آ) و (ر): «أبليتكم»، وكذلك عند الطبري.
(٥) الطبري: «مالاً».
(٦) في (ر) و (آ) والطبري: «مال».
(٧) في الأوربية: «خلّيتموني».
(٨) في (آ) و (ر): «قذر».
(٩) الطبري: «بالصفو».
(١٠) الطبري: «مسلم».
(١١) الطبري ١٣٦/٦، نهاية الأرب ٧٥/٢١، وورد السابع والأخير فقط في أنساب الأشراف ٨٧/٥، باختلاف الألفاظ.
(١٢) الطبري ١٣٧/٦، نهاية الأرب ٧٦/٢١.

ألـم تَـرَ قَيسـاً قيسَ عَيـلانَ أقبَـلَتْ[1]   وسـارَتْ إلَينـا في القَنـا والقنـابـلِ[2]

فقتله رجلٌ منهم يقال له عيّاش[3].

ذكر عدّة حوادث

قيل: في هذه السنة وافى عرفات أربعةُ ألوية: لـواءٌ لابن الحنفيّة وأصحـابه، ولـواءٌ لابن الزّبير وأصحابه، ولواءٌ لبني أميّة، ولواءٌ لنجْدة الحَروريّ، ولم يجرِ بينهم حـربٌ ولا فتنة، وكان أصحاب ابن الحنفيّة أسلم الجماعة[4].

وكان العامل لابن الزّبير على المدينة هذه السنة جابر بن الأسود بن عوف الزُّهْـريُّ، وعلى البصـرة والكوفـة مُصْعب أخوه، وعلى قضـاء الكوفـة عبد الله بن عُتْبـة بن مسعود، وعلى قضـاء البصـرة هشـام بن هُبَيـرة، وعلى خُـراسـان عبـد الله بن خـازم، وكـان عبد الملك بن مروان بالشام مشاقاً لابن الزّبير[5].

[الوَفَيَات]

ومات عبد الله بن عبّاس[6] سنة ثمان وستّين وعُمره أربـع وسبعون سنـة، وقيل غيـر ذلك وفيها مات عديّ بن حاتم[7] الطائيُّ، وقيل: سنة ستّ وستّين، وعُمره مائة وعشرون سنة. ومات أبو واقد الليثيُّ[8] واسمه الحارث بن مالك وفيهـا توفّي أبـو شُرَيْـح الخُزاعيّ[9] واسمه خُوَيْلد بن عَمْرو، وهو الكعبيُّ.

(شُرَيح: بالشين المعجمة).

---

(١) في هامش (آ) «برقعت».

(٢) الطبري ٦/١٣٧ وفيه:

إليـنـا وسـارت بـالـقـنـا والـقـنـابـل

وفي الأوربية: «والقبائل».

(٣) في (ر) و(آ): «عباس».

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٦٨، الطبري ٦/١٣٨، ١٣٩، نهاية الأرب ٢١/٧٦، ٧٧، شفاء الغرام ٢/٣٤٠ (حوادث سنة ٦٦ هـ.).

(٥) الطبري ٦/١٣٩، نهاية الأرب ٢١/٧٦، ٧٧.

(٦) انظر عن (عبد الله بن عباس) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ١٤٨ رقم ٥٤ وفيه مصادر ترجمته.

(٧) انظر عن (عديّ بن حاتم) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ١٨١ رقم ٦٩ وفيه مصادر ترجمته.

(٨) انظر عن (أبي واقد الليثي) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٢٩٩ رقم ١٣٤ وفيه مصادر ترجمته.

(٩) انظر عن (أبي شريح الخزاعي) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٢٨٨ رقم ١٢٩ وفيه مصادر ترجمته.

وعبد الرحمن بن حاطب[1] بن أبي بَلْتعة، وقيل: إنّه وُلد زمن النبيّ ﷺ.

(حاطب: بالحاء المهملة. وبَلْتَعَة: بالباء الموحدة، والتّاء المثنّاة من فوق، والعين المهملة المفتوحات).

(١) انظر عن (عبد الرحمن بن حاطب) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ١٧١ رقم ٦١ وفيه مصادر ترجمته.

٦٩
ثم دخلت سنة تسع وستين

ذكر قتل عَمْرو بن سعيد الأشْدق

في هذه السنة خالف عَمرُو بن سعيد عبدَ الملك بن مروان وغلب على دمشق فقتله. وقيل: كانت هذه الحادثة سنة سبعين.

وكان السبب في ذلك أنّ عبد الملك بن مروان أقام بدمشق بعد رجوعه من قِنَّسْرين ما شاء الله أن يقيم، ثمّ سار يريد قَرْقِيسيا وبها زُفَر بن الحارث الكلائيُّ، وكان عَمْرو بن سعيد مع عبد الملك، فلمّا بلغ بُطنان حبيب[1] رجع عَمْرو ليلاً ومعه حُمَيْد بن حُرَيْث الكلبيُّ، وزُهَير بن الأبرد الكلبيُّ، فأتَى دمشق وعليها عبد الرحمن بن أمّ الحكم الثقفيّ قد استخلفه عبد الملك، فلمّا بلغه رجوع عَمرو بن سعيد هرب عنها، ودخلها عَمْرو، فغلب عليها وعلى خزائنها[2]، وهدم دار ابن أمّ الحكَم، واجتمع الناس إليه فخَطَبَهم ومنّاهم ووعدهم.

وأصبح عبد الملك وفقد عَمراً، فسأل عنه فأُخبر[3] خبره، فرجع إلى دمشق فقاتله أيّاماً، وكان عَمْرو إذا أخرج حُمَيْدَ بن حُريث على الخيل أخرج إليه عبدُ الملك سُفيانَ بن الأبْرد الكلبيَّ، وإذا أخرج عَمرٌو زُهَيرَ بن الأبرد أخرج إليه عبدُ الملك حَسّانَ بن مالك بن بَحْدل.

ثمّ إنّ عبد الملك وعَمراً اصطلحا وكتبا بينهما كتاباً وآمنه عبد الملك، فخرج عَمْرو في الخيل إلى عبد الملك، فأقبل حتّى أوطأ فرسه أطناب عبد الملك، فانقطعت وسقط السُّرادق، ثمّ دخل على عبد الملك فاجتمعا.

ودخل عبد الملك دمشق يوم الخميس، فلمّا كان بعد دخول عبد الملك بأربعة أيّام

---

(١) في الأوربية: «حلب».
(٢) في الأوربية: «خزائنه». والخبر عند الطبري ٦/ ١٤٠.
(٣) في الأوربية: «فاخرجه».

أرسل إلى عَمْرو أن ائتني، وقد كان عبد الملك استشار كُرَيب[1] بن أبرهة[2] الحِمْيريَّ في قتل عَمْرو، فقال: لا ناقة لي في هذا ولا جمل، في مثل هذا هلكتْ حِمْير.

فلمّا أتى الرسولُ عَمراً يدعوه صادف عنده عبدَ الله بن يزيد بن معاوية، فقال لعَمْرو: يا أبا أميّة أنتَ أحبّ إليّ من سمعي ومن بصري، وأرى لك أن لا تأتيه. فقال عَمْرو: لِمَ؟ قال: لأنّ تُبيع ابن امرأة كعب الأحبار قال: إنّ عظيماً من ولد إسماعيل يرجع فيغلق أبواب دمشق، ثمّ يخرج منها، فلا يلبثْ أن يُقْتَل. فقال عَمْرو: والله لو كنت نائماً ما انتهبني ابن الزّرقاء ولا اجترأ عليّ، أما إنّي رأيتُ عثمان البارحة في المنام فألبسني قميصه. وكان عبد الله بن يزيد زوج ابنة عَمْرو. ثمّ قال عمرو للرسول: أنا رائح العشيّة.

فلمّا كان العشاء لبس عَمْرو درعاً، ولبس عليها القَباء، وتقلّد سيفه وعنده حُمَيْد بن حُرَيث الكلبيُّ، فلمّا نهض متوجّهاً عثر بالبساط، فقال له حُمَيد: والله لو أطعتني لم تأتِه. وقالت له امرأته الكلبيّة كذلك، فلم يلتفت ومضى في مائة من مواليه[3].

وقد جمع عبد الملك عنده بني مروان، فلمّا بلغ الباب أذِن له، فدخل، فلم يزل أصحابه يُحْبَسون عند كلّ باب حتّى بلغ قارعة[4] الدار، وما معه إلاّ وصيف[5] له، فنظر عَمْرو إلى عبد الملك وإذا حوله بنو مروان، وحسّان بن بَحْدل الكلبيُّ، وقَبيصة بن ذُؤيب الخُزاعيُّ، فلمّا رأى جماعتهم أحسّ بالشرّ، فالتفت إلى وصيفه وقال: انطلقْ إلى أخي يحيَى فقلْ له يأتِني، فلم يفهم الوصيف فقال له: لبّيكِ! فقال عَمرو: اغرُب عنّي في حرق الله وناره! وأذِن عبد الملك لحسّان وقَبيصة، فقاما فلقِيا عَمراً في الدار، فقال عَمْرو لوصيفه: انطلقْ إلى يحيَى فمُرْه أن يأتيني. فقال: لبّيك! فقال عَمرو: اغرُب عنّي.

فلمّا خرج حسّان وقَبيصة أُغْلِقت الأبواب ودخل عَمرو، فرحّب به عبدُ الملك وقال: ها هنا ها هنا يا أبا أميّة! فأجلسه معه على السرير، وجعل يحادثه طويلاً، ثمّ قال: يا غلام خذ السيف عنه. فقال عَمْرو: إنّا لله يا أمير المؤمنين. فقال عبد الملك: أتطمع أن تجلس معي متقلّداً سيفك؟ فأخذ السيف عنه، ثمّ تحدّثا، ثمّ قال له عبد الملك: يا أبا أميّة، إنّك حيث خلعتني آليتُ بيمين إن أنا ملأتُ عيني منك وأنا مالكٌ لك أن أجعلك في جامعة. فقال له بنو مروان: ثمّ[6] تطلقه يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم، وما عسيت أن

---

(١) في الأوربية: «كرنب».
(٢) في (ر): «إبراهيم».
(٣) الطبري ٦/١٤١، ١٤٢، نهاية الأرب ٢١/١٠١.
(٤) في (ب): «قاعة».
(٥) في الأوربية: «وصيفاً».
(٦) في الأوربية: «لم».

أصنع بأبي أميّة؟ فقال بنو مروان: أبرّ قسم أمير المؤمنين. فقال عَمْرو: قد أبرّ الله قَسَمَك يا أمير المؤمنين.

فأخرج من تحت فراشه جامعة وقال: يا غلام قمْ فاجمعه فيها. فقام الغلام فجمعه فيها. فقال عَمْرو: أذكرك الله يا أمير المؤمنين أن[1] تخرجني فيها على رؤوس الناس. فقال عبد الملك: أَمَكْراً يا أبا أميّة عند الموت؟ لا والله ما كنّا لِنُخْرجَك في جامعةٍ على رؤوس الناس. ثمّ جذبه جذبةً أصاب فمه السرير، فكسر ثنيَّتيه[2]. فقال عمرو: أذكرك الله يا أمير المؤمنين كسْرَ عظْمٍ منّي، فلا تركب ما هو أعظم من ذلك. فقال له عبد الملك: والله لو أعلم أنّك تُبقي عليّ [إنْ] أنا أبقيتُ عليك وتصلح قريش لأطلقتُك، ولكن ما اجتمع رجلان في بلدةٍ قطّ على ما نحن عليه إلّا أخرج أحدهما صاحبه[3]. فلمّا رأى عَمرو أنّه يريد قتله قال: أَغَدْراً[4] يا ابن الزّرقاء!

وقيل: إنّ عَمراً لما سقطت ثنيّتاه جعل يمسّهما، فقال عبد الملك: يا عَمْرو أرى ثنيّتَيك قد وقعتا منك موقعاً لا تطيب نفسك بعده[5].

وأذّن المؤذّن العصر، فخرج عبد الملك يصلّي بالناس، وأمر أخاه عبد العزيز أن يقتله، فقام إليه عبد العزيز بالسيف، فقال عَمرو: اذكرك الله والرحم أن تليَ قتلي، ليقتلني مَنْ هو أبعد رَحِماً منك. فألقى السيف وجلس، وصلّى عبد الملك صلاة خفيفة، ودخل وغُلّقت الأبواب. ورأى الناس عبد الملك حين خرج وليس معه عَمْرو، فذكروا ذلك ليحيَى بن سعيد، فأقبل في الناس ومعه ألف عبد لعَمرو، وناسٌ من أصحابه كثير، فجعلوا يصيحون بباب عبد الملك: أَسمعنا صوتك يا أبا أميّة[6]! فأقبل مع يحيَى حُمَيْد بن حُرَيث، وزُهَير بن الأبرد، فكسروا باب المقصورة، وضربوا الناسَ بالسيوف، وضرب الوليد بن عبد الملك على رأسه، واحتمله إبراهيم بن عربيّ صاحب الديوان، فأدخله بيت القراطيس.

ودخل عبد الملك حين صلّى فرأى عَمراً بالحياة، فقال لعبد العزيز: ما منعك أن تقتله؟ فقال: إنّه ناشدني الله والرَّحِم فرققتُ له. فقال له: أخزى الله أمّك البوّالة على

---

(١) في (ر): أن لا.

(٢) في أنساب الأشراف: «ثنيّته».

(٣) أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/٤٤٧، ٤٤٨، البصائر والذخائر ١/٢١.

(٤) في الأوربية: «أعذر».

(٥) في الأوربية: «نفسك لي بعدها».

(٦) أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/٤٤٥ رقم ١١٣٥.

عقبَيْها، فإنّك لم تُشبه غيرها! ثمّ أخذ عبد الملك الحربة، فطعن بها عَمراً فلم تجزْ، ثمّ ثنّى فلم تجزْ، فضرب بيده على عضُده، فرأى الدّرع فقال: ودرع أيضاً؟ إن كنت لمُعِدّاً! فأخذ الصمصامة وأمر بعَمرو فصُرع، وجلس على صدره فذبحه وهو يقول:

يــا عَمــرو إن لا تــدَعْ شَتْمي ومنقصتي   أضـربْـكَ حيثُ تقولُ الهـامـةُ اسقـوني[1]

وانتفض عبد الملك رِعدة، فحُمل عن صدره فوُضع على سريره، وقال: ما رأيتُ مثل هذا قطّ، قَتَله صاحبُ دنيا ولا طالب آخرة[2].

ودخل يحيَى ومَن معه على بني مروان يُخْرجهم ومَن كان من مواليهم، فقاتلوا يحيَى وأصحابه، وجاء عبدُ الرحمن بن أمّ الحكم الثقفيُّ، فدفع إليه الرأس، فألقاه إلى الناس، وقام عبد العزيز بن مروان وأخذ المال في البِدَر، فجعل يُلقيها إلى الناس، فلمّا رأى الناسُ الرأسَ والأموال (انتهبوا الأموالَ وتفرّقوا)[3]، ثمّ أمر عبد الملك بتلك الأموال فجُبيت[4] حتّى عادت إلى بيت المال.

وقيل: إنّ عبد الملك إنّما أمر بقتل عَمْرو حين خرج إلى الصلاة غلامَه أبا الزُّعَيْزِعَة[5]، فقتله وألقى رأسه إلى الناس، ورُميَ يحيَى بصخرة في رأسه، وأخرج عبدُ الملك سريره إلى المسجد، وخرج وجلس عليه، وفقد الوليد ابنه فقال: والله لئن[6] كانوا قتلوه لقد أدركوا ثأرهم. فأتاه إبراهيم بن عربي الكنانيّ، فقال: الوليدُ عندي، وقد جُرح وليس عليه بأس.

وأُتي عبد الملك بيحيَى بن سعيد، وأمر به أن يُقتَل، فقام إليه عبد العزيز بن مروان فقال: جُعلتُ فداك يا أمير المؤمنين! أتراك قاتلاً بني أميّة في يوم واحد! فأمر بيحيَى فحُبس. وأراد قتل عنبسة بن سعيد، فشفع فيه عبد العزيز أيضاً، وأراد قتل عامر بن الأسود الكلبيّ، فشفع فيه عبد العزيز، وأمر ببني عَمْرو بن سعيد فحُبسوا، ثمّ أخرجهم مع عمّهم يحيَى فألحقهم بمُصْعب بن الزّبير[7].

---

(١) القول لذي الإصبع، في المفضّليّات ٣١، وتاريخ الطبري ٦/١٤٥، ونهاية الأرب ٢١/١٠٤.
(٢) الطبري ٦/١٤١ ـ ١٤٥.
(٣) في الأوربية: «تفرّقوا وانتهبوا».
(٤) في الأوربية: «فجئت».
(٥) في طبعة صادر ٤/٣٠١ «ابن الزعيريّة»، والتصحيح من: تاريخ الطبري ٦/١٤٥، وأنساب الأشراف ج ٤ ق ١/٤٤٥ رقم ١١٣٥.
(٦) في الأوربية: «وإن».
(٧) الطبري ٦/١٤٦.

ثمّ بعث عبد الملك إلى امرأة عَمْـرو الكلبيّة: ابعثي إليّ كتـاب الصلح الذي كتبتـه لعَمرو. فقالت لرسوله: ارجع فأعْلمه أنّ ذلك الصلح معه في أكفانه ليخاصمك عند ربّه. وكـان عبـد الملك وعَمـرو يلتقيـان في النَّسَب في أميّـة، هـذا عبـد الملك بن مـروان بن الحَكَم بن أبي العاص بن أميّة، وذاك عَمْرو بن سعيد بن العاص بن أميّة، وكانت أمّ عَمْرو أمّ البنين بنت الحكَم عمّة عبد الملك.

فلمّـا قتـل عبدُ الملك مُصْعبـاً، واجتمـع النـاس عليـه، دخـل أولاد عَمْـرو على عبد الملك، وهم أربعة: أميّة، وسعيد، وإسماعيل، ومحمّد، فلمّا نـظر إليـهم قال لهم: إنّكم أهـل بيت لم تزالـوا ترون لكم على جميـع قـومكم فضـلاً لم يجعله الله لكم، وإنّ الـذي كـان بيني وبين أبيكم لم يكن حـديثـاً، ولكن كـان قـديمـاً في أنفُس أوّليكم على أوّلينا[١] في الجاهليّة، فأقطع بأميّة، وكان أكبرهم، فلم يقدر أن يتكلّم.

فقام سعيد بن عَمْرو وكان الأوسط، فقال: يا أمير المؤمنين ما تَنْعَى[٢] علينا أمراً كان في الجاهليّة، وقد جاء الله بالإسلام فهـدم ذلك ووعـد جنّةً وحـذّر ناراً، وأمّـا الذي كـان بينك وبين عَمرو، فإنّه كـان ابن عمّك، وأنتَ أعلم بمـا[٣] صنعتَ، وقد وصـل عَمرو إلى الله، وكفى بالله حسيباً، ولَعَمْري لئن أخذتنا بما[٣] كـان بينك وبينـه لبطنُ الأرض خيـرٌ لنا من ظهـرهـا[٤]. فـرقّ لهم عبـد الملك وقـال: إنّ أبـاكم خيّـرني بين أن يقتلني أو أقتله، فاخترتُ قتله على قتلي، وأمّا أنتم فما أرغبني فيكم وأوصلني لقرابتكم! وأحسن جائـزتهم ووصلهم وقرّبهم[٥].

وقيل: إنّ خالد بن يزيد قال لعبد الملك ذات يوم: عجبتُ كيف أصبتَ غِرّة عَمرو. فقال عبد الملك:

أدنيتُـه منّـي ليَسكـن رُوعُـهُ[٦] ... فـأصُولَ صَوْلَـةَ حـازمٍ مُسْتَمْكِنِ[٧]

غضَبـاً ومَـحمِيَـةً لِـديني إنّـهُ ... ليس المُسيءُ سبيلُه كـالمُحسـنِ[٨]

---

(١) في الأوربية: «أوليائكم على أوليائنا».

(٢) في الأوربية: «تبغي».

(٣) في الأوربية: «ما».

(٤) في الأوربية: «ظهره».

(٥) الطبري ١٤٧/٦، ١٤٨.

(٦) في تاريخ خليفة: «لآمَن مكره»، وفي أنساب الأشراف: «ليسكن نفْرُه».

(٧) في الأوربية:

آذيتُـه مـنـي لـيسكـن رُوعـه ... وأصـول صـولـة حـازم متـمـكّن

(٨) الطبري ١٤٨/٦، تاريخ خليفة ٢٦٦ (في حوادث سنة ٧٠ هـ.)، أنساب الأشراف ج ٤ ق ٤٤٧/١ و ٤٥١.

وقيل: إنّما خَلْعُ عَمْرٍو وقَتْلُه حين سار عبد الملك نحو العراق لقتال مُصْعب، فقال له عَمْرو: إنّك تخرجُ إلى العراق، وقد كان أبوك جعل لي هذا الأمر بعده، وعلى ذلك قاتلتُ معه، فاجعلْ هذا الأمر لي بعدك، فلم يُجِبْه عبد الملك إلى ذلك، فرجع إلى دمشق، وكان من قتْله ما تقدّم.

وقيل: بل كان عبد الملك قد استخلف عَمراً على دمشق، فخالفه وتحصّن بها، والله أعلم.

ولما سمع عبد الله بن الزّبير بقتل عَمْرو قال: إنّ ابن الزّرقاء قتل لطيم الشيطان، ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1]، وبلغ ذلك ابن الحنفيّة فقال: ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾[2]، يُرفع له يوم القيامة لواءٌ على قدر غدرته.

ذكر عصيان الجراجمة بالشام

لما امتنع عَمْرو بن سعيد على عبد الملك خرج أيضاً قائدٌ من قوّاد الضواحي في جبل اللُّكّام، واتّبعه خلقٌ كثير من الجراجمة والأنباط وأُبّاق عبيد المسلمين وغيرهم، ثمّ سار إلى لبنان[3]، فلمّا فرغ عبد الملك من عَمْرو أرسل إلى هذا الخارج عليه، فبذل له كلّ جُمْعَة ألفَ دينار، فركن إلى ذلك ولم يُفسد في البلاد، ثمّ وضع عليه عبدُ الملك سُحَيْمَ بن المهاجر، فتلطّف حتّى وصل إليه متنكّراً، فأظهر له ممالأته، وذمّ عبد الملك وشتمه، ووعده أن يدلّه على عوراته وما هو خير له من الصُّلح. فوثق به. ثمّ إنّ سُحَيْماً عطف عليه وعلى أصحابه وهم غارّون غافلون بجيش مع موالي عبد الملك وبني أميّة وجُنْدٍ من ثقات جُنده وشجعانهم كان أعدّهم بمكان خفيّ قريب، وأمر فنودي: مَنْ أتانا من العبيد، يعني الذين كانوا معه، فهو حرٌّ ويُثبَّت في الديوان، فانفضّ إليه خلقٌ كثير منهم، فكانوا ممّن قاتل معه، فقتل الخارج ومَن أعانه من الروم، وقُتل نفرٌ من الجراجمة والأنباط، ونادى المنادي بالأمان فيمن لقي منهم، فتفرّقوا في قُراهم وسدّ الخلل، وعاد إلى عبد الملك ووفَى للعبيد[4].

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١٢٩.

(٢) سورة الفتح، الآية ١٠.

(٣) في الأوربية: «البنان».

(٤) انظر خبر عصيان الجراجمة في: فتوح البلدان للبلاذري ١/ ١٩٠، وأنساب الأشراف، له ٥/ ٣٠٠، وبغية الطلب لابن العديم (المخطوط) ٧/ ٢١٣ و ٢١٩، ٢٢٠، وتاريخ دمشق لابن عساكر (مخطوطة التيمورية) ١٥/ ١٢٠ - ١٢٢ و١٢/ ٥٩٥، وتهذيب تاريخ دمشق ٦/ ٦٥، ٦٦، ونهاية الأرب للنويري ٢١/ ١٠٨، ١٠٩، وخطط الشام لمحمد كرد علي ١/ ١٤٩، ١٥٠، وتاريخ الأمة العربية للدكتور محمد أسعد اطلس =

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة قُتل زُهير بن قيس[1] أمير إفريقية، وقد ذكرنا ذلك سنة اثنتين وستّين. وفيها حكّم رجل من الخوارج بِمنًى وسلّ سيفه، وكانوا جماعة، فأمسك الله أيديهم، فقُتل ذلك الرجل عند الجمرة[2].

وحجّ بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزّبير[3]، وكان على البصرة والكوفة له أخوه مُصْعب، وعلى قضاء الكوفة شُرَيْح، وعلى قضاء البصرة هشام بن هُبَيرة، وعلى خُراسان عبد الله بن خازم[4].

[الوَفَيات]

وفيها توفّي أبو الأسود الدُّؤَلي[5]، وله خمسٌ وثمانون سنة.

= ١٠٣، ١٠٤، والحدود الإسلامية البيزنطية لفتحي عثمان ٣٦٢/١، وكتابنا: تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور (الطبعة الثانية) ١٢٩/١ - ١٣٤، وكتابنا: لبنان من الفتح الإسلامي حتى سقوط الدولة الأموية ١٠٨ - ١١٥.

(١) انظر عن (زهير بن قيس) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ٤٠٤ رقم ١٧٠ وفيه مصادر ترجمته.

(٢) الطبري ١٤٨/٦، ١٤٩، نهاية الأرب ٧٧/٢١.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢٦٨/٢، المعرفة والتاريخ ٣٣١/٣، ٣٣٢، المحبّر ٢٢، تاريخ الطبري ١٤٩/٦، مروج الذهب ٣٩٨/٣، تاريخ العظيمي ١٨٩، نهاية الأرب ٧٧/٢١، البداية والنهاية ٣١٢/٨، شفاء الغرام ٣٤٠/٢، تاريخ دمشق ٤٥٤ و ٤٥٥، مآثر الإنافة ١٢٣/١.

(٤) الطبري ١٤٩/٦.

(٥) انظر عن (أبي الأسود الدؤلي) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٢٧٦ رقم ١٢٤ وفيه مصادر ترجمته.

٧٠
ثم دخلت سنة سبعين

في هذه السنة اجتمعت الروم واستجاشوا على مَنْ بالشام، فصالح عبد الملك ملكهم على أن يؤدّي إليه كلّ جمعة ألف دينار خوفاً منه على المسلمين[١].

وفيها شخص مصعبٌ إلى مكّة، في قول بعضهم، ومعه أموال كثيرة ودوابّ كثيرة، قسمها[٢] في قومه وغيرهم، ونهض ونحر بُدناً كثيرة[٣].

وحجّ بالناس هذه السنة عبد الله بن الزبير[٤]، وكان عُمّاله فيها مَنْ تقدّم ذكرهم[٥].

ذكر يوم الجُفْرة

وفي هذه السنة سار عبد الملك بن مروان يريد مُصْعَباً، فقال له خالد بن عبد الله بن خالد بن أَسِيد: إن وجّهتَني إلى البصرة وأتبعتني خيلًا يسيرة رجوتُ أن أغلب لك عليها. فوجّهه عبد الملك، فقدِمَها مستخفياً في خاصّته حتّى نزل على عَمْرو بن أصمع[٦]، وقيل: نزل على عليّ بن أُصمع الباهليّ، فأرسل عَمرو إلى عَبّاد بن الحُصَين، وهو على شُرطة ابن مَعْمَر، وكان مُصْعب قد استخلفه على البصرة، ورجا ابن أصمع أن

(١) الطبري ٦/١٥٠، وانظر المصادر الأخرى التي حشدناها تحت خبر عصيان الجراجمة بالشام، الذي تقدّم قبل قليل. مع تاريخ العظيمي ١٨٩، والمنتخب من تاريخ المنبجي (بتحقيقنا) ص ٧٨، ونهاية الأرب ٢١/١٠٩، وتاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ٦٩، والبداية والنهاية ٨/٣١٣، وأنساب الأشراف ٥/٣٣٥.

(٢) في الأوربية: «قسم».

(٣) الطبري ٦/١٥٠، البداية والنهاية ٨/٣١٣.

(٤) تاريخ خليفة ٢٦٦، المعرفة والتاريخ ٣/٣٣٢، المحبّر ٢٢، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٦٨، تاريخ الطبري ٦/١٥٠، مروج الذهب ٣/٣٩٨، تاريخ العظيمي ١٨٩، نهاية الأرب ٢١/٧٩، شفاء الغرام ٢/٣٤٠، تاريخ دمشق ٤٥٤ و ٤٥٥.

(٥) الطبري ٦/١٥٠.

(٦) الطبري ٦/١٥٢.

يبايعه عبّاد بن الحُصَين وقال له: إنّي قد أجرْتُ خالداً، وأحببتُ أن تعلم ذلك لتكون ظهراً لي. فوافاه الرسول حين نزل عن فرسه، فقال عبّاد: قلْ له والله لا أضع لَبِد فرسي حتّى أتيك في الخيل. فقال ابن أصمع لخالد: إنّ عبّاداً يأتينا الساعة، ولا أقدر [أن] أمنعك عنه، فعليك بمالك بن مِسمَع[1].

فخرج خالد يركض، وقد أخرج رِجْلَيه من الركابَين حتّى أتى مالكاً فقال: أجِرْني، فأجاره، وأرسل إلى بكر بن وائل والأزد، فكان أوّل راية أتته راية بني يَشْكر، وأقبل عبّاد في الخيل، فتواقفوا ولم يكن بينهم قتال.

فلمّا كان الغد عدوا[2] إلى جُفْرة نافع بن الحارث، ومع خالد رجال من تميم، منهم: صَعْصَعة بن معاوية، وعبد العزيز بن بِشر، ومُرّة بن مِحْكان، وغيرهم، وكان أصحاب خالد جُفريّة ينتسبون إلى الجُفرة، وأصحاب ابن مَعْمَر زُبيريّة، وكان من أصحاب خالد: عُبيد الله بن أبي بكرة، وحُمْران بن أبان، والمُغيرة بن المهلّب، ومن الزُّبيريّة: قيس بن الهَيْثم السُّلَميّ[3].

ووجّه مُصعَبٌ زَحْرَ بن قيس الجُعْفيَّ مَدَداً لابن مَعمر في ألف، ووجّه عبدُ الملك عُبيدَ الله بن زياد بن ظَبْيان مَدَداً لخالد. فأرسل عُبيدُ الله إلى البصرة من يأتيه بالخبر، فعاد إليه فأخبره بتفرّق القوم، فرجع إلى عبد الملك. فاقتتلوا أربعة وعشرين يوماً، وأصيبت عين مالك بن مِسْمع، وضجر من الحرب، ومشتْ بينهم السفراء، فاصطلحوا على أن يخرج خالد من البصرة، فأخرجه مالك[4]. ثمّ لحق مالك بثأج[5].

وكان عبد الملك قد رجع إلى دمشق، فلم يكن لمُصْعب هِمّة إلّا البصرة، وطمع أن يدرك بها خالداً، فوجده قد خرج، وسخط مُصْعبٌ على ابنَ مَعْمَر، وأحضر أصحاب خالد فشتمهم وسبّهم[6]، فقال لعُبيد الله بن أبي بكرة: يا ابنَ مسروح، إنّما أنت ابن كلبة تَعاورها الكلابُ، فجاءت بأحمر وأصفر وأسود من كلّ كلب بما يشبهه، وإنّما كان أبوك عبداً نزل إلى رسول الله ﷺ، من حصن الطائف، ثمّ ادّعيتم أنّ أبا سفيان زنَى بأمّكم، ووالله لئن بقيتُ لألحِقنّكم بنسبكم. ثمّ دعا حُمْرانَ فقال له: إنّما أنت ابنُ يهوديّة عِلج نَبَطيّ سُبيتَ من عين التَّمْر. وقال للحكَم بن المنذر بن الجارود، ولعبد الله بن فَضالة

(١) الطبري ٦/١٥٢.
(٢) في الطبري ٦/١٥٢، ونهاية الأرب ٢١/٧٨ «غدوا»، وفي أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/٤٦٨ «بدروا».
(٣) الطبري ٦/١٥٢، ١٥٣، أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/٤٦٧، ٤٦٨ رقم ١١٩١.
(٤) الطبري ٦/١٥٣، نهاية الأرب ٢١/٧٨، أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/٤٦٨، ٤٦٩ رقم ١١٩٢.
(٥) في الأوربية: «بالنباج».
(٦) أنساب الأشراف: «أنّبهم».

الزُّهْرانيّ، ولعليّ بن أصمع، ولعبد العزيز بن بِشر، وغيرهم نحو هذا من التوبيخ والتقريع، وضربهم مائةً مائة، وحلق رؤوسهم ولحاهم، وهدم دُورهم وصحّرهم[1] في الشمس ثلاثاً، وحملهم على طلاق نسائهم، وجمّر[2] أولادهم في البعوث، وطاف بهم في أقطار البصرة، وأحلفهم أن لا ينكحوا الحرائر[3]، وهدم دار مالك بن مِسمع وأخذ ما فيها، فكان ممّا أخذ جارية ولدت له عَمْرو بن مُصْعب.

وأقام مُصْعب بالبصرة، ثمّ شخص إلى الكوفة، فلم يزل بها حتّى خرج إلى حرب عبد الملك بن مروان[4].

المُغيرة: بضم الميم، وبالغين، والراء. خالد بن أَسِيد: بفتح الهمزة، وكسر السين. والجُفْرة: بضمّ الجيم، وسكون الراء.

[وفاة عاصم بن عمر]

وفي هذه السنة مات عاصم بن عمر بن الخطّاب[5]، وهو جدّ عمر بن عبد العزيز لأمّه، ووُلد قبل موت النبيّ ﷺ، بسنتين.

ذكر مقتل عُمَير بن الحُباب بن جَعْدة السُّلَميّ

في هذه السنة قُتل عُمَير بن الحُباب بن جَعْدة السُّلَميُّ، ونحن نذكر سبب الحرب بين قيس وتَغْلب حتّى آل الأمرُ إلى قتل عُمير.

وكان سبب ذلك أنّه لما انقضى أمرُ مرج راهط وسار زُفَر بن الحارث الكلائيُّ إلى قَرْقِيسيا، على ما ذكرناه، وبايع عُميرٌ مروانَ بنَ الحكم، وفي نفسه ما فيها بسبب قتل قيس بالمرج، فلمّا سيّر مروان بن الحكَم عُبيدَ الله بن زياد إلى الجزيرة والعراق كان عميرٌ معه، فلقوا سليمان بن صُرَد بعين الوردة، وسار عُبيدُ الله إلى قَرْقِيسيا لقتال زُفَر، فثبّطه[6] عُميرٌ، وأشار عليه بالمسير إلى الموصل قبل وصول جيش المختار إليها، وسار إليها ولقي إبراهيمَ بن الأشتر بالخازر، فمال عُميرٌ معه، فانهزم جيش عُبيد الله وقُتل هو، فأتى عُميرٌ قرقيسيا، وصار مع زُفَر، فجعلا يطلبان كلباً واليمانيّة بمن قتلوا من قيس، وكان معهما قوم من تغلب يقاتلون معهما ويدلّونهما.

---

(١) في (ر): «وصهرهم» وكذا في: تاريخ الطبري ٦/١٥٥، وأنساب الأشراف، ونقائض جرير والفرزدق.

(٢) في الأوربية: «وجمن».

(٣) الطبري ٦/١٥٤، ١٥٥.

(٤) النقائض ٧٤٩ و ١٠٨٩، أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/٤٦٢ - ٤٦٤ رقم ١١٨٤، وص ٤٦٧، ٤٦٨، الطبري ٦/١٥٦، نهاية الأرب ٢١/٧٨، ٧٩.

(٥) انظر عن (عاصم بن عمر) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ١٣٧ رقم ٤٥ وفيه مصادر ترجمته.

(٦) في الأوربية: «فثبّط».

وشُغل عبد الملك عنهما بمُصْعب، وتغلّب عُمَير على نَصِيبين. ثمّ إنّه ملّ المقام بقرقيسيا، فاستأمن إلى عبد الملك فآمنه، ثمّ غدر به فحبسه عند مولاه الرَّيّان، فسقاه عُمير ومَن معه من الحرس خمراً حتّى أسكرهم، وتسلّق في سُلّم من حبال، وخرج من الحبس، وعاد إلى الجزيرة، ونزل على نهر البَليخ بين حَرّان والرَّقّة، فاجتمعت إليه قيسٌ، فكان يغير بهم على كلب واليمانيّة، وكان مَنْ معه يستأوون جواري[1] تغلب ويسخرون مشايخهم من النصارى، فهاج ذلك بينهم شرّاً لم يبلغ الحرب، وذلك قبل مسير عبد الملك إلى مُصْعب وزُفَر.

ثمّ إنّ عُمَيراً أغار على كلب، ثمّ رجع فنزل على الخابور، وكانت منازل تغلب بين الخابور والفرات ودجلة. وكانت بحيث نزل عُمير امرأة من تميم ناكح في تغلب يقال لها أمّ دويل، فأخذ غلام من بني الحَرِيش أصحاب عُمَير عدداً[2] من غنمها، فشكتْ إلى عُمَير، فلم يمنع عنها، فأخذوا الباقي، فمانعهم قوم من تغلب، فقُتل رجل منهم يقال له مجاشع التغلبيّ، وجاء دويل فشكت أمّه إليه، وكان فارساً من فرسان تغلب، فسار في قومه وجعل يذكرهم ما تصنع بهم قيس، ويشكو إليهم ما أُخذ من غنم أمّه، فاجتمع منهم جماعة، وأمّروا عليهم شُعَيْث[3] بن مُلَيك التغلبيَّ، وأغاروا على بني الحَريش ومعهم قوم من نُمَير، فقتل فيهم التغلبيّون، واستاقوا ذَوداً لامرأة منهم يقال لها أمّ الهَيْثم، فمانعهم القيسيّون فلم يقدروا على منعهم، فقال الأخطل:

فإنْ تَسألونا بالحَريش فإنّنا ... مُنينا[4] بِنُوكٍ منهُمُ وفُجُورِ
غداةَ تحامتْنا الحَريشُ كأنّها ... كلابٌ بدتْ أنيابها لهريرِ
وجاؤوا بجمعٍ ناصري أمّ هيثمٍ ... فما رجعوا من ذَوْدِها ببَعيرِ[5]

يوم ماكسين

ولما استحكم الشرّ بين قيس وتغلب، وعلى قيس عُمَير، وعلى تغلب شُعَيْث[6]، غزا عُمير بني تغلب وجماعتهم بماكِسين من الخابور، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وهي أوّل

---

(١) في الأوربية: «جوار».
(٢) في الأوربية: «عيراً».
(٣) في (ب) «شعيب».
(٤) في أنساب الأشراف: «بُلينا».
(٥) الخبر والشعر في: أنساب الأشراف ٥/٣١٣ ـ ٣١٥، والخبر فقط في: نهاية الأرب ٢١/١١١.
(٦) في (ب): «شعيب».

وقعة لهم، فقُتل من بني تغلِب خمسمائة، وقَتل شُعيث، وكانت رِجْله قُطعتْ، فقاتل حتّى قُتل وهو يقول:

قد علمتْ قيسٌ ونحنُ نَعلَمْ أنّ الفتى يُقتلُ وهوَ أجذَمْ[1]

يوم الثَّرْثار الأوّل

والثرثار نهر أصلِ منبعه شرقيّ مدينة سنجار، وبالقرب من قرية يقال لها سُرَّق، ويفرغ في دجلة بين الكُحَيْل ورأس الأَيْل من عمل الفَرج.

لما قُتل بماكسين مَنْ ذكرنا استمدّت تغلب وحشدت، واجتمعت إليها النَمِر بن قاسط، وأتاها المشجّر بن الحارث الشيبانيُّ، وكان من ساداتهم بالجزيرة، وأتاها عُبيد الله بن زياد بن ظَبْيان مُنْجِداً لهم على قيس، فلذلك حقد عليه مُصْعب بن الزُّبير حتّى قتل أخاه النّابيء بن زياد، واستنجد عميرٌ تميماً وأسداً، فلم يُنجده منهم أحد. فالتقوا على الثَّرثار، وقد جعلت تغلِب عليها بعد شُعَيث زياد بن هوبر، ويقال: يزيد بن هوبر التغلبيّ، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزمت قيسٌ، وقَتَلتْ تغلبُ ومَن معها منهم مقتلةً عظيمةً، وبقروا بطون ثلاثين امرأة من بني سُلَيم، وقالت ليلى بنت الحارس التغلبيّة، وقيل هي للأخطل:

لمّا رأوْنا والصّليبَ طالعَا ومارَسرْجيسَ وسُمّاً ناقعَا[2]
والخَيلَ لا تحملُ إلاّ دارِعَا والبِيضَ في أيمانِنا قَواطِعَا
خلّوا لنا الثرثارَ والمزارِعَا وحِنطَة[3] طَيْساً وكَرْماً يانِعَا[4]

يوم الثرثار الثاني

ثمّ إنّ قيساً تجمّعت واستمدّت واستعدّت وعليها عُمَير بن الحُباب، وأتاهم زُفَر بن الحارث من قَرْقِيسيا، وكان رئيس بني تغلِب، والنَمِر ومعهما[5] ابن هوبر، فالتقوا بالثرثار،

---

(١) الخبر والشعر في أنساب الأشراف ٣١٦/٥، ٣١٧، نهاية الأرب ١١١/٢١، ١١٢.

(٢) في الأوربية:

ومارس جيش وسمّاً نقعا

(٣) في الأوربية: «وحنظة».

(٤) الخبر والشعر في: أنساب الأشراف ٣١٨/٥، ٣١٩ وفيه زيادة شطر:

«كأنّما كانوا غراباً واقعا»

والخبر في: نهاية الأرب ١١٢/٢١.

(٥) في الأوربية: «والنمر ومن معهما».

واقتتلوا أشدّ قتال اقتتله الناس، وانهزمت بنو عامر، وكانت على مجَنَّبة قيس، وصبرتْ سُلَيم وأعصرتْ حتّى انهزمت تغلب ومَنْ معها، وقُتل ابنا عبد يشوع[1] وغيرهما من أشراف تغلب، فقال عُمَير بن الحُباب:

فِداً لفَوارِسِ الثّرثارِ نَفسي ... وما جمّعتُ مِنْ أهلٍ ومالِ
وولّتْ عامرٌ عنّا فأجلَتْ ... وحَولي من رَبيعةَ كالجِبالِ
أُكاوِحُهُمْ بِدُهْمٍ منْ سُلَيْمٍ ... وأعْصِرُ كالمصاعيبِ النّهالِ

وقال زُفَر بن الحارث:

ألا مَنْ مُبلغٌ عنّي عُمَيراً ... رسالَةَ ناصحٍ وعلَيهِ زارِي[2]
أنَترُكُ[3] حيّ ذي يَمَنٍ وكَلْباً ... ونجعلُ جدّنا بك[4] في نِزارِ
كمُعتمِدٍ على إحدَى يَدَيْهِ ... فخانَتْهُ بوَهْنٍ وانكِسارِ[5]

يوم الفُدَيْن

وأغار عُمَير بن الحُباب على الفُدَين، وهي قرية على الخابور، وقتل مَنْ بها من بني تغلب، فهزمهم، فقال نُفَيع بن صفّار المُحاربيُّ:

لو تُسألِ الأرضُ الفضاءُ عليكمُ[6] ... شهدَ الفُدَيْنُ بهُلْكِكُمْ والصُّوَرُ[7]

والصُّور: قرية من الفُدَين.

يوم السُّكَيْر

وهو على الخابور، يسمّى سُكَير العبّاس.

ثمّ اجتمعوا والتقوا بالسُّكَير، وعلى قيس عُمَير بن الحُباب، وعلى تغلِب والنّمِر يزيد بن هَوْبر، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزمت تغلِب والنّمِر، وهرب عُمَير بن جَنْدَل، وهو من فُرسان تغلِب، فقال عُمير بن الحُباب:

---

(١) في أنساب الأشراف «يسوع» بالسين المهملة.
(٢) في الأنساب «زارٍ».
(٣) في الأصول: «أترك». وفي الأنساب: «أنترك».
(٤) في الأنساب: «وتجعل حدّ نابك».
(٥) الخبر والشعر في: أنساب الأشراف ٣٢٠/٥، والخبر في نهاية الأرب ١١٢/٢١.
(٦) في الأنساب: «بأمركم».
(٧) الخبر والشعر في: أنساب الأشراف ٣٢١/٥ وفيه بيت آخر، نهاية الأرب ١١٢/٢١.

وأفْلَتَنَا يومَ السُّكَير ابنُ جَنْدَلٍ على سابحٍ عُوجٍ[1] اللَّبانِ مُثابرِ
ونحنُ كررنا الخَيلَ قِدْماً شواذِباً[2] دِقاقَ الهَوادي داميات الدّوائرِ

وقال ابن صفّار:

صَبَحْناكم بِهِنّ على سُكَيرٍ ولاقَيتم هناكَ الأقْوَرِينَا[3]

يوم المعارك

والمعارك بين الحَضْر والعَتيق من أرض الموصل، اجتمعت تغلب بهذا المكان، فالتقوا هم وقيس، فاقتتلوا به فاشتدّ قتالهم، فانهزمت تغلِب، وقال ابن صفّار:

ولقد تركنا بالمعارِكِ منكُمُ والحَضْرِ والثرثارِ أجساداً جُثَا

فيقال: إنّ يوم المعارك والحضْر واحد، هزموهم إلى الحضْر، وقتلوا منهم بشراً كثيراً. وقال بعضهم: هما يومان كانا لقيس، والله أعلم[4].

[يوم لِبًى]

والتقوا أيضاً بلِبًى[5] فوق تَكْريت من أرض الموصل، فتناصفوا، فقيس تقول: كان لفضل لنا، وتغلب تقول: كان الفضل لنا[6].

يوم الشَّرعبيّة

ثمّ التقوا بالشَّرعبيّة، وعلى قيس عُمَير بن الحُباب، وعلى تغلِب وألفافها ابنُ هَوْبر، فكان بينهم قتال شديد، قُتل يومئذ عمّار بن المهزم السُّلَميُّ، وكان لتغلِب على قيس؛ قال الأخطل:

ولقد بكى الجَحّافُ لما أَوْقَعَتْ بالشَّرْعبيّة إذ رَأى الأهْوالا[7]

---

(١) في الأنساب: «غوج» بالغين المعجمة.
(٢) في الأوربية: «شواذيا».
(٣) الخبر والشعر في: أنساب الأشراف ٣٢١/٥، والخبر في نهاية الأرب ١١٣/٢١.
(٤) الخبر والشعر في: أنساب الأشراف ٣٢١/٥، ٣٢٢.
(٥) في (ب): «لبن».
(٦) أنساب الأشراف ٣٢٢/٥، نهاية الأرب ١١٣/٢١.
(٧) في (ر): «الأطفالا».

يعني أوقعت الخيلُ. والشَّرعبيّـة: من بلاد تغلب. والشَّـرعبيّة أيضـاً: ببلاد مَنْبِج؛ فبعضهم يقول: إنّ هذه الوقعة كانت ببلاد منبج، وذلك خطأ[1].

يوم البَليخ

واجتمعتْ تغلب وسارت إلى البَليخ، وهناك عُمَير في قيس؛ والبَلِيخ نهر بين حَـرّان والـرَّقّة؛ فـالتقوا وانهـزمت تغلب وكثُر القتـلُ فيها، وبُقـرت بطون النسـاء كمـا فعلوا يـوم الثرثار، فقال ابن صفّار:

زُرْقُ الـرِّمـاحِ ووقْـعُ كـلِّ مُهنّـدٍ   زَلْـزَلنَ قلبَـكَ بـالبَليـخِ فـزالا[2]

يوم الحَشّاك ومقتل عُمير بن الحُباب السُّلَميِّ وابن هَوْبر التغلبيّ

لما رأت تَغْلِب إلحاحَ عُمَير بن الحُباب عليها جمعت حاضـرتها وبـاديتها، وسـاروا إلى الحَشّـاك، وهو تـلّ[3] قريب من الشَّـرعبيّة، وإلى جنبـه بِراق[4]، ودلف إليـه عُمَير في قيس، ومعـه زُفَر بن الحـارث الكلابيُّ، وابنـه الهُذَيْـل بن زُفَر، وعلى تغلِب ابن هَـوْبـر، واقتتلوا عند تلّ الحَشّاك أشدّ قتال وأبْرَحَه، حتّى جنّ عليهم الليل، ثمّ تفـرّقوا واقتتلوا من الغد إلى الليل، ثمّ تحاجزوا.

وأصبحت تغلِب في اليوم الثالث، فتعاقدوا أن لا يفرّوا، فلمّا رأى عُمَير حدّهم وأنّ نساءهم معهم قال لقيس: يا قومِ أرى لكم أن تنصـرفوا عن هؤلاء فـإنّهم مستقتلون، فإذا اطمـأنّـوا وصـاروا إلى سَرْحهم وجّهنـا إلى كـلّ قـومٍ منهم مَنْ يُغير عليهم. فقـال لـه عبد العزيز بن حاتم بن النُّعمـان الباهليُّ: قتلتَ فـرسانَ قيس أمس وأوّل أمـس، ثمّ مَليءَ سَحْرُك وجَبُنْتَ! ويقال: إنّ عُيَيْنة بن أسماء بن خـارجة الفـزاريَّ قال لـه ذلك، وكـان أتاه مُنْجِداً، فغضب عُمَير وقال: كأنّي بك وقد حَمِس الوغى أوّل فارّ! فنزل عُمَير وجعل يقاتل راجلاً وهو يقول:

أنـا عُـمَـيـرٌ وأبـو الـمُـغَـلِّسْ   قـد أَحبِسُ القَوْمَ بضَنْـكٍ فـاحبِسْ[5]

---

(1) أنساب الأشراف ٥/٣٢٢، نهاية الأرب ٢١/١١٣.

(2) الخبر والشعر في: أنساب الأشراف ٢/٣٢٢، ٣٢٣، نهاية الأرب ٢١/١١٤.

(3) في (ب) و(آ): «نهر»، وهو صـواب، ففي الأنساب: وهـو نهر يـأخذ من الهـرماس وعلى الحشّـاك تِلال وقُور، وبقربه الشرعبية.

(4) ويقال: بُراق..

(5) في الأنساب: «المَحْبِس».

وانهزم زُفَر يومئذٍ، وهو اليوم الثالث، فلحِق بقرقيسيا، وذلك أنّه بلغه أنّ عبد الملك بن مروان قد عزم على الحركة إليه بقرقيسيا، فبادر للتأهّب[1]، وقيل: إنّه ادّعى ذلك حين فرّ اعتذاراً، وانهزمت قيس وركبت تغلب ومَنْ معها أكتافهم وهم يقولون: أما تعلمون أنّ تَغْلِبَ تَغْلِبُ؟

وشدّ على عُمير جُمَيْل بن قيس من بني كعب بن زُهَير فقتله، وقيل: بل تغاوى[2] على عمير غلامان من بني تغلب فرمياه بالحجارة وقد أعيَا فأثخناه، وكرّ عليه ابن هَوْبر فقتله.

وأصابت ابنَ هَوْبر يومئذ جراحةٌ، فلمّا انقضت الحرب أوصى بني تغلب بأن يولّوا أمرهم مُرادَ بن علقمة الزُّهَيريَّ.

وقيل: خرج ابن هوبر في اليوم الثاني من أيّامهم هذه الثلاثة، وأوصى أنْ[3] يولّوا أمرَهم مُراداً[4]، ومات من ليلته، وكان مُراد[4] رئيسهم في اليوم الثالث، فعبّأهم على راياتهم، وأمر كلّ بني أب أن يجعلوا نساءهم خلفهم، فلمّا أبصرهم عُمير قال ما تقدّم ذكره، قال الشاعر:

أرِقْتُ بأثناء الفُراتِ وشَفّني ... نوائحُ أبكاها قَتيلُ ابنِ هوبرِ
ولم تَظلِمي إنْ نُحْتِ أُمَّ مُغلّسٍ ... قَتيلَ النّصارَى في نوائحَ حُسَّرِ

وقال بعض الشعراء يُنكر قتلَ ابن هوبر عُمَيراً:

وإنّ عُميراً يومَ لاقَتهُ تغلِبٌ ... قتيلُ جُمَيْلٍ لا قتيلُ ابن هوبرِ

وكثُر القتلُ يومئذٍ في بني سُلَيم وغَنِيّ خاصّةً، وقُتل من قيس أيضاً يومئذٍ بشرٌ كثيرٌ، وبعثت بنو تغلِب رأس عُمير بن الحُباب إلى عبد الملك بن مروان بدمشق، فأعطى الوفدَ وكساهم. فلمّا صالح عبدُ الملك زُفَرَ بن الحارث، واجتمع الناسُ عليه قال الأخطل:

بني أميّةَ قد تناضَلتْ دونَكُمُ ... أبناءُ قَومٍ هُمُ آووا وهمْ نَصرُوا
وقيس عَيْلانَ حتّى أقبَلوا رَقَصاً ... فبايعوا لكَ قَسْراً بعدَما قُهِرُوا

---

(١) الخبر والشعر في: أنساب الأشراف ٥/٣٢٣، ٣٢٤.
(٢) في الأوربية: (تغاوى القومُ على فلان: تعاونوا عليه ليقتلوه)
وفي (آ) و(ب): «تعاون»، وفي أنساب الأشراف «تعاوى» بالعين المهملة.
(٣) في الأوربية: «أنهم».
(٤) في الأنساب «مرّاراً» و«مرّار».

ضَجّوا من الحرْب إذ عُضّت غَـوارِبُهُمْ وقيسُ عَيـلانَ من أخـلاقهـا الضَّجَـرُ[1]

في أبياتٍ كثيرة[2].

فلمّا قُتل عُمير بن الحُباب وقف رجل على أسماء بن خارجة الفزاريّ بالكوفة فقال: قتلتْ بنو تغلب عُمير بن الحُباب. فقال: لا بأس، إنّما قُتل الرجـل في ديار القـوم مقبلاً غير مُدْبر؛ ثمّ قال:

يـدي[3] رَهْـنٌ عـلى[4] سُـلَيـم بـغـارَةٍ تَـشيبُ لهـا أصـداغُ بكـرِ بـنِ وائـلِ
وتـتـرُكُ أوْلادَ الـفَـدَوْكَسِ عـالَـةً يَـتـامَى أيَـامَى نُهـزَةً[5] لـلقَبـائِـلِ[6]

يوم الكُحَيْل

وهو من أرض الموصل في جانب دجلة الغربيّ.

وسببه أنّه لمـا قُتل عُمَيـر بن الحُباب السُّلَميُّ أتى تَميمُ بن عُميـر زُفَرَ بن الحـارث، فسأله أن يطلب له بثاره، فامتنع، فقال الهُـذَيل بن زُفَـر لأبيه: والله لئن ظفـرتْ بهم تغلب إنّ ذلك لعارٌ عليك، ولئن ظفروا بتغلب وقد خذلْتهم إنّ ذلك لأشدّ. فـاستخلف زُفَرُ على قرقيسيا أخاه أوْسَ بن الحارث، وعزم على أن يغير على بني تغلب ويغزوهم، فوجّـه خيلاً إلى بني فَـدَوْكَس بطن من تغلب، فقتِـل رجالهم، واستبيحت أمـوالهم ونسـاؤهم حتّى لم يبقَ غير امرأة واحدة استجارت، فأجارها يزيد بن حُمْران.

ووجّـه زُفَرُ بن الحـارث ابنَه الهُـذَيل في جيش إلى بني كعب بن زُهَـير، فقتل فيهم قتلاً ذريعاً، وبعث زُفَرُ أيضاً مُسْلمَ بن ربيعة العُقَيْليَّ إلى قوم تغلب مجتمعين، فأكثر فيهم القتلَ. ثمّ قصد زفرُ لبني تغلب وقد اجتمعوا بالعَقيق من أرض الموصل، فلمّـا أحسّت به ارتحلت تريد عبورَ دجلةَ، فلمّا صـارت بالكُحَيْـل لحِقهم زُفَرُ في القيسيّـة، فاقتتلوا قتـالاً شديداً، وترجّل أصحابُ زُفر أجمعون، وبقي زُفَر على بغلٍ له، فقتلوهم ليلتهم، وبقـروا بطون نساء منهم، وغرق في دجلة أكثر مِمّن قُتل بالسّيف، فأتى فلُّهم لِبّى، فوجّه زفرُ ابنه الهُذَيل، فأوقع بهم إلاّ مَنْ عبر فنجا، وأسر زُفَر منهم مائتَين فقتلهم صبراً، فقال زُفَر:

(1) في الأوربية: «ضجروا».
(2) انظر بقيّة الأبيات في: أنساب الأشراف ٥/٣٢٥، ٣٢٦.
(3) في الأصول: «يدي لك»، وكذا في: أنساب الأشراف ٥/٣٢٧.
(4) في أنساب الأشراف «عن».
(5) في الأوربية: «نهرة».
(6) الخبر والشعر في: أنساب الأشراف ٥/٣٢٦، ٣٢٧، والخبر في نهاية الأرب ٢١/١١٤ ـ ١١٦.

ألا يا عَينِ بَكّي[1] بانسكابِ وبَكّي عاصِماً وابنَ الحُبابِ
فإنْ تكُ تغلبٌ قتلتْ عُميراً ورَهطاً من غَنيٍّ في الحِرابِ
فقد أفنى بني جُشَم بنِ بَكْرٍ ونَمْرَهُمُ فوارِسُ من كِلابِ
قتَلنا منهُمُ مائتَينِ صَبراً وما عدلوا عُميرَ بن الحُبابِ[2]

وقال ابن صفّار المحاربيُّ:

ألم تَرَ حَرْبَنا تركَتْ حُبَيْباً مُحالِفُها[3] المَذَلّةُ والصَّغارُ
وقد كانوا أولي عزٍّ فأَضْحَوْا ولَيسَ لهمْ من الذّلّ انتصارُ

وأُسر القطاميّ التغلبيّ في يوم من أيّامهم وأُخذ ماله، فقام زُفَر بأمره حتّى ردّ عليه ماله ووصله، فقال فيه:

إنّي وإنْ كانَ قَوْمي ليسَ بينَهُمُ وبَينَ قومِكَ إلّا ضَرْبَةُ الهادي
مُثْنٍ[4] عَلَيكَ بما أوْلَيتَ من حَسَنٍ وقد تَعَرّض [لي] من مَقتلٍ بادي[5]

حُبَيْب الذي في الشعر هو بضمّ الحاء المهملة، وفتح الباء الموحّدة، وهو في نسب بني تغلب[6].

يوم البِشْر

لما استقرّ الأمر لعبد الملك واجتمع المسلمون عليه قدِم عليه الأخطل الشاعر التغلبيُّ، وعنده الجَحّاف بن حُكَيْم السُّلَمي[7]، فقال له عبد الملك: أتعرف هذا يا أخطل؟ قال: نعم، هذا الذي أقول فيه:

ألا سائلِ الجَحّافَ هل هوَ ثائرٌ بقتلى أُصيبَتْ من سُلَيمٍ وعامرِ

---

(١) في أنساب الأشراف: «جودي».
(٢) أنساب الأشراف ٣٢٧/٥، وفيه زيادة بيت:
فقتلانا نَعُدُّهمُ كِراماً وقتلاهم تُعَدّ مع الكلابِ
(٣) في الأوربية: «مخالفها».
(٤) في الأوربية: «متن».
(٥) أنساب الأشراف ٣٢٨/٥ وفيه: «وقد تعرّض منّي مقتل بادي»، نهاية الأرب ١١٦/٢١، ١١٧.
(٦) ما بين القوسين من (ب).
(٧) في الأوربية: «السليمي».

وأنشد القصيدة حتّى فرغ منها[1]، وكان الجَحّاف يأكل رُطَباً، فجعل[2] النَّوى يتساقط من يده غيظاً، (وأجابه وقال:

بلَى سوْفَ نبكيهم بكُلّ مُهنَّدٍ ونَنعى عُمَيراً بالرِّماحِ الشّواجرِ)[3]

ثمّ قال: يا ابنَ النصرانيّة، ما كنتُ أظنّ أن تجترىء عليّ بمثل هذا! فأُرْعِدَ الأخطلُ من خوفه، ثمّ قام إلى عبدِ الملك وأمسك ذيله وقال: هذا مقام العائذ بك. فقال: أنا لك مُجير[4]. ثمّ قام الجَحّافُ ومشى وهو يجرّ ثوبَه ولا يعقل به، فتلطّف لبعض كتّاب الدّيوان حتّى اختلق له عهداً على صدقات تغلب وبكر بالجزيرة، وقال لأصحابه: إنّ أمير المؤمنين قد ولاّني هذه الصدقات، فمَنْ أراد اللّحاق بي فليفعلْ[5].

ثمّ سار حتّى أتَى رُصافةَ هشام، فأعلم أصحابه ما كان من الأخطل إليه، وأنّه افتعل كتاباً، وأنّه ليس بوالٍ، فمَن كان أحبَّ أن يغسل عنّي العار وعن نفسي فلْيصحبني[6]، فإنّي قد أقسمتُ أن لا أغسل رأسي حتّى أوقع في بني تغلب. فرجعوا عنه غير ثلاثمائة قالوا له: نموت بموتك ونحيا بحياتك.

فسار ليلته حتّى صبّح الرَّحوب، وهو ماءٌ لبني جُشَم بن بكر من تغلب، فصادف عليه جماعةً عظيمة منهم، فقتل فيهم مقتلةً عظيمةً، وأسر الأخطل وعليه عَباءة وسِخةٌ، فظنّه الذي أسرَه عبداً، فسأله مَنْ هو، فقال: عبد. فأطلقه، فرمى بنفسه في جُبّ، فخاف أن يراه[7] مَنْ يعرفه فيقتله. فلمّا انصرف الجحّافُ خرج من الجُبّ[8]، وأسرفَ الجحّاف في القتل وبَقْرِ البطون عن الأجِنّة، وفعل أمراً عظيماً، فلمّا عاد عنهم قدِم الأخطل على عبد الملك فأنشده قوله:

لقد أوقعَ الجحّافُ بالبِشرِ وقعَةً إلى اللّهِ مِنها المُشْتكَى والمُعَوَّلُ[9]

فهرب الجحّاف، فطلبه عبد الملك، فلحِق ببلاد الروم، وقال بعد وقعة البِشر يخاطب الأخطل:

---

(١) أنساب الأشراف ٣٢٨/٥، ٣٢٩.

(٢) في (آ) و (ر): «فدعى».

(٣) ما بين القوسين من (ب) و (آ)، نهاية الأرب ١١٨/٢١.

(٤) في الأوربية: «جار».

(٥) أنساب الأشراف ٣٢٩/٥.

(٦) في الأوربية: «فليصحبن».

(٧) في الأوربية: «رآه».

(٨) أنساب الأشراف ٣٢٩/٥.

(٩) أنساب الأشراف ٣٣١/٥، الشعر والشعراء ٤٥٧/٢.

أبا[1] مالكٍ هل لُمتني أوْ[2] حضَضتَني ... على القتلِ أمْ هل لامَني كلُّ[3] لائِمِ
ألم أُفنِكُم قَتلاً وأجدَعَ أنفكُمْ[4] ... بفتيانِ قَيسٍ والسّيوفِ الصّوارِمِ
بكلِّ فتًى يَنعى عُمَيراً بسَيْفِهِ ... إذا اعتَصَمتْ أيمانُهم بالقَوائِمِ
فإن تَطرُدوني تَطرُدوني وقد[5] جرَى ... بيَ الوِرْدُ يوْماً في دماء الأراقِمِ
نَكحتُ بسَيفي في[6] زُهيرٍ ومالكٍ ... نِكاحَ اغتصابٍ لا نكاحَ دَراهمِ[7]

في أبيات[8].

ولم يزل الجحّاف يتردّد في بلاد الروم من طرابِزُنْدَة إلى قاليقَلا[9]، وبعث إلى بطانة عبد الملك من قيس حتّى أخذوا له الأمان، فآمنه عبد الملك، فقدِم عليه، فألزمه دِيات من قتل، وأخذ منه الكُفَلاء وسعي فيها، فأتَى الحجّاجَ من الشام فطلب منه، فقال له: متى عهدْتني خائناً؟ فقال له: ولكنّك سيّد قومك ولك عمالة واسعة. فقال: لقد أُلهمت الصِّدْق، فأعطاه مائة ألف درهم، وجمع الدِّيات فأوصلها.

ثمّ تنسّك بعدُ وصلُح، ومضى حاجّاً، فتعلّق بأستار الكعبة، وجعل ينادي: اللهمّ اغفرْ لي وما أظنّ تفعل. فسمعه محمّد بن الحنفيّة فقال: يا شيخ قنوطك شرّ من ذنبك[10].

(وقيل: إنّ سبب عَوده كان أنّ الجحّاف أكرمه ملكُ الروم وقرّبه، وعرض عليه النصرانيّة، ويعطيه ما شاء، فقال[11]: ما أتيتُك رغبةً عن الإسلام. ولقي الروم تلك السنة عساكر المسلمين صائفةً، فانهزم المسلمون، وأخبروا عبدَ الملك أنّهم هزمهم الجَحّاف، فأرسل إليه عبدُ الملك يؤمّنه، فسار وقصد البِشْر وبه حيّ من بِشر، وقد لبس أكفانه وقال: قد جئتُ إليكم أعطي القَوَدَ من نفسي. وأراد شبابُهم[12] قتله فنهاهم شيوخهم، فعفوا[13] عنه

---

(1) في الأوربية: «أبا».
(2) في الأنساب: «إذ».
(3) في الأوربية: «لك»، وكذا في أنساب الأشراف.
(4) في الأنساب: «أنوفكم».
(5) في الأوربية: «فقد»، وفي الأنساب: «يطردوني يطردوني».
(6) في الأنساب: «من».
(7) في الأنساب: «الدراهم».
(8) انظر بقية الأبيات في أنساب الأشراف ٥/٣٣٠.
(9) في (ب): «من طرابزنده إلى كماخ إلى قاليقلا»، وفي الأنساب ٥/٣٣٠: «أقام بطرابزنده ثم أتى كمخ ثم أتى قاليقلا».
(10) أنساب الأشراف ٥/٣٣٠، ٣٣١.
(11) في الأوربية: «وقال».
(12) في الأوربية: «شابّهم».
(13) في الأوربية: «فغفر».

وحجّ، فسمعه عبد الله بن عمر وهو يطوف ويقول: اللهمّ اغفرْ لي وما أظنّك تفعل. فقال ابن عمر: لو كنتَ الجحّاف ما زدتَ على هذا. قال: فأنا الجحّاف)[1].

(١) ما بين القوسين من (ب). والخبر في أنساب الأشراف ٢١/١١٩.